عدد خاص

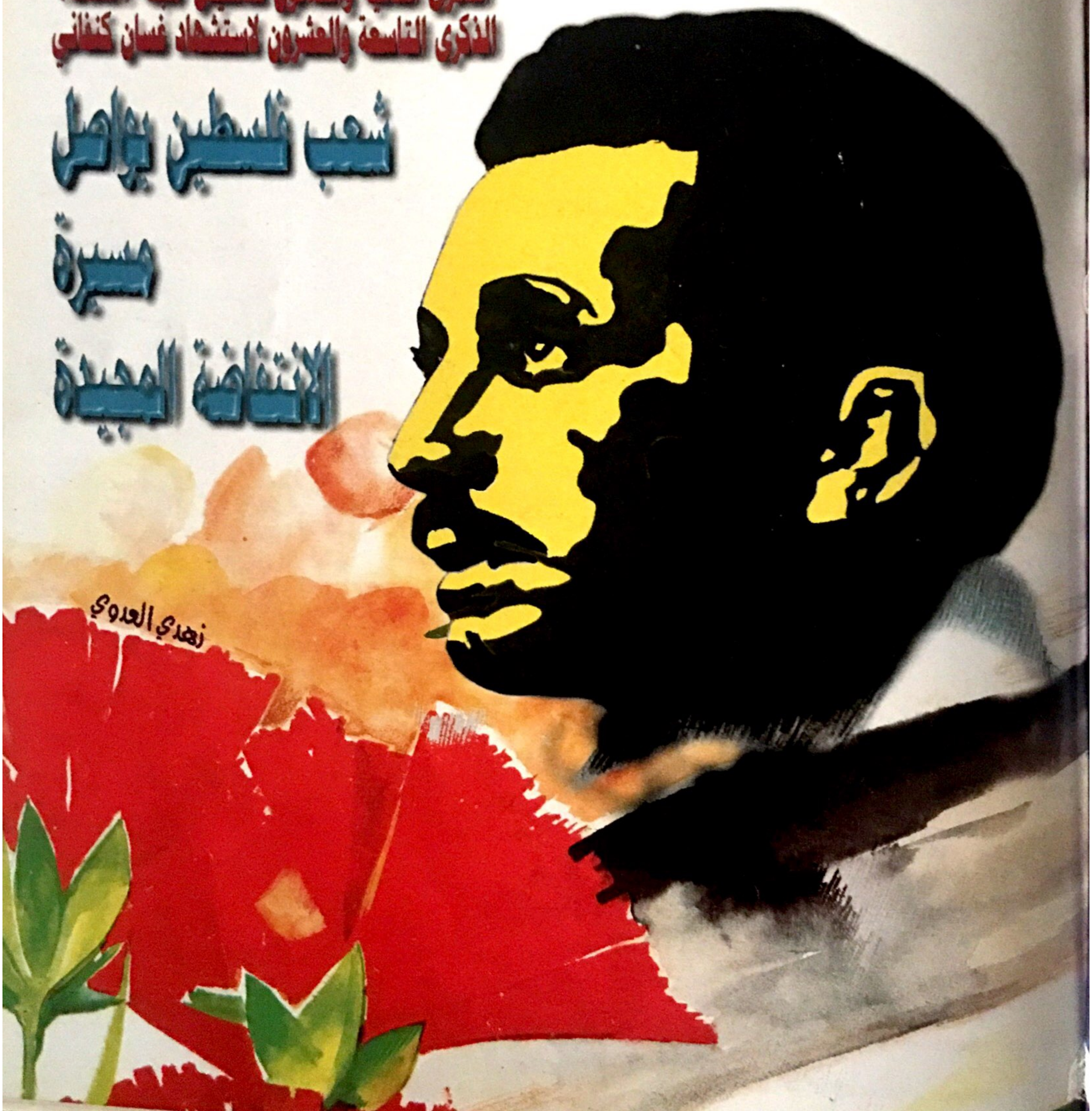
سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

AL – HADAF

الهدف

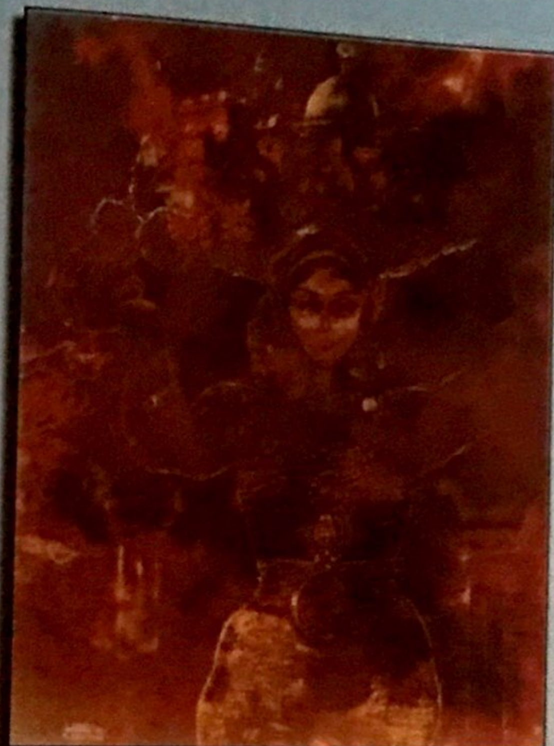
الذكرى الثانية والثلاثون لتأسيس مجلة «الهدف»
الذكرى التاسعة والعشرون لاستشهاد غسان كنفاني

شعب فلسطين يواصل مسيرة الانتفاضة المجيدة



معرض استعادي للفنان التشكيلي زهدي العدوي على هامش فعاليات الذكرى ٢٩ لاستشهاد غسان كنفاني!

علي الكردي





الفن التشكيلي كان حاضراً أيضاً على هامش فعاليات الذكرى التاسعة والعشرين لاستشهاد غسان كنفاني.. من خلال المعرض الاستعادي للفنان زهدي العدوي الذي أُقيم في مقر مجلة «الهدف».

وإذا كان غسان قد مارس حرية التأمّل من خلال مداعبة اللحظات القليلة التي كان يقتنصها بعيداً عن هموم السياسة والإعلام والانشغال في الهمّ الأدبي، فإن الفنان زهدي العدوي قد قاوم أيضاً ثقل الزمن، الذي كان يضغط عليه خلال السنوات الطويلة التي قضاها في معتقلات العدو الصهيوني، من خلال مداعبة الخطوط، والألوان والتكوينات التي كان يرسمها بمواد، وعلى خامات بدائية، مما هو متوفر في محيط عالمه المغلق.

عرض الفنان زهدي العدوي في معرضه الاستعادي نماذج من أعماله التي أنجزها خلال تلك الفترة المعتمة، وكأنه كان بهذا الفعل «يدق جدران الخزان».. كذلك عرض نماذج أخرى تكثّف تطور تجربته الفنية في فترة ما بعد المعتقل، وبنظرة سريعة على مجمل الأعمال المعروضة، يمكن للمتلقي أن يتلمّس التطورات النوعية التي أنجزها خلال هذه الفترة، إذ بدأ يميل الفنان العدوي إلى صياغات رمزية وتعبيرية تركّز على الأبعاد الجمالية في لوحته، حيث بات الموضوع يتخفّى وراء الجملة التشكيلية الصاغة بالخطوط المختزلة المنسابة بإيقاعات موسيقية، فيما تندغم المساحات اللونية المتراقصة على سطح اللوحة للتعبير عن تلك الحساسية المرهفة، والجياشانات العاطفية التي تعتمل في داخله، وهذا الأمر نتلمّسه على وجه الخصوص في لوحاته الأخيرة، فيما نرى أن لوحات المرحلة السابقة قد ركّزت على التكوينات الغرافيكية (أبيض وأسود)، وهذا يُعتبر تحدّياً آخر خاضه العدوي في سياق تطور تجربته الفنية التي تبلورت ملامحها في تجاربه الأخيرة.

موقفنا

مأزق أضلاع المثلث

بحكم الحالة الصراعية الساخنة في الأراضي الفلسطينية بتنا نلحظ مأزق العوامل الفاعلة الثلاث «الحكومة الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية والانتفاضة». ولكل منها عناصره وعوامله وأولوياته الفاعلة في صناعة المأزق، فماهي معالم هذا المأزق والى أين يسير وماهو المخرج.

أولاً ـ على الجانب الإسرائيلي:

أصبح شارون، أحد صناع العدوانية الصهيونية في يومياته التي سبقت وصوله إلى قمة السلطة كنتاج مجتمعي هو بالولادة عنصري فاشي، تزايد جنوحه الفاشي مع اختيار شارون على قمة الهرم السياسي كتمثيل أمين له ولنزوعه اللامحدود نحو العدوانية، وباعتبار أن «السلام» ليس من طباعه بل هو دخيل على مفاهيمه، وعليه فهو حاملاً لإرث عقود من مفاهيم ايديولوجية مندمجة في المصالح الاقتصادية القصوى، ونزوع الهيمنة وتنامي قسوة الأصولية الدينية التوراتية في التأثير على السياسة وقمة قراراتها وتشكيلاتها فهو وارث لبن غوريون في نزعة الطرد والإلغاء مثلما هو وارث لرابين بعدم قدسية الاتفاقات والمواعيد، كما هو وارث لمقولات نتنياهو المتضمنة في كتابه (مكان تحت الشمس) كلها خلطة تتجسد الآن في قمة السلطة السياسية.

لاشك ان شارون وحسب الاستطلاعات الداخلية لازال يتمتع بغالبية، لكنها تضعضعت روحها مع تصاعد وتيرة السؤال بعد أن تجاوز شارون في أفعاله العدوانية ضد الشعب الفلسطيني كل الآخرين الذين سبقوه، وفشل في إركاع الشعب الفلسطيني لإرادته، فالمقاومة لازالت ناشبة، وتزايد الغباش على صورته من شعار «ضبط النفس» الذي تحول إلى قطع النفس، ولم تشفع له أعماله الاستيطانية (داخلياً) ولا جولاته الدبلوماسية وشريكه شمعون بيرس «خارجياً» فالمستوطنون يفرون يومياً والطرق لم تعد آمنة والجيش يتذمر إما من ضبط النفس أو من إرهاق الخدمة أو من الكلفة المتزايدة وحصاد الخيبة.

ثانياً ـ على جانب السلطة الفلسطينية:

فهي من ذات القماشة والتكوين السياسي والاجتماعي التي صنعت أوسلو 1993 وماتلاه، هي ذاتها التي رفضت مقترحات كامب ديفيد في تموز 2000 وهي ذاتها ساهمت في الانتفاضة على حال الجمود الذي ساد عشية انطلاقها إلى جانب الحركة الشعبية بكل قواها، وهي ذاتها التي ذهبت لشرم الشيخ (تشرين 2000) ثم تلاحقت خطواتها هبوطاً في قبول المبادرة المصرية/ الأردنية ثم تقرير ميتشل (الخدعة الكبرى)، ثم تفاهم تينيت وادخلت نفسها في المربع الإملائي ـ الأمريكي/ الإسرائيلي (وقف اطلاق النار، وقف العنف، الأمن، أولاً الأيام السبعة، التهدئة، بناء الثقة)، الخ من المفردات التي ابتعدت كلها عن المشكل الأساس المتمثل بوجود الاحتلال.

كأنه لم يكفِ الشعب الفلسطيني ازدواجية الخطاب السياسي من حيث وتيرته ومستواه بل تفاقم المأزق عبر الإعلان عن التزامات مهينة، بواقع المنهج وبثقل الضغوط، وهكذا خلقت من المقاولات بضاعة وهمية، اسمها قطع الوقت من اجل الانتقال من المفردة الاسرائيلية «الأمن أولاً» الى المفردة الفلسطينية «تجميد الاستيطان» والذي هو أقل ما تنادي به حركة السلام الإسرائيلية التي تطالب بإنهاء الاستيطان، وتواصل الهبوط حتى عن الحماية الدولية إلى مراقبين دوليين.

قد يقول قائل «هي تمارس التكتيك وتترك للثوريين العمل»، لكن الوقائع ليست كذلك، إذ لو كانت كذلك لاستجابت على امتداد ما يقارب الشهور العشرة السابقة، لدعوات تحسين وتحصين الوضع الداخلي، بما يوفر شروط الإدامة وكسب المعركة، وهي اليوم تستخدم مصادر معلوماتها عن احتمالية الاجتياح العسكري، ومخطط تدمير السلطة ليس من أجل الاستعداد للمواجهة، بل من أجل تبرير الهبوط بالسقف السياسي وتلبية التجاوب مع كل مبادرة تهبط عن الأخرى بدرجات..

لم يعد المأزق في مظهره في ازدواجية الطلب..بل تنامى حتى أصبح انفصام، وهو كذلك إلى أن تتم الاستدارة من الالتفات لسياسة العلاقات العامة الخارجية، إلى الالتفات الجدي للهم الداخلي الهادف لتحسين الحال في مواجهة كل احتمال.. وهيهات أن تكون تلك الالتفاتة..الآنية.

ثالثاً ـ الانتفاضة والحركة الوطنية والإسلامية :

فضلها كبير وإنجازها عظيم، إلا أن ماكان مقبولا في شهورها الأولى لم يعد مقبولا اليوم..ومأزقها الراهن يتمثل في غياب دورها كمرجعية والتي احتويت عبر القرار السياسي والمالي من قبل السلطة، والأرجل المختلفة مابين الحالتين، أحيانا تفقد خطاها أو وقعها إن جاز القول بسبب من الارتباك السياسي، التي لاتساهم هي في إنتاجه، بل هو يصدر لها كبضاعة جاهزة وماعليها إلا تسويقه أو إن لم تحسن فعلاً فوضعه في رفوف دكاكينها.

إذا هي الانتفاضة المرعبة لشارون لأنها وضعت معاولها الأولى في هدم المستوطنات وقتل الصمود الكذاب عند المستوطنين، وتلك هي الانتفاضة التي أعادت الاعتبار للسياسة وللفعل الوطني الفلسطيني وأجادت صنعاً في أنها أعادت الحيوية للاسم والاعتبار الفلسطيني بعد السنوات العجاف.

هذا هو مأزقها تفعل الكثير بكل المعاني والدلالات الكبيرة، إلا أنها تفقد الأساس المرجعي في صنع القرار أو توفير حماية بنيوية اجتماعية، تتوحد في الميدان وتختلف على هدفها الرؤيا حيث يراه البعض/ حرية واستقلال ويراه آخرون تحسين ميزان سياسي تفاوضي يعود بنا إلى 2000/9/28 م.

كيف الخلاص من مأزقها؟ هل هو البرنامج؟ هل هي المأسسة الشعبية ؟ هل هي قيادة الطوارىء؟ هل هي الجبهة الوطنية المتحدة.

أعتقد انه من المجدي وضع كل الأسئلة على طاولة البحث، حتى يؤمّن البحث وحده رؤيا لصنع سياسة جديدة تغادر المقيدات لتحرر نفسها أولاً، ولتوليف الأداة ثانيا، كي تتحمل مسؤولية الإدامة للانتفاضة الشعبية.

بالخلاصة وكي نكسر الضلع الأول من المعادلة (الذي هو الاحتلال) لابد من اتباع سياسة تعميق مأزقه بالانتفاضة والمقاومة، لابإراحته عبر الاستجابة لمفرداته، أو الدوران في حلقاته ■■

أسسها
عام 1969
الشهيد
غسان
كنفاني



رئيس التحرير
جـــواد عـــقـــل
سكرتير التحرير
أحـمـد جـابـر
مدير الادارة
محمد خير الاسعد
المدير الفني
زهـــدي العـدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل
سوريا ٢٠ ل.س
الأردن ٥٠٠ فلساً
العراق ٥٠٠ د.ع
الإمارات ١٠ دراهم

الجزائر ١٥ ديناراً
ليبيا دينار واحد
تونس ١,٢٥ د.ت
صنعاء ١٥ ريالاً
السودان ٦ جنيهات

المغرب ١١ درهم
امريكا وكندا ٣ دولار
المانيا ٥ ماركات
اسبانيا ٣٠٠ بيزيته

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س - لبنان والأردن ٣٠ دولار - بقية الدول العربية ٥٠ دولار
اوروبا ١٢٥ دولار - اسيا وافريقيا ١٠٠ دولار - الامريكتين واستراليا ١٥٠ دولار

يتم الاشتراك بإرسال إشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي:

بنك بيروت والبلاد العربية. شتورا - لبنان
رقم الحساب:
AC. No. 0013 - 373179 - 001

او بإرسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق / ص.ب: ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق: ص.ب ٣٠١٩٢ - دمشق: ٦٣٢٨٣٦٧ فاكس: ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠ / عمان: ٦٩٦٣٤٠ - الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ - ٣٨٤٣٠٤
بغداد: تليفاكس ٧٧٨٣٦٩٠ - صنعاء: ٢٠٥٨٤٩
الموقع الرسمي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على الانترنيت:
http://www.pflp-pal.org
البريد الإلكتروني:
alhadaf@mail.sy

التوزيع

□ التوزيع في الجمهورية العربية السورية:
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
□ التوزيع في المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف.
□ التوزيع في العراق: الشركة الوطنية للتوزيع والنشر.
□ التوزيع في الأردن: شركة الفريد للنشر والتوزيع - عمان

AL - HADAF
الهدف
سياسية عربية - شهرية

كلمة

كعادتها كل سنة تكرس الهدف عددها في تموز لذكرى المها الخاص، غياب مؤسسها الشهيد غسان كنفاني.

وإذ نقف مستخلصين دروس غسان في ذكراه التاسعة والعشرين، تحتفل الهدف بذكرى إطلاقها الثانية والعشرين، مشروعاً ثقافياً نهضوياً، تنويرياً..لم تساوم على ثوابتها، ولم تهزمها الرياح الصفراء..

ولن تنسى الهدف في هذا الشهر ذكرى اليمة أخرى، الذكرى الرابعة عشرة لاستشهاد ناجي العلي.. الذي كان بريشته التي لا تساوم كانما يحاكي شعار الهدف: كل الحقيقة للجماهير.

هذا العدد مكرس إذن للاحتفال بالتأسيس من جهة، وللوقوف بصمت عند ذكرى الشهيدين من جهة أخرى.

والهدف في ذكراها الثانية والثلاثين تعيد إطلاق نفسها من جديد لتصدر اعتباراً من هذا الشهر في رام الله أيضاً، إضافة إلى الخارج مواصلة درب فارسها الأول.

وبحكم خصوصية العدد كان لابد من إهمال موضوعات والتركيز على اخرى، ولعل الحدث المهم الذي لم نفرد له موضوعاً خاصاً هو قمة جينوى، وبالتحديد ما رافقها من مظاهرات ضد العولمة، وتشييء الإنسان وسحقه، ليزيد الفقر فقراً والغني غنىً.

اللافت في مظاهرات «شعب سياتل» في جينوى، إعلان تأييد هذا الشعب لحقوق الشعب الفلسطيني، والمطالبة بوقف العدوان عليه، ولعل ما يدفع قضية الشعب الفلسطيني إلى واجهة مطالب مناهضة العولمة مشاركة طرف فلسطيني ضمن المنظمات الداعية للتظاهر والاعتراض، نعني منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أوروبا، وفي ظل كون هذه المنظمة هي الوحيدة العربية المشاركة في هذا النشاط العالمي، فإن هذا يطرح عربياً أهمية الحضور العربي، ليس فقط ضد العولمة وإنما أيضاً وفي التفكير في كيفية حشد تأييد شعبي واسع عالمياً لمصلحة قضايانا، عبر الانخراط في الأنشطة العالمية وبناء تحالفات عبرها.

مناهضو العولمة ليسوا مجموعة فوضويين، وإنما تيار عالمي عارم يريد أن يحدث تغييراً.



موضوع الغلاف:

شعب فلسطين
يواصل مسيرة
الانتفاضة المجيدة
ص ٦

«الهدف» ٣١ تموز ٢٠٠١ - العدد ١٣٢٠
السنة الثالثة والثلاثون - الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1320 - 31/7/2001

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون عربية

شؤون دولية

الهدف الثقافي

الحدث

يواصل شعب الانتفاضة الفلسطينية المجيدة مسيرته غير آبه بكل ما يجري حوله من تحركات دبلوماسية مكثفة وغير آبه لكل ما وصلت إليه لجنة ماسشي بميتشل من اقتراحات، وما تبعها من تفاهمات تينيت السيئة الصيت والسمعة، ليس لأن شعبنا يريد أن يدير ظهره لما يجري حوله، لكن خبرة السنوات الماضية أقنعت هذا الشعب المناضل أن طريق الخلاص وبلا رجعة من الاحتلال ومصائبه تستدعي قبل كل شيء أن يستمر النضال البطولي بمختلف الأشكال والأساليب الشعبية والمقاومة والقادرة على وضع حد للعدوانية والفاشية والهمجية التي يستقل بها جنود الاحتلال وقطعان المستوطنين والذين تفوق جرائمهم المرتكبة بشكل يومي ضد أهلنا وشعبنا في الضفة والقطاع ومناطق 48 ما شهدته البشرية في تاريخها المعاصر، والأنكى أن هذه الجرائم تمارس بصلف وبدم بارد أمام المجتمع الدولي وكل هيئاته التي ما فتئت تتحدث عن السلام والأمن وحقوق الإنسان دون أن تحرك ساكناً بل وفي أحيان كثيرة ساوت بشكل ظالم بين ما يرتكب من جرائم منظمة ومخططة من قبل دولة وأجهزتها المختلفة، دولة تحتل شعباً منذ أكثر من نصف قرن، وما بين ما يمارسه شعبنا من مقاومة مشروعة للاحتلال.

شعب فلسطين وقواه الوطنية والإسلامية يواصلون مسيرة الانتفاضة المجيدة

جواد عقل

فمن حق أبنائه أن يمارسوا كل أشكال المقاومة والتي أقرتها كل الأعراف والمواثيق السماوية والدنيوية، بل ولقد انحازت العديد من القوى الدولية المؤثرة لإسرائيل وبرامجها وسياساتها العدوانية وفي أكثر الحالات فضل البعض السكوت وعدم إدانة هذه الجرائم.

وفي عالمنا العربي لم يتمكن النظام الرسمي العربي من مَدِ يَدْ العون والمساعدة الحقيقية لشعبنا المقاوم المدافع عن أرضه وكرامته وشرفه بأصالة رغم كثرة القرارات والخطابات المليئة بالحماسة والإشادة بالانتفاضة وشعبها وشجاعتها وقدسية المبادئ والأهداف التي تناضل من أجلها فحتى اللحظة دعمهم السياسي والمعنوي والمادي مازال دون الحد الأدنى المطلوب بل ويتراجع يوماً بعد يوم من جراء الضغوط الأمريكية الإسرائيلية وهذا ما يفسر استمرار أبواب بعض العواصم العربية مفتوحة أمام عصابات القتلة والمجرمين في تل أبيب وتحت مسميّات مختلفة أحياناً تحت شعار المساعدة ووضع حد لمعاناة الشعب الفلسطيني وإتاحة الفرصة لمواصلة الحوارات السياسية مع القتلة وأحياناً أخرى من أجل استمرار الضغط على إسرائيل لتذعن للقرارات الدولية. وطبعاً قد تراءى للبعض نتيجة لحالة العجز والانكسار الرسمي العربي أن منع إسرائيل من اجتياح أراض السلطة ووضع حد لسياسة التهديد بالعدوان ضد سوريا وجر المنطقة إلى أتون حرب لاتعرف نتائجها بشكل برأي بعض السياسيين العرب نجاحاً لسياسة الحكمة والتعقل العربية. ونحن بدورنا نقول: إن هذه المخاطر ورغم إمكانية وجودها إلا أنها ليست قابلة للحياة بحكم جملة من العوامل والأسباب لم تعد خافية على أحد. وأبرزها:

1– إن الإدارة الأمريكية والتي حاولت لبعض الوقت تجاهل ما يجري فوق أرضنا من أحداث. أيقنت وبحكم حجم التضحيات وجسامتها واستمرار الشعب الفلسطيني في تقديم التضحيات مهما علت، لمصلحة كنس الاحتلال ودحره بمختلف الوسائل. لتعود إلى المنطقة مجدداً من أجل مساعدة إسرائيل في التخلص من الانتفاضة الفلسطينية الباسلة، والتخلص أولاً من تفاعلاتها المتزايدة والمتعاظمة في أوساط الإسرائيليين، والذين يبدو أنهم للوهلة الأولى، وبحكم طبيعة مواجهتهم لعدو خارجي موحدين لكن حقائق الأشياء وتفاعلات كثيرة تشير إلى إمكانية حصول تفاعلات داخلية قد تنذر بضرب ما سمي اعتباطاً وحدة الشارع الإسرائيلي في مواجهة الانتفاضة ودعمها لشارون وسياسته العدوانية. لكن أية قراءة متأنية تدرك أن ضربات الانتفاضة وتأثيراتها تلاحق وبشكل يومي المجتمع الإسرائيلي وإذا ما استمر الفعل الوطني المقاوم بوشائج مدروسة في كل الضربات لإسرائيل وأدواتها العسكرية وأذرعتها فإن تحولات ستحصل في هذا المجتمع لا محالة.

2– إن الإدارة الأمريكية تدرك أن تواصل الانتفاضة واستمرارها سيؤثر لا محالة على الوضعين الرسمي والشعبي العربي والذين لم يتمكنا حتى اللحظة من أداء دورهما نحو الانتفاضة، إلا أن تواصل الانتفاضة سيفتح آفاقاً رحبة وإن كانت بطيئة لاستجابة الوضعين الرسمي والشعبي لمتطلبات دعمها وإسنادها مما يشكل خطراً حقيقياً على الولايات المتحدة ومستقبل مصالحها في المنطقة.



3- إن الوضع الدولي رغم استمرار لامبالاته وعدم جديته إزاء ما يجري إلا أن استمرار الانتفاضة وما سيترتب عليه من ردات فعل شارونية غير محسوبة قد يضر بسمعة إسرائيل والولايات المتحدة مما يستوجب المسارعة وبشتى السبل إلى وضع حد للانتفاضة والحد من مبالغات ومغالاة شارون في استخدام العنف ضد أهلنا دون أي وازع أو حساب وهذا ما يفسر التصريحات الأميركية بين الفينة والأخرى والداعية حسب زعمهم إلى ضبط النفس وإعطاء فرصة للسلام المزعوم. رغم استمرار سياسة الدعم اللامحدود للكيان الصهيوني وجرائمه المتواصلة.

4- إن تواصل الانتفاضة وفعالياتها وتأثيراتها قد يهدد قدرة الولايات المتحدة الأميركية مستقبلاً على استمرار ضبطها ومحافظتها على أولويات سياستها في المنطقة والهادفة إلى ممارسة سياسة الاحتواء المزدوج التي تمارسها منذ أكثر من عشر سنوات ضد العراق الشقيق وشعبه إرضاءً لاسرائيل وضرباً لأية بادرة قومية عربية لرأب الصدع وإعادة التضامن العربي إلى مساره الصحيح لأن هذا الأمر يربك السياسة الأمريكية ويعقد من إمكانية محافظة الإدارة الأمريكية على دورها المميز في منطقتنا كونها أهم المعاقل الاستراتيجية والأمنية للولايات المتحدة التي تجني منها مليارات الدولارات.

وبناء على ما تقدم من حقائق فإن القوى الوطنية والإسلامية والشارع الفلسطيني أعلنا وبأكثر من مناسبة عن رفضهما لأية اتفاقيات أو تفاهمات لا تأخذ بعين الاعتبار الحقائق العنيدة التي رسختها تضحيات شعبنا في فلسطين والمتمثلة في ضرورة توفير حماية دولية مؤقتة لشعبنا لضمان حقه في طرح الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة غير منقوصة السيادة، والابتعاد عن كل المسميات، والتي تحاول خداع شعبنا ومنعه من مواصلة نضاله المشروع ضد الاحتلال وإجراءاته العبثية البربرية الهمجية المتواصلة. وعلى المجتمع الدولي، وبشكل رئيسي الولايات المتحدة وأوروبا والمنظمة الدولية، مواجهة إسرائيل وغلاة قادتها الذين لا يعيرون أي اهتمام واعتبار للقيم والمبادئ الإنسانية.

فمن حقنا أن نسأل هؤلاء إلى متى ستستمرون في مساواة الضحية بالجلاد؟! وشعوبكم خاضت نضالات بطولية ضد النازية وجرائمها ضد الإنسانية، تجلّها البشرية جمعاء وتعتز بها، فمن العار عليكم الاستمرار في سياسة التبرير وإدارة الظهر لهمجية وبربرية إسرائيل وأعمالها الإرهابية المنظمة ضد الشعب الفلسطيني، حيث أنها وأمام هذه الصورة تستمر في التمادي في ممارساتها اللاإنسانية واللاأخلاقية، وتفتك بكل ما هو انساني فوق الأرض الفلسطينية.

ومن الطبيعي أمام هذه الصورة البشعة من البربرية الموغلة في صلّفها أن يمارس شعبنا كل أشكال النضال بما فيها المقاومة الباسلة والتي تستهدف جنود الاحتلال وقطعان المستوطنون في إطار الدفاع عن النفس ووضع حد لسياسة الاستهتار والاستهانة بحياة شعب اعزل يتعرض يومياً لآلة الدمار الإسرائيلية والتي تمارس الاغتيال والتدمير وضرب البنى التحتية وتبالغ في حصاره في محاولة يائسة لفرض الإذعان والاستسلام، يمارس حقه الطبيعي في مقاومة المحتلين فتاريخ الشعوب يؤكد أن لا سبيل لنيل الحقوق المشروعة سوى ممارسة النضال بكافة أشكاله، فشعبنا ومهما غلت التضحيات ورغم كل الظروف الصعبة والمجحفة المحيطة بنضاله الوطني إلا أنه مصمّم على مواصلة مسيرة النضال حتى دحر الاحتلال وإقامة دولته الوطنية المستقلة وعودة البسمة إلى الأطفال والأرامل واليتامى، وسيتمكن شعبنا عاجلاً أم آجلاً من إعادة بناء ما هدمته الأيدي الصهيونية الآثمة ■■

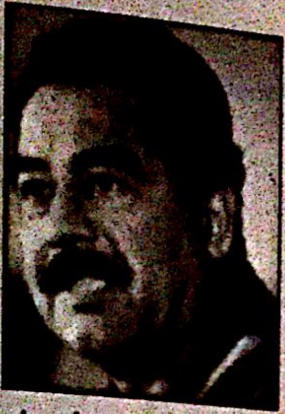
الرفيق أبو علي مصطفى يهنئ الرؤساء صدام حسين وعبد العزيز بوتفليقة وفيدل كاسترو

رام الله: ابرق الرفيق ابو علي مصطفى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إلى الرئيس صدام حسين، مهنئا باسمه وباسم الجبهة الشعبية، بذكرى ثورة السابع عشر من تموز عام 1968.

وجاء في البرقية: (إنني على ثقة اكيدة بأن الشعب العراقي الشقيق الذي صمد في وجه العدوان، وقاومه بكل قوة وعنفوان، سيكون قادرا على قهر الحصار الظالم المضروب عليه باسم الشرعية الدولية المزعومة).

واعرب الرفيق الأمين العام عن تضامن الجبهة الشعبية مع الشعب العراقي، واعتبر معركة الشعب العراقي هي معركة الشعب الفلسطيني الذي





يواجه التدمير الممنهجي على أيدي قوات الاحتلال الصهيوني، بهدف تركيعه وفرض شروط الاستسلام عليه. كما عبر عن ثقته بوقوف كل الشرفاء والأحرار العرب بجانب شعبنا الذي يواجه العدوان والعنصرية بإرادة فولاذية.

كما وجه الرفيق ابو علي مصطفى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برقية تهنئة للرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيس الجمهورية الجزائرية بمناسبة الذكرى التاسعة والثلاثين لاستقلال الجزائر، اكد فيها على عمق التلاحم الفلسطيني الجزائري متمنياً للجزائر الشقيقة تجاوز المحنة حتى تعود لممارسة دورها التاريخي.

ووجه الرفيق ابو علي مصطفى "الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحية للرفيق فيدل كاسترو بمناسبة الذكرى الثامنة والأربعين للهجوم على ثكنة المونكادا وانطلاق الثورة الكوبية المظفرة، أكد فيها تقدير الجبهة الشعبية والشعب الفلسطيني للشعب الكوبي الصديق وقيادته المناضلة نحو مزيد من الصمود في وجه العدوان الأمريكي، وحيّا الرفيق الأمين العام صلابة وثبات الموقف الكوبي إلى جانب الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة.

المكتب الصحفي ـ رام الله

تعقيباً على ما نشرته صحيفة الحياة الجديدة في يوم ٢٠٠١/٧/٨ حول التعديل الوزاري المرتقب وتداول اسم الجبهة الشعبية في هذا السياق، أكد مصدر مسؤول في الجبهة، أننا لم ننشغل بهذه القضية، وليست أولوية بالنسبة لنا في الوقت الذي ندعو لتعديل السياسة الرسمية الفلسطينية، نحو رسم سياسة وطنية صائبة. ودعا المصدر إلى تفعيل مؤسسات م.ت.ف كخطوة باتجاه خلق معطيات جديدة في الحياة الفلسطينية بما يستجيب للانتفاضة الشعبية الباسلة.

ـ عقبت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على إقدام بعض الشخصيات وممثلي مؤسسات فلسطينية على عقد لقاءات تطبيعية مع رئيس الكيان الصهيوني ويوسي بلين أو اللقاءات الغير الرسمية مع شبيبة ميرتس في بروكسل، حيث تجرى محاكمة شارون على جرائمه، بأن هذه اللقاءات تعد خرقاً للاجماع الوطني الفلسطيني وتمييع للموقف الفلسطيني، داعية المؤسسات التي شارك بعض أعضاءها في هذه اللقاءات باتخاذ الإجراءات المناسبة بحق المطبعين.

وتشيد الجبهة بموقف اتحاد محطات الإذاعة والتلفزة الخاصة الذي جمد عضوية رئيسه على خلفيات حضوره أحد هذه اللقاءات.

ـ أسفت الجبهة الشعبية للقاء الذي تم بين السيد احمد ماهر وزير خارجية مصر مع شمعون بيرس وزير خارجية الكيان الصهيوني، واعتبرته خرقاً لقرار لجنة المتابعة العربية القاضي بقطع الاتصالات السياسية مع حكومة العدو الصهيوني.

بيانات عسكرية

ـ بتاريخ ٢٠٠١/٧/٢ أعلنت وحدة الشهيد وديع حداد من قوات المقاومة الشعبية الفلسطينية، الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، عن مسؤوليتها عن زرع وتفجير عبوتين ناسفتين في سيارتين صهيونيتين في مستوطنة يهود قرب تل ابيب رداً على جريمة اغتيال خمسة مناضلين بمحافظة جنين ورداً على غطرسة الإرهابي شارون مؤكدة التمسك بخيار المقاومة.

واصدرت قوات المقاومة في ٢٠٠١/٧/٦ بياناً حذرت فيه شارون أن ممارسة سياسة التصفية مهددة برد عنيف ومؤلم.

بيانات وطنية

ـ اصدرت القوى الوطنية والإسلامية بتاريخ ٢٠٠١/٦/٣٠ نداء الحرية للاسرى الأبطال، نددت فيه بالعدوان الصهيوني المسكوت عنه دولياً، ونددت بالعدوان الأمريكي المعادي للشعب الفلسطيني والأمة العربية وحدد البيان أياماً تضامنية مع الأسرى الأبطال في سجون العدو.

ـ كما أصدرت القوى الوطنية والإسلامية بتاريخ ٢٠٠١/٧/٧ نداء تعزيز الوحدة الوطنية واستمرار الانتفاضة والمقاومة الشعبية محددة برنامج فعاليات وطنية.

ـ وفي ٢٠٠١/٧/١٤ اعلنت القوى الوطنية والإسلامية عن تشكيل لجان الدفاع الوطني ضمن المبادئ والأسس الآتية:

ـ العمل على توحيد الجهود الرسمية ورص الصفوف لترسيخ الوحدة الوطنية.

ـ العمل على ترسيخ النظام وسيادة القانون وحماية المواطن.

ـ تعبئة وتوجيه الجماهير وتقديم الإرشادات والمساعدات في حالات الطوارئ.

ـ الإسهام في حماية الوطن والمواطن، والدفاع عن الأرض في مواجهة الحصار والقتل والتدمير ومحاولات اقتحام المناطق الفلسطينية.

ـ تاهيل وتدريب جهاز لجان الدفاع الشعبي.

كما أصدرت القوى الوطنية والإسلامية في ٢٠٠١/٧/١٤ نداء الصمود والتصدي للعدوان حددت فيه عدداً من الفعاليات الوطنية.

أنشطة وفعاليات في سورية



الصورة من أسبوع مخيم جرمانا الثقافي.

مخيم جرمانا

- في الذكرى التاسعة والعشرين لاستشهاد الرفيق غسان كنفاني أحيت اللجنة الثقافية لمنظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مخيم جرمانا أسبوعاً ثقافياً شارك فيه عدد من الأدباء والمثقفين.

ففي ٧/١٦ أقيمت ندوة ثقافية تحدث فيها كلاً من الكاتب عدنان كنفاني والدكتور يوسف حطيني، وأدار الندوة الكاتب باسم عبدو.

وبتاريخ ٧/١٦ أحيا الشاعر الفلسطيني أحمد الخطيب أمسية شعرية في المناسبة وفي ٧/٢٢ أقيمت أمسية شعرية شارك فيها كلاً من: القاص والشاعر عبد الكريم ونوس، القاصة محاسن الجندي، القاص فرحان المطر والشاعر صالح هواري.

وقدم لهذه الأمسيات الشاعر أحمد دخيل.

ترافقت الأنشطة الثقافية في مخيم جرمانا مع معرض لصور الشهيد غسان كنفاني وصور من الانتفاضة.. واختتم الأسبوع بقصيدة للطفلة دعاء حسين إحدى زهرات المخيم، مهداة لروح الشهيد كنفاني.

حمص

وفي الذكرى التاسعة والعشرين لاستشهاد الأديب والرفيق القائد غسان كنفاني أقام منتدى غسان كنفاني الثقافي في حمص ندوة حوارية تحت عنوان «غسان كنفاني الأديب والإنسان»، وشارك فيها الأستاذين: د. يوسف حطيني والكاتب عدنان كنفاني.

منتدى الشهيد غسان كنفاني بحلب

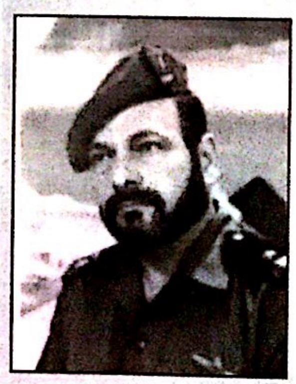
وبمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين لاستشهاد الأديب المناضل غسان كنفاني افتتحت القاعة الجديدة بسلسلة نشاطات ثقافية متميزة ألقيت بالافتتاح كلمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ألقاها الرفيق عمر عيد تحدث فيها عن المناسبة ودور الشهيد ومكانته الأدبية والكفاحية وآثاره الخالدة التي تدل على مدى ارتباطه بالوطن ودعوته إلى النظر لكل شيء من خلال الوطن ولمصلحة الوطن وحريته واستقلاله والعودة إليه، وتحدث الرفيق عن الوضع الراهن وأهمية التمسك بالوحدة الميدانية وصولاً لوحدة سياسية متماسكة حول استمرار الانتفاضة واستمرار المقاومة ورفض الإملاءات الصهيونية الأمريكية وأكد على أهمية دعم الانتفاضة واستمرارها حتى تحقيق الحرية والاستقلال.

ثم كانت النشاطات موزعة على ثلاثة أيام ففي اليوم الأول أبدع الشعراء «عبود كنجو ـ فائز العراقي ـ عصام ترشحاني» بقصائدهم الاحتفالية فكانت كلماتهم نابعة من صميم الجراح التي يعاني منها الإنسان العربي الذي يدعو لوقفة عز وإباء دعماً للمنتفضين الذين يدقون جدران الصمت واللامبالاة التي باتت تخيم علينا في حين يشتد العدوان على الشعب العربي في فلسطين والعراق. وفي اليوم التالي كان اللقاء مع الأدباء محمد أبو معتوق الذي قدم قصة مشوقة وجذابة شدت انتباه الحضور لما تضمنته من إشارات ورموز تلامس هموم المواطن العربي إزاء ما يواجهه من مواقف لا ترتقي إلى طموحاته..

كما قدم الأستاذ محمود وهب مقاربة رائعة نجحت في الربط بين دور أدب غسان كنفاني ونضال أبطال الانتفاضة، وكانت بعنوان «أبطال الانتفاضة ينفذون تعليمات عبد الجبار» بيّن فيها الأستاذ محمود وهب أهمية أدب غسان ودوره في الكفاح الوطني الفلسطيني ومكانته في الأدب العربي الحديث. وفي اليوم الثالث قدم الدكتور نضال الصالح دراسة نقدية في أدب غسان كنفاني أجاد فيها في تقديم تقييم موضوعي سليم لأدب غسان كصورة متقدمة للأدب الفلسطيني، وتحدث عن واقعية غسان في رواياته وصدقه والتزامه القضية الوطنية، وإبداعه في رواياته من واقع اللجوء والشتات الفلسطيني مبيناً لأبناء شعبه بأسلوب أدبي مشوق ورائع طريق الخلاص الحقيقي لهم من واقع اللجوء والمآسي والمتمثل بالخلاص الجماعي بالثورة للحصول على الحرية والعودة للوطن ومؤشراً لهم على طريق الحياة الحقيقية المتمثل بالنضال والاستشهاد من أجل الوطن.

وللحقيقة كما يقولون كما كانت البداية مسك كانت الدراسة مسك الختام للنشاطات الأدبية في هذه المناسبة التي شهدت حضوراً نوعياً متميزاً وحاشداً.

تعزية



تتوجه أسرة تحرير مجلة الهدف بالتعزية الحارة إلى اللواء الركن طارق الخضراء وقيادة جيش التحرير الفلسطيني وإلى أسرة وذوي الفقيد العميد الركن الحاج قدسي قبسي «أبو سفيان الساعدي» الذي وافته المنية أثناء قيامه بواجبه الوطني يوم الاثنين ٢٠٠١/٦/٢٩.

نعي شهيدين

فلسطين- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ممثلة بأمينها العام ولجنتها المركزية ومكتبها السياسي وعموم كوادر وأعضاء وأنصار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ينعون بمزيد من الفخر والاعتزاز

الشهيد البطل إبراهيم محمد الوهادنة

«ابن حركة فتح البار»

والشهيد البطل سالم طالب علي درعاوي

«ابن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين البار»

اللذان سقطا على ثرى أرض القدس فجر يوم أمس خلال قيامهما بواجبهما الوطني، المجد والخلود للشهداء الأبرار.

المبادرة العربية الدرزية تصدر بيانها رقم ٦

أصدرت حركة للبادرة العربية الدرزية في الجليل بيانها السادس حول مقاومة هذه الحركة لتجنيد الشبان العرب الدروز في الجيش الصهيوني. والمعروف أن التجنيد الإجباري للشبان العرب الدروز قد فرض عام 1956 بقوة القانون الاحتلالي، وبعد اتفاق الحكم الصهيوني مع عدد من شيوخ الطائفة.

وذكر البيان أن الكفاح لأجل مقاومة التجنيد الإجباري بدأ منذ فرض القانون، وكانت تأسست عام 1956 حركة الشبان الدروز الأحرار بقيادة الشيخ فرهود فرهود من قرية الرامة الجليلية، ثم تأسست عام 1972، لجنة المبادرة الدرزية، ثم اتسع النطاق وأعيد تشكيل اللجنة لتصبح حركة المبادرة العربية الدرزية. ويشير البيان إلى أن الخدمة الإجبارية فرضت على الدروز، فيما فتحت الجندية كاختيار وتطوع للعرب من الطوائف الأخرى ويدعو البيان إلى وضع استراتيجية لها تأثيرها العربي العام بما يشمل الدروز والبدو، حيث يجب أن تتصدى القوى السياسية العربية لهذا الأمر. كما دعا إلى عقد مؤتمر عربي لبحث قضية الجندية العربية في الجيش الإسرائيلي وأجهزة الأمن الصهيوني الأخرى.

تبرعات

- مجلة الهدف تتوجه بالشكر والتحية لـ:

١- المواطن العربي حبيب حرب من مدينة مونوستر في ألمانيا لتبرعه بـ (١٠٠٠) مارك لصالح لجان العمل الصحي.

٢- الجالية الفلسطينية في مونوستر لتبرعها بـ (١٠٥٠) مارك لصالح لجان العمل الصحي.

٣- الجالية الفلسطينية في مدينة رويتلجن لتبرعها بمبلغ (١٤٥٠) مارك لصالح لجان العمل الصحي.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تتقدم بالشكر للدعم والمساندة من:

١- لجنة التنسيق الشيوعي في فرنسا لتبرعها بمبلغ ٥٠٠ دولار أمريكي.

٢- الرفاق وأصدقاء الجبهة في فرنسا لتبرعهم بـ ١٥٠٠$

شكر على الدعم

تتقدم أسرة مجلة الهدف بالشكر لمنظمة عمواس السويدية لتبرعها بمبلغ:

- ٤١٥٠$ أربعة آلاف ومائة وخمسين دولاراً لدعم مجلة الهدف.
- ٩٠٠٠$ تسعة آلاف دولار لأسر الشهداء الفلسطينيين.

كما تتوجه الهدف بالشكر للدكتور /علي نجيب إبراهيم/ مدير المؤتمر الثقافي السوري في باريس لتبرعه بمبلغ ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف ليرة سورية لصالح الانتفاضة.

والمبلغ المذكور هو مردود ترجمته لكتاب ومض الأعماق الصادر عن دار كنعان للدراسات والنشر في دمشق.

نشاطات لجان فلسطين الديمقراطية

تشيلي

- أعلنت اللجنة الديمقراطية الفلسطينية في تشيلي عن بدء الحملة التضامنية مع الشعب الفلسطيني بعنوان (أقلام وريش تضامن)، وقد بدأت الحملة بتأييد ودعم أكثر من مائة شخصية أدبية وفنية. وهي تقوم برعاية اتحاد نقابات العمال التشيليين، وجمعت الفنانين التشكيليين ونقابة المعلمين التشيليين وراديو العالم الجديد واتحاد طلاب فلسطين فرع تشيلي.

- صدر عن اللجنة التنفيذية لليسار التشيلي والتي تضم الحزب الشيوعي التشيلي وقوى يسارية مستقلة والجبهة الموسعة للمهنيين اليساريين وغيرها في نهاية مؤتمرها السنوي بياناً عاماً لدعم الشعب الفلسطيني أدان الاحتلال العسكري الإسرائيلي ودعا إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة لوقف المجازر بحق الشعب الفلسطيني، وتمكينه من الوصول إلى حقوقه الوطنية المشروعة.

بلجيكا

- نظمت مجموعة ميزان الشبابية في مدينة (أوبن) بالتعاون مع فرع جمعية الصداقة في مدينة ليج في بلجيكا محاضرة عامة تضامناً مع الشعب الفلسطيني شارك فيها الرفيق حمدان الضميري سكرتير جمعية الصداقة الفلسطينية - البلجيكية ولياماتي من منظمة أطباء العالم الثالث المسؤولة عن مشروع طائرة من أجل غزة - ووجّه المشاركون رسائل إلى وزير الخارجية البلجيكية من أجل تغيير الموقف الأوروبي خلال رئاسة بلجيكا للاتحاد الأوروبي والتي تبدأ في ١ تموز.

فرنسا:

- نظمت أكثر من عشر جمعيات في مدينة ليل الفرنسية مهرجاناً تضامنياً مع الانتفاضة الفلسطينية، شارك فيه الرفيق حمدان الضميري ممثلاً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وألقى فيها كلمة حول الانتفاضة ودعمها، كما شارك في المهرجان ممثل عن اتحاد اليهود التقدميين في فرنسا من أجل سلام عادل.

لجان فلسطين الديمقراطية في أمريكا الشمالية

- أصدرت لجان فلسطين الديمقراطية في أمريكا الشمالية بياناً للجالية العربية نددت فيه بالعدوان الهمجي الصهيوني على فلسطين وبالصمت العربي المخزي أمام جرائم شارون ونددت بالعماء الدولي المتجاهل لحقوق الشعب الفلسطيني.

- أصدرت اللجان العدد الثاني من دورتها «العودة» الثقافية بالتعاون مع جمعية ترسعيا التعاونية، تناول العدد عدداً من العناوين حول أزمة العمل الوطني الفلسطيني في أمريكا، حملت المجلة صور ومقالات من أعداد مختلفة من مجلة الهدف.

- شاركت ل.ف.د في حفل التأبين للراحل فيصل الحسيني الذي أقامه أنصار حركة فتح في أمريكا وتحدث فيه الزميل خالد عضو اللجان حول القدس وأهميتها والانتفاضة.

- وفي ذكرى حرب حزيران ١٩٦٧، أقامت ل.ف.د مظاهرة حاشدة في مدينة شيكاغو شارك فيها العديد من المؤسسات الأمريكية الناصرة للشعب الفلسطيني تحدث فيها الزميل حاتم عضو اللجان حول أهمية الإعلام في مواجهة المجازر الصهيونية.

جماهير شعبنا في لبنان تحيي ذكرى استشهاد الرفيق غسان كنفاني



بيروت ـ شاتيلا

قام وفد من الجبهة الشعبية برفقة زوجة الشهيد آني وابنته ليلى والرفيق أبو ماهر اليماني ووضعوا اكليلاً من الورد على قبر الشهيد في مقبرة الشهداء. وتحدث في هذه المناسبة الرفيق أبو أحمد الزعتر عن مناقب الشهيد الرمز وأعماله التي ترجمت للعديد من لغات العالم الحية والتي تدرّس في بعض الجامعات وتحدث عن دور غسان في تسليط الضوء على الأدب الفلسطيني المقاوم وكتاباته التي تدعو إلى الثورة والكفاح المسلح وتدعو شعب فلسطين للتحرك نحو الوطن ولفظ الاستكانة والاستسلام مؤكداً للقائد أننا نعاهده على استمرار الثورة والسير على دربه من أجل تحرير فلسطين.

وبهذه المناسبة أقيم في مركز الشباب الفلسطيني بشاتيلا ندوة فكرية حضرها ممثلو فصائل الثورة الفلسطينية وحزب الله والهيئات الخيرية والاجتماعية وحشد من المثقفين والمهتمين. حيث ألقى الأخ صقر أبو فخر محاضرة بعنوان «غسان كنفاني الأدب والنضال» قدم لها الرفيق علي السعدي الذي أكد أن شعب فلسطين رغم كل الظروف مستمر في رفد الحياة بعطاءات متعددة الأوجه ومازال مستمراً في عطائه فداءً للوطن وهذا الشعب لم يخيب أمل شهيده الرمز غسان.

وتحدث الأخ أبو فخر في محاضرة قيّمة عن خصائص الأدب القصصي والروائي الفلسطيني مستعرضاً مراحل تطوره وانتشاره من خلال نماذج ما انتجه غسان وما تركه من أثر بارز وبصمات واضحة المعالم على سيرورة وتطور هذا النوع من الأدب في الساحة الإبداعية.

البارد ـ شمال لبنان

وبمناسبة ذكرى استشهاد الرفيق غسان أحيت مؤسسة غسان الثقافية هذه الذكرى، بافتتاح مكتبة في مخيم نهر البارد بحضور معالي الوزير السابق حسن نمر الدين، ووفود الأحزاب الوطنية اللبنانية، والمقاومة الفلسطينية، وممثلي المؤسسات الأهلية والاجتماعية وحشد من المهتمين بالأدب والثقافة حيث بدأ الاحتفال بكلمة الأستاذ فاروق غندور تحدث عن غسان المفكر والمبدع وعلاقته بغسان الإنسان حيث أكد أن غسان كان أصغر رئيس تحرير بجريدة المحرر وبعدها ملحق فلسطين بالأنوار والهدف.

وتحدث الأمين حسن عز الدين عن غسان وعشقه للأرض والتزامه بالقضايا الوطنية والقومية وجسد انتماءه للجبهة واستشهد من أجل قضية الجماهير والوطن وبالمناسبة قرأت الأخت كوثر صادق قصة صغيرة من قصص غسان. وبعدها قص الأمين حسن عز الدين الشريط إيذاناً بافتتاح المكتبة للنشئ الجديد.

أقامت لجنة الثقافة والإعلام في منظمة الشبيبة الفلسطينية أمسية للقصة والمقالة باللغة الانجليزية في قاعة التنمية المجتمعية في نهر البارد بحضور المؤسسات التربوية والاجتماعية وبعض المعلمين وحشد من الطلبة الجامعيين وتأتي هذه الأمسية في إطار نشاطات الملتقى الطلابي الفلسطيني.

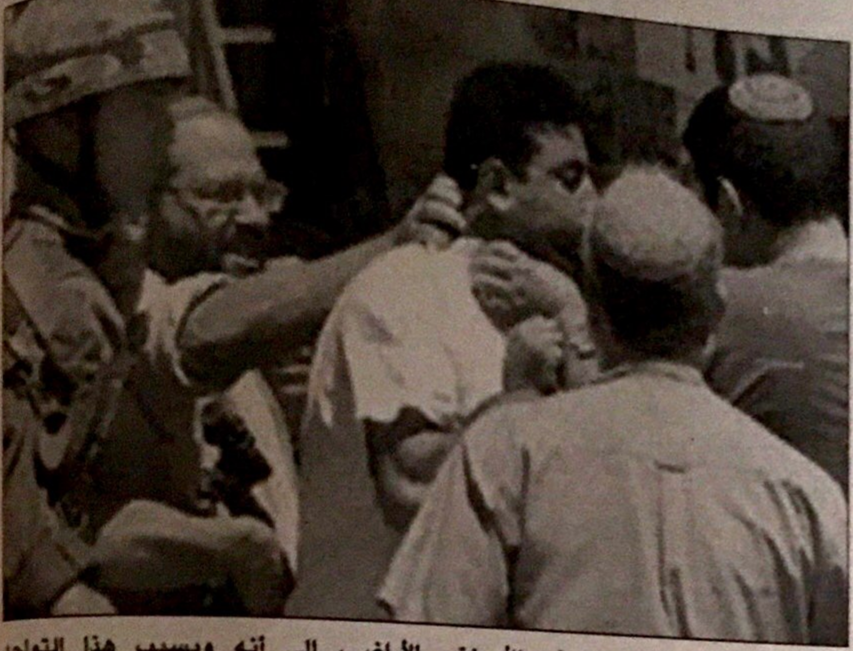
الشمال

بمناسبة الذكرى الأربعين لاستشهاد المجاهد الشيخ صالح شعبان، أقام نادي العودة الرياضي مباراة رياضية كبرى تخليداً لروحه الطاهرة بين فريق العودة والجمهور الطرابلسي، بحضور حشد غفير من الجمهور والفرق الرياضية، وألقى الرفيق سمير أبو جابر كلمة بالمناسبة أكد فيها على المعاني النبيلة التي حملها الشيخ في قلبه حتى آخر لحظة من حياته وقال نحن نستلهم مثله ومواقفه الثابتة. وتحدث عن الانتفاضة مؤكداً على ضرورة استمرارها حتى يتحقق حلم الشيخ صالح وكل الشهداء بالعودة إلى الأرض وتأسيس دولة فلسطين وعاصمتها القدس.

وانتهت المباراة بفوز فريق العودة ٢ صفر.

الخليل، عربدة المستوطنين تمحو حدود اتفاقها

تقرير نجيب فراج



تؤكد الإجراءات الإسرائيلية المشددة المتخذة في البلدة القديمة من مدينة الخليل، والمتمثلة بفرض حظر التجول المشدد بشكل متواصل، واحتلال أسطح عدد من البنايات المرتفعة، وإقامة المزيد من الحواجز العسكرية، وتمركز القناصة في كل زاوية وزقاق. وتحويل الجزء التاريخي من المدينة إلى ثكنة عسكرية، ومنع الأهالي من التنقل حتى في الحالات الإنسانية. تؤكد هذه الإجراءات مرة أخرى وحسب ما يقول مواطنون من المدينة على عمق الأطماع اليهودية القديمة في مدينة الخليل. إذ يعتبر ما يجري من ممارسات تحت ذريعة الوضع الأمني مجرد غطاء للتمسك بهذه الأطماع وتشجيع المستوطنين، مواصلة تجسيدها، وأكبر مثال على ذلك المجزرة البشعة التي ارتكبها قطعان من المستوطنين الإرهابيين في طريق إذنا/ ترقوميا، بإطلاق النار على عائلة الطميزي الفلسطينية التي كانت تستقل سيارة عرس، مما أدى إلى استشهاد ثلاثة مواطنين بينهم رضيع لم يتجاوز الثلاثة شهور، بالإضافة إلى جرح أربعة آخرين، بينهم رضيعة تبلغ من العمر أربعة شهور، وطفلة لم يتجاوز عمرها ثلاث سنوات، وجاء الحادث في سلسلة المجازر التي يرتكبها المستوطنون بشكل مبرمج وبتشجيع من قوات الاحتلال الإسرائيلي.

يرى عبد العليم دعنا، عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية أن ما تواجهه الخليل من هجمة مخططة تعكس ما في الصهيونية من شوفينيه وفاشية وعنصرية بغيضة، وهذه الهجمة يقوم بها المستوطنون والجيش وكل الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، فالممارسة تبين أنه لا يمكن فصل أي من المسميات المذكورة عن بعضها البعض.

ويؤكد دعنا بأن هدف هذه الهجمات هو اقتلاعي، تمهيدا للسيطرة على البيوت والأراضي والمواطنين وكل شئ. إلاّ أن نتيجة ذلك الفشل الذريع، تشبث المواطنين ببيوتهم وأرضهم مهما بلغت التضحيات، خاصة وأن الأمر لم يتوقف على القصف والتدمير بل تعداه إلى الهجمات الدائمة لسوائب المستوطنين التي توجت عدوانها بالاعتداء على أسرة الطميزي البريئة بدعم وتحريض من الجيش والأجهزة الأمنية.

وفي هذا السياق تاتي الهجمات الدائمة على الأحياء السكنية في البلدة القديمة من الخليل والمساكن المجاورة لمستوطنة كريات أربع، سيئة للغاية، فقد أحرقوا ودمروا كثيرا من بيوت عائلات الجعبري ودعنا والقيمري وجابر، وفي كل هجمة يتصدى المواطنون بكل ما تقع أيديهم عليه من وسائل الدفاع.

أما عباس زكي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، فقد اعتبر أن الأطماع اليهودية في مدينة الخليل متواصلة ومستمرة منذ فترة الانتداب البريطاني، وتمثل ذلك عبر المؤتمرات التي عقدها ممثلو الاستيطان، والتي طالبوا فيها بإقامة (موشاف)، وهي قرية زراعية استيطانية بجانب الخليل، لتقوية ما اصطلح عليه بالاستيطان المدني، وقد جاء ذلك بعدما ادعى اليهود مقتل 63 يهودياً، في مدينة الخليل عام 1929، وقد رفعوا رسائل عديدة إلى حكومة الانتداب البريطاني يطالبون فيها بتسليم مساحات واسعة من الأرض لإقامة قرى يهودية حول المدينة، إلا أن تلك المحاولات لم تلق النجاح في تلك الفترة، فيما لم تتلاش الأطماع فقد كانت الخليل الهدف الثاني بعد القدس.

وأشارت مصادر في لجان الدفاع عن الأراضي، إلى أنه وبسبب هذا التواجد الاستيطاني أصبح التوتر والاضطراب حالة شبه يومية، وصار الهدوء والاستقرار داخل البلدة القديمة هو استثناء. وقد وصل الأمر إلى حد تشكيل ميليشيات عسكرية خاصة بالمستوطنين، تأخذ على عاتقها القيام بأعمال قتل وتخريب وإضرام بالنار في السيارات والمزروعات الفلسطينية، وتهدد هذه العوامل المستقبل السياسي للمدينة، وتفقدها عنصر الأمان والاستقرار، وتجعل منها منطقة ساخنة دوما، وقابلة للانفجار في أي لحظة حسب ذات المصادر.

ويؤكد باحثون في ميدان الاستيطان بأن اعتداءات المستوطنين داخل البلدة القديمة قد تضاعفت خلال الانتفاضة الحالية، مستغلين أيام منع التجول التي بلغت خلال الشهور العشرة (150)، يوما، منع خلالها نحو أربعون ألف مواطن يقطنون داخل البلدة القديمة من التنقل تحت أي سبب من الأسباب، وسط النقص الحاد في المواد التموينية والدواء، في حين يسمح لأربعمئة مستوطن بالتجول كيفما يشاؤون لتصل الأمور إلى استغلالهم فرض حظر التجول ليقوموا بالاستيلاء على بعض المباني الفلسطينية، وخاصة المحلات التجارية.

ويبلغ عدد البؤر الاستيطانية داخل البلدة القديمة سبع بؤر، تشكل خطرا على تواصلها

الجغرافي وتمثل هذه البؤر معازل داخل البلدة القديمة، فضلا عن تقسيم المدينة بمجملها إلى قسمين، أحدهما يخضع للسيطرة الأمنية الفلسطينية وآخر يخضع للسيطرة الإسرائيلية، كما تم تقسيم الصلاة في الحرم الإبراهيمي بين المسلمين واليهود، عقب ارتكاب الإرهابي باروخ غولد شتاين مجزرة المصلين في الحرم الإبراهيمي. وتنتشر البؤر الاستيطانية في البلدة القديمة في منطقة الحسبة، التي تمت السيطرة عليها بحجة الأمن، ومنطقة الدبويا، ومنطقة الكراج، ومدرسة أسامة بن المنقذ التي تحولت إلى مدرسة تلمودية، وأفرهام افينو، ومنطقة الحرم الإبراهيمي، ولذلك كانت أولى مهام الحركة الاستيطانية تهويد هذا المَعْلَم وطمسه واستبداله بكنيس يهودي، أما منطقة تل ارميده فهي إحدى المحطات الهامة التي تقع ضمن الخارطة الاستيطانية في قلب المدينة، وذلك لاستكمال الحلم التوراتي لربط المنطقة بشبكة استيطانية، تمتد من تل ارميدة إلى الدبويا إلى مدرسة أسامة ثم الحسبة تواصلا مع الحرم الإبراهيمي إلى أن تصل إلى مستوطنة كريات أربع خارج حدود المدينة.

وحسب مصادر فلسطينية فإن موشي ارنز وزير الدفاع في حكومة الليكود في العام 1984، صادق، على إقامة تل ارميدة لتسكنها فيما بعد سبع عائلات، وهذه المنطقة محاطة بالسكان الفلسطينيين وتشترك مع هذه البؤرة الاستيطانية في الطريق. أما ما يتعلق بالطرق المغلقة داخل البلدة القديمة فقد سبق لبلدية الخليل أن أصدرت مخططا توضيحيا يبين الشوارع والمعابر المغلقة وسط مركز المدينة، إما من خلال بوابات حديدية أو بالبراميل الإسمنتية، وقد بلغ عدد الطرق والشوارع المغلقة (33)، شارعا ومعبرا، لتتحول الخليل القديمة إلى أقسام منعزلة عن بعضها البعض، (فمدينة بأكملها وحاضرها وتاريخها ومستقبلها جرى تخريبه بهذا الشكل من أجل عيون أربعمائة مستوطن)، هذا ما قاله ابو ربحي أحد سكان الخليل... الذي أضاف متسائلا (أي شرع أو قانون أو ملة تجيز مثل هذه الأعمال الهمجية).

رغم مكعبات الإسمنت، فالحدود بين (H1) و (H2)، في الخليل غير واضحة المعالم ومتداخلة، وتسمح بتسلل المستعربين والمستوطنين لقلب المدينة، ولم يكن أيوب الشعراوي فريسة صعبة لمختطفيه، حيث تمت عملية الاختطاف في وضح النهار وبدون ضوضاء. لقد أعطى اتفاق الخليل الذي وقع مع نتنياهو، مجالا لتهويد أكبر للمدينة، وما تعانيه المدينة الآن، هو نتيجة عدم الحسم الفلسطيني بأن كل الخليل فلسطينية ■■

غزة: البطالة تتفشى والفقراء يدفعون الثمن

جلس عمر أبو عون (53 عاماً) على أحد المفترقات الرئيسية في غزة بانتظار الحصول على فرصة عمل ليعود لأطفاله بما يسد رمقهم... طال انتظاره في ذلك اليوم وعاد صفر اليدين إلى أسرته وأطفاله...

أبو عون صرخ قائلاً «آتي إلى هنا منذ أسبوع على أمل ان أجد عملاً بأي ثمن ولكنني أعود بلا عمل... وأضاف بحزن... كثير من العمال يأتون إلى هنا مع ساعات الصباح الباكر ولكن أرباب العمل لا يأتون فالأوضاع السائدة فرضت نفسها على الجميع...»

أبو عون عاد إلى بيته خالي الوفاض مثل آلاف العمال وأرباب الأسر في غزة، الذين لا يجدون قوت يومهم منذ بضعة أشهر ويعتاشون على المساعدات الاجتماعية التي تصرفها وكالة الغوث أحياناً أو المؤسسات الاجتماعية التي تجود عليهم أحياناً بما لديها...

وقال... كنت أعمل داخل الخط الأخضر ومنذ اندلاع الانتفاضة وأنا ممنوع من العمل... لكن الصغار لا يعرفون معنى أن تفقد مصدر رزقك... فهم يريدون كل شيء...

وتقول منظمات حقوقية ودولية تعمل في محافظات غزة، أن نسبة البطالة ترتفع شهرياً بسبب توقف الكثير من المصانع عن العمل بسبب الحصار الإسرائيلي للمناطق الفلسطينية، ومنع دخول كثير من المواد الخام إلى بعض المصانع الصغيرة التي كانت تشغل عددا من العمال...

في غزة يمكن تلمس نسبة البطالة العالية في صفوف المواطنين... فإذا تجولت في الشوارع تجد آلافا من المواطنين الهائمين على وجوههم بدون عمل وبدون اي مصدر رزق آخر...

ورغم ان المشكلة عامة إلا أن اللاجئين في المخيمات والفقراء في الأحياء الشعبية هم المتضرر الأكبر نتيجة غياب المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وعدم الاهتمام الكافي بهذه الفئات منذ سنوات عديدة...

ويقول الباحث والمختص في شؤون العولمة والتنمية غازي الصوراني للهدف «أن معدلات البطالة خلال انتفاضة الأقصى تسارعت بشكل كبير جداً وتدهورت الأوضاع الاقتصادية بصورة غير عادية خاصة لدى سكان المخيمات والمناطق الشعبية...».

وقال: «أن الفجوات الاقتصادية في أوساط الشعب الفلسطيني اتسعت بشكل غير مسبوق طوال سنوات طويلة من التاريخ المعاصر...».

واضاف: «لا يعقل هذا الاتساع في الفجوات الاقتصادية والاجتماعية عبر مظاهر الثراء السريع الذي خلق حالة من الحراك الاجتماعي الداخلي، ساهم في كثير من مظاهر التباعد على قاعدة المصالح الجديدة»...

المراقبون للأوضاع داخل الأراضي الفلسطينية يؤكدون باستمرار أن شبح المجاعة بات يهدد آلاف العائلات التي فقدت مصدر رزقها منذ شهور عدة...

وكان رئيس بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر رينيه كوزنيك قال في تصريحات صحفية أن تكامل العائلات الفلسطينية التقليدي والخدمات الاجتماعية التي تقدمها بعض الهيئات، حالت دون حدوث مجاعة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأبدى كوزنيك قلقه من تدهور الأوضاع في الأراضي المحتلة محذراً من حدوث مجاعة في أوساط العائلات الفلسطينية الفقيرة.

وعبّر المفوض الأوروبي للعلاقات الخارجية كريستوفر باتيه عن نفس الرؤية مؤكداً أن العمال يعيشون حالة من الفقر المدقع.

وأكد في تصريحات نقلتها نشرة تصدر عن الاتحاد الأوروبي أنه إذا استمرت الظروف الاقتصادية في الأراضي الفلسطينية بالتدهور فإن عدد الفقراء سيزداد، وإذا فقدت السلطة الوطنية السبل لتوفير الخدمات الأساسية والمحافظة على القانون والنظام، فإنه سيكون من الصعب إعادة الوضع إلى ما كان عليه في السابق.

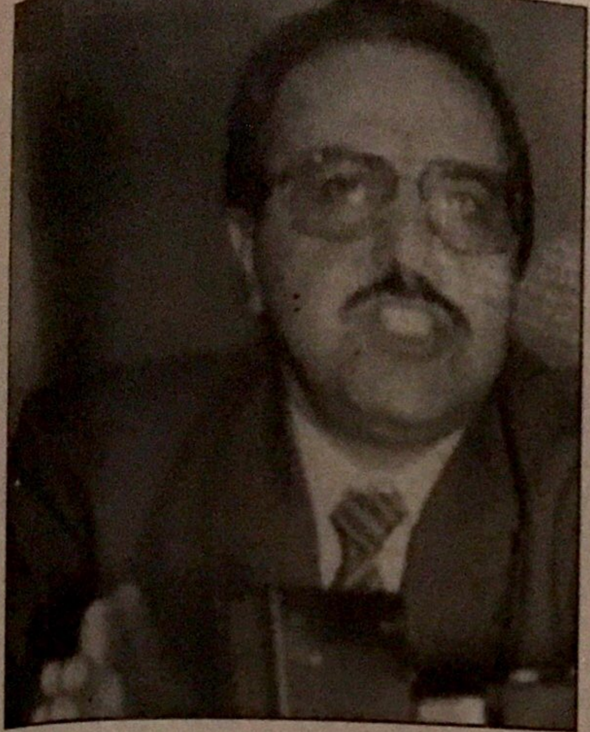
ودفعت حالة البطالة المتفشية في صفوف المواطنين، عدداً من الفقراء للبحث عن سبل للخلاص الفردي من الأزمة خاصة وأن مستوى مجابهة ظاهرة الفقر والبطالة لم تصل للمستوى المطلوب ولم تجد لها حلولاً مؤقتة أو مستديمة.

علي الشريف وزوجته وأطفاله الخمسة يعتصمون أمام مبنى وكالة الغوث الدولية وهم يحملون أرغفة الخبز بأيديهم مؤكدين انهم لم يعودوا يحصلون على رغيف الخبز.

ويبدي المواطنون الذين يمرون بالمكان حالة من التعاطف الشديد مع هذا المواطن رغم حالة عدم الاهتمام التي تعاملت بها وكالة الغوث مع قضيته، وبذلت عدة مؤسسات فلسطينية جهودا بحدود معينة للتخفيف من حدة البطالة والحيلولة دون انفجار الوضع العام.

واستطاعت مؤسسات زراعية عدة من البدء ببرنامج الفقراء مقابل العمل لمساعدة آلاف المزارعين الذين فقدوا أراضيهم ومزروعاتهم خلال الانتفاضة.

إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه من جديد كيف يمكن مواجهة البطالة المستشرية في صفوف المواطنين الفلسطينيين؟ ■■



في المؤتمر العام الثالث للأحزاب العربية ملوح: مستمرون في الانتفاضة والمقاومة حتى دحر الاحتلال

عقدت الاحزاب العربية مؤتمرها الثالث في بيروت مابين 9 – 13 تموز 2001 وألقى الرفيق عبد الرحيم ملوح عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية كلمة القوى الوطنية والاسلامية فيما يلي نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ رئيس المؤتمر العام الثالث للاحزاب العربية

فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد إميل لحود

الاخوة والرفاق الأمين العام وأعضاء الأمانة العامة لمؤتمر الأحزاب العربية

الأخوات والاخوة رؤساء وأعضاء وفود الأحزاب العربية المشاركة في المؤتمر والحضور الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اسمحوا لنا بداية ان نتوجه بتحيات وشكر شعبنا الفلسطيني إلى كل من فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد إميل لحود، ودولة الرئيس رفيق الحريري رئيس الحكومة اللبنانية والأخ نبيه بري رئيس البرلمان اللبناني، ولشعب لبنان الشقيق وقواه الوطنية والاسلامية والديمقراطية والتقدمية، على استضافة المؤتمر العام الثالث للأحزاب العربية وعلى استضافة ورعاية اللاجئين الفلسطينيين ودعمهم المتواصل لكفاح شعبنا الفلسطيني من أجل الاستقلال والعودة. كما نتوجه بتحية الفخر والاعتزاز إلى أبطال المقاومة اللبنانية وفي طليعتهم حزب الله وقيادته ولأبناء الجنوب الصامد ولكل من ساهم في إلحاق الهزيمة بجيش الاحتلال الإسرائيلي، وفي تحرير الجنوب اللبناني الغالي على قلوب أبناء أمتنا العربية.

من فلسطين، من بيت المقدس، من مهد سيدنا المسيح الناصري عليه السلام، ومسرى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، من مهد الحضارات وأرض الزيتون والبرتقال والأقحوان، أحمل لكم جميعاً، وللبنان وطن الأرز الشامخ ولبيروت الصمود، رسالة فلسطين وشعب فلسطين، ومقدسات فلسطين، رسالة الصمود والانتفاضة والمقاومة.

رسالة الشهيدين محمد الدرة وايمان حجو اللذان فضحا باستشهادهما أكثر من أي وقت مضى، العنصرية والفاشية الصهيونية. ورسالة الشهيد الفتى فارس عودة الذي تصدى للدبابة الإسرائيلية واستشهد وهو يقاومها بحجره المقدس، والشهيد الفتى شادي الدقة، الذي استشهد وهو ينزل العلم الإسرائيلي ويرفع مكانه علم فلسطين. ان رسالتنا لكم، رسالة إرادة وصمود وإصرار على النضال من أجل دحر الاحتلال وتحرير الوطن والشعب، مهما عظمت التضحيات.

أيتها الأخوات، أيها الأخوة

ينعقد مؤتمركم الموقر في ظل استمرار الانتفاضة والمقاومة الفلسطينية للشهر العاشر ضد الاحتلال والعدوان والحصار الكولونيالي الإسرائيلي.وكما تعرفون يتواصل العدوان الإسرائيلي على أبناء شعبنا من قصف واغتيال للمدنيين العزل ومصادرة للأراضي وتقطيع للاشجار وتخريب المزارع وتجريف وهدم المنازل وتدمير للبنى التحتية. وأمام ذلك وقف شعبنا ولا يزال صامداً مواصلاً الانتفاضة والمقاومة، متصدياً لكل المقترحات أو مشاريع الحلول التي تنتقص من حقوقه الوطنية؛ مهما كانت الجهة التي تطلقها أو تقف ورائها، وكل ما طرح حتى الآن كان يستهدف في جوهره وأد الانتفاضة ووقف المقاومة وإجهاض منجزاتها السياسية، وإنقاذ حكومة المجرم شارون ومشروعها الأمني والسياسي وإدامة الاحتلال الإسرائيلي لارضنا الذي هو هدف وبرنامج هذه الحكومة.

اننا في القوى الوطنية والإسلامية، وهي ائتلاف يقود الانتفاضة ويمثل ألوان الطيف السياسي الفلسطيني كافة ويضم ممثلين عن مؤسسات العمل الأهلي والنقابي والمهني ومجالس الحكم المحلي، في بلادنا. نؤكد لكم على قدرة شعبنا وإصراره على المضي في انتفاضته موحداً ومتسلحاً بإرادته الصلبه وحجارة فلسطين المقدسة، محولاً حياة الاحتلال إلى جحيم لا يطاق، ومتجاوزاً كل الصعاب حتى تحقيق الأهداف التي وضعها لها وهي: دحر الاحتلال الإسرائيلي بتجلياته كافة – من مستوطنات ومعسكرات للجيش– عن أرضنا المحتلة وضمان عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة بعاصمتها القدس.

وإننا في القوى الوطنية والإسلامية إذ نؤكد على ذلك لنرى في المقابل، ان تقريب لحظة انعتاق شعبنا من الاحتلال الإسرائيلي، منوط بمشاركة ودعم جماهير امتنا العربية وقواها السياسية في معركتنا المصيرية ضد الاحتلال الإسرائيلي، ومن

هنا نتوجه لكم، باعتباركم الممثلين لمصالح وتطلعات الجماهير العربية من أجل الشروع في أوسع حملة تضامن سياسي ومادي مع شعبنا ومع الانتفاضة والمقاومة.ان اكثر ما تخشاه القيادة الصهيونية في إسرائيل ومعها الإدارة الأمريكية، هو توسيع دائرة الصراع الدائر على أرض فلسطين واشراك الجماهير العربية فيه.

وإننا إذ نوجه هذه الدعوة ليحدونا الأمل ان تلقى الاستجابة اللازمة من قبل الأحزاب العربية كافة."كيف لا وفلسطين عزيزة على قلب كل عربي ومسلم ؟" ففلسطين هي روح العرب والمسلمين وقضيتهم المركزية ؛ كما ان ما يحدث في فلسطين ينعكس بكل تطوراته سلباً أو إيجابا على باقي أرجاء وطننا العربي الكبير. ومن هنا يجب أن تؤخذ التهديدات الإسرائيلية للشقيقتين سوريا ولبنان على محمل الجد، لأنها تعبير عن المأزق السياسي الذي تعيشه حكومة إسرائيل، وعن سياساتها التوسعية والعدوانية.وإننا نثمن عالياً الموقف الموحد لقيادة القطرين الشقيقين الرافض للتهديد والابتزاز الإسرائيلي ولدعمهما لانتفاضة شعبنا، وموقفهما المتمسك بضرورة الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي السورية واللبنانية والفلسطينية المحتلة بما فيها القدس باعتبار ذلك أساسا لأي استقرار يمكن ان تنعم به المنطقة.

إننا ندرك أن العدوان الإسرائيلي سيستمر بدعم من الإدارة الأمريكية، وهو مرشح للتصاعد ليس فقط على الجبهة الفلسطينية وإنما على الجبهتين السورية واللبنانية، ويتزامن مع تشديد الحصار على العراق الباسل تحت اسم العقوبات الذكية وغير الذكية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية .غير اننا نثق بقدرة شعبنا على الصمود وباستمراره بالانتفاضة المقاومة، ونثق بقدرة امتنا على هزيمة المشاريع المعادية، وعلى تقديم كل أشكال الدعم والاسناد للانتفاضة المجيدة ولشعبنا المناضل المجاهد، والاستعداد لمواجهة أي عدوان يستهدف الأشقاء في سوريا ولبنان ومن أجل رفع الحصار عن العراق.

لقد ساهمت جماهير امتنا العربية وقواها السياسية، عبر تحركاتها الشعبية في بداية انطلاق الانتفاضة، في تزويد شعبنا بالثقة والأمل بإمكانية إعادة بناء التضامن العربي وإعادة الاعتبار لدور شعوب امتنا العربية في مجابهة العدوان الإسرائيلي الأمريكي على شعبنا وامتنا، ومن أجل صون مصالح وسيادة وأمن شعوبنا ووطننا العربي.

إننا نعلق الآمال الكبيرة على جماهير امتنا العربية وقواها الحيه، لتضطلع بمسؤولياتها وأن يستعيد الشارع العربي لدوره، إنها مناسبة للتقدم والنهوض بخطوات جدية وملموسة، معولين كثيرا على هذه القوى الحية من أحزاب ونقابات ومؤسسات شعبية على امتداد الوطن الكبير وعلى دورها في التضامن مع شعبنا وانتفاضته ضد الاستعمار الكولونيالي الإسرائيلي والانحياز الأمريكي، آملين منكم اتخاذ خطوات ومهام ملموسة نراها فيما يلي:

أولاً: تطوير الدعم الشعبي السياسي والمادي للانتفاضة، ودعوة الدول العربية لقطع كل اشكال العلاقات الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والثقافية مع إسرائيل تنفيذاً لقرارات قمتي القاهرة وعمان ولجنة المتابعة العربية ووزراء خارجية الدول الإسلامية، والعمل لتوفير ضغط دولي فاعل يعمل على عزلها ومحاصرتها وممارسة كل أشكال الضغوط عليها لوقف عدوانها وفك حصارها عن شعبنا، ولتفعيل دور مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل دعم صمود شعبنا في مواجهة الاحتلال والعدوان وفرض الانسحاب الإسرائيلي الكامل من جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس، واستعادة السيادة الفلسطينية الكاملة على القدس المحتلة، وتفكيك المستوطنات وجلاء المستوطنين كافة،والاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها، وحق شعبنا في تقرير المصير بإقامة دولته المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس المباركة.

ثانياً: تنظيم شتى أشكال الدعم السياسي للانتفاضة عبر تنظيم المسيرات والاعتصامات والمهرجانات الداعمة للانتفاضة والرافضة للعدوان والاحتلال والمطالبة بعزل حكومة شارون ووقف كل أشكال محاولات فك عزلتها.

ثالثاً: توسيع دائرة مناهضة التطبيع والمقاطعة لإسرائيل على الصعيدين الشعبي والرسمي، وتنظيم المظاهرات والاعتصامات الشعبية أمام السفارات والممثليات الإسرائيلية في البلدان العربية التي ما زالت تقيم علاقات مع إسرائيل حتى يتم إغلاقها نهائياً.

رابعاً: تنظيم المظاهرات والاعتصامات الشعبية أمام السفارات والقنصليات الأمريكية في البلدان العربية احتجاجا على الانحياز الأمريكي لإسرائيل، ودعوة الجماهير العربية لمقاطعة البضائع الأمريكية ودعوة الدول العربية لتوظيف الطاقات والإمكانيات العربية السياسية والاقتصادية من نفط وعلاقات اقتصادية وغيرها في الضغط على الإدارة الأمريكية لانتهاج سياسة أقل انحيازاً لإسرائيل وأكثر توازناً بين أطراف الصراع في المنطقة.

خامساً: دعوة محطات التلفزة والإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء والاتحادات والمؤسسات الثقافية والفنية العربية والأدباء والمثقفين والصحفيين والفنانين العرب للعب دور اكبر في تعبئة الرأي العام العربي والتأثير على الرأي العام العالمي لدعم كفاح شعبنا ولفضح جرائم الاحتلال الإسرائيلي، فواجب المثقف أن يجسد روح الحرية.

سادساً: المبادرة للاتصال بالأحزاب والنقابات والمؤسسات الأهلية الأجنبية الصديقة وحثها لتنظيم حملات التضامن مع شعبنا وضد العدوان والاحتلال الإسرائيلي ومن أجل ممارسة الضغوط على حكوماتهم للعمل في الأمم المتحدة وعلى المستوى الدولي من أجل إدانة ووقف العدوان الإسرائيلي وتأمين الحماية الدولية لشعبنا.

سابعاً: نثمن عالياً دور القوى والنقابات المصرية على المحاكمة الشعبية التي عقدتها في القاهرة، لمحاكمة السفاحين شارون وباراك وموفاز، باعتبارهم مجرمي حرب يجب تقديمهم إلى محكمة الجزاء الدولية، كما نثمن التحرك الذي بدأ في لبنان وكان سبباً في بدء محاكمة شارون في بلجيكا والدور المميز للجنة الدفاع عن ضحايا مجزرة صبر وشاتيلا، وللمحامي شبلي الملاط والمناضلة سعاد مرعي، وندعو إلى توسيع دائرة هاتين المبادرتين من أجل تعميم هذه الفكرة لتصل أصداؤها إلى مختلف انحاء العالم من أجل تشكيل محكمة دولية خاصة لمحاكمة شارون وكل الإسرائيليين المسؤولين عن ارتكاب جرائم حرب ضد الشعب الفلسطيني والامة العربية.

ثامناً: تنظيم حملة شعبية واسعة لجمع التبرعات المادية والعينية لدعم صمود شعبنا ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وبناه التحتية واستمرارية انتفاضته الباسلة، وتنظيم حملات التكافل الاجتماعي مع الشعب الفلسطيني. ودعوة الدول العربية والاسلامية للوفاء بالالتزامات المالية التي قررتها القمم والاجتماعات العربية والاسلامية لدعم الانتفاضة وشعبنا الصامد.

أيتها الأخوات،أيها الاخوة

نقول لكم جميعاً ومن خلالكم لجماهير أمتنا العربية، أن شعبنا الفلسطيني، مستمر في انتفاضته ومقاومته للعدو المحتل حتى دحر الاحتلال ونيل الاستقلال الوطني الناجز. مهما كان الثمن، وأنه لن ينسى دعمكم في تعزيز صموده على أرض وطنه ـ فلسطين. ويشكركم على وقوفكم إلى جانبه في مجابهة العدوان الصهيوني، ومن أجل تحرير القدس ومقدساتها الإسلامية والمسيحية الغالية علينا جميعاً وسائر الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتحقيق أهدافه في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة بعاصمتها القدس.

ونحن على ثقة عالية بامتنا العربية وقواها ومؤسساتها الوطنية والديمقراطية والتقدمية والإسلامية، وإنها ستستمر في التصدي للعدوان والهيمنة الاستعمارية الجديدة على وطننا العربي، وستواصل دعمها وإسنادها للانتفاضة والمقاومة الفلسطينية وللشعب الفلسطيني بكل الوسائل والإمكانات المتوفرة لديها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركات ■■

في الزمن العربي الرديء.. العراق لم ينحنِ

د. محمد أبو ناموس

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وتفكك المنظومة الاشتراكية، واختفاء جدار برلين وتوسع حلف شمال الأطلسي على انقاض وارسو، وانتهاء الحرب الباردة وولادة النظام العالمي الجديد ذو القطب الواحد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، بزغ المارد العراقي متسلحاً بتراكم خبراته القتالية العالية وتطور تقنياته العسكرية، وسلوكه الرافض للخنوع والهيمنة للامبريالية الأمريكية وربيبتها اسرائيل، وعدم قبوله نهج التسوية أو ما يسمى بعملية السلام في المنطقة، اعتبرته الإدارة الأمريكية، نذير خطر لما يمثله من تهديدٍ مباشرٍ للمصالح الغربية بشكل عام ولأمريكا بشكلٍ خاص في نفط الخليج، ويظهره بأنه القوة الوحيدة المنتصرة بعد انتهاء الحرب الباردة، وهذا ما جعل صانع القرار الأمريكي يعتبر أن قوة العراق تدخل ضمن العوامل المباشرة التي تلحق الأضرار بالأمن القومي الأمريكي، وهذا يستدعي وضع كل التدابير والخطط لإضعافه واستنزاف طاقاته ومن ثم تحييده وعزله واستبعاده من توازنات القوى في الشرق الأوسط.

لذلك عملت الإدارة الأمريكية على كسر إرادة العراق واستغلال معاناته جراء الحصار الظالم الذي فرضته على الشعب العراقي في محاولة للتشهير بالقيادة العراقية.

ولاشك أن العراق وحصاره المفروض أمريكياً، شكّل دائماً مقدمة قضايا السياسة الخارجية الأمريكية التي كانت محط اهتمام الإدارات الأمريكية بدءاً من إدارة بوش الأب مروراً بكلينتون وصولاً إلى بوش الابن جميعهم أظهروا التشدد نفسه حيال العراق وشعبه بمعزل عن عدد الصهاينة في الإدارة، ففي إدارة بوش الابن اثنين ممن شاركوا في الحرب البربرية ضد العراق وهما نائب الرئيس الذي كان وزيراً للدفاع، ووزير الخارجية الذي كان رئيساً لهيئة الأركان المشتركة.

الحصار واستمراره:

لقد بات الهدف الأمريكي من سياسة الحصار واستمراره، هو إعادة رسم خريطة جديدة للمنطقة وترتيب أوضاعها بما تتناسب مع مصالحها من نهب لثرواتها وإجبارها على الخضوع لإرادتها وخدمة مخططاتها وحماية أمن إسرائيل، والسيطرة على منابع النفط في منطقة الخليج العربي. فقامت بتشويه صورة



الرئيس العراقي صدام حسين

العراق وتصويره بأنه مصدر التهديد الوحيد في المنطقة حتى يكون التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة حاجة وضرورة، والتشهير بالقيادة العراقية على أساس أنها مستفيدة من استمرار الحصار متباكية على الشعب العراقي وبهذا يتحقق لها مزيداً من الهيمنة على النظام الأمني القائم في الخليج ومعاناته وبذلك يتم استبعاد العراق.

كما أن الإدارة الأمريكية تهدف أيضاً بأن يكون العراق عبرة لكل من تسول له نفسه من الأنظمة في المنطقة، التفكير بالتمرد على الإدارة الأمريكية أو تجاوز الحدود المرسومة له في إطار النظام العالمي الجديد ويشكل تهديداً لمصالح الغرب وأمريكا.

فكان لابد من إضعاف العراق وفرض الحصار الاقتصادي عليه والذي أصبح نهج وسلوك للولايات المتحدة والغرب عموماً وهناك نماذج متعددة للحصار مارستها أمريكا على كوريا الشمالية - ليبيا- كوبا، الشوكة في حلق الإدارات الأمريكية، ولكن نموذج الحصار على العراق شكّل حالة فريدة، لأنه حصار على كافة المستويات إضافة إلى الحماية المفروضة على الجنوب والشمال والذي يمس السيادة والأمن ووحدة العراق والعدوان المتكرر وشبه الدائم الذي يقوم به الطيران الانجلو اميركي.

العراق ومقاومة الحصار:

رغم ما لحق بالعراق إثر العدوان الأمريكي الغاشم والحصار الاقتصادي المفروض منذ أحد عشر عاماً من تدمير لبنيته التحتية إضافة إلى منعه من استيراد متطلبات الانسان الاعتيادية بحجج واهية ليس آخرها أنها ذو استخدام مزدوج.

لكن العراق رغم كل ذلك لملم جراحاته واثبت بشكل قاطع وبما لا يدع مجالاً للشك قدرته على الصمود وتجاوز كل العقبات والاشاعات والاسقاطات التي تقول بأن العراق يعاني مشاكل داخلية تهدد وجوده وتقوض استقراره، ففي خطاب للرئيس صدام حسين بمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين لتولي حزب البعث الحاكم في العراق، دعا القادة العرب إلى اتخاذ موقف موحد في مواجهة أعداء الأمة العربية وفي مقدمتهم إسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة، وأن العراق لايزال قوياً رغم كل الجهود الحثيثة التي بذلها أعداء الأمة والعراق لتدميره واحتوائه، مضيفاً أن العراق لديه القدرة على البناء، وأن فشل الولايات المتحدة وبريطانيا في إقناع مجلس الأمن الدولي بتعديل نظام العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق منذ حرب الخليج يعد نصراً عراقياً كبيراً، مؤكداً أن النفط جزءاً من ثروة العراق ولكنه ليس مصدر القوة الوحيد.

كما دعا الأكراد إلى فتح حوار جدي مع بغداد، وان بغداد تريد حلاً بأقل عدد ممكن من الخسائر، وان الحل بيد الشعب العراقي.

وبإلقاء نظرة على التقارير الدولية وتفحصها نجد أن العراق حقق ما يشبه المعجزات في ظل الحصار المفروض عليه.

لقد أشادت منظمة الزراعة والغذاء الدولية FAO في تقاريرها السنوية بنظام توزيع الحصص الغذائية، الذي يضمن توفيرالحد الأدنى من الغذاء لكافة العراقيين بمن فيهم الأجانب المقيمين في العراق.

وفي نهاية عام 2000 أُعيد بناء حوالي 80% من محطات توليد الطاقة الكهربائية مما كانت عليه قبل الحرب، و70% من القدرة الصناعية النفطية وبناء الجسور التي تربط بين ضفتي دجلة والفرات ومن شمال العراق إلى جنوبه وتشغيل شبكات المياه والاهتمام بالزراعة حيث تجاوزت ماهو مقرر لها مثل مشروع نهر صدام الذي وضع تصميمه من قبل البنك الدولي عام 1952 ولم ينفذ إلا عام 1994 وإعادة افتتاح العديد من المستشفيات والمدارس، ووسائل النقل والمسارح و[illegible]

السينما والمعارض الفنية..الخ

وغير ذلك افتتاح العديد من الجامعات وازدياد عدد حملة شهادات الدكتوراه وإنشاء محطة تلفزيون فضائية يتم التقاطها في أوروبا والدول العربية.

الحصار والأمم المتحدة:

إن سياسة الحصار المفروض على العراق اثبتت أن الأمم المتحدة أداة طيعة في يد الولايات المتحدة الأمريكية لمساهمتها في إعادة عجلة التنمية في العراق إلى الوراء وهذا مخالف للدور المنوط بها في مساعدة ودفع عجلة التنمية في الدول وتطورها، لأن الحصار المفروض على العراق نموذج فريد من التآمر الإمبريالي الأمريكي وحلفائه، سابقة خطيرة لامثيل لها في العصر الحديث، في الوقت الذي تضرب فيه إسرائيل عرض الحائط بكل القرارات الدولية.

مفاعيل الحصار الدولية:

أسفرت التحفظات التي ابدتها ثلاث من الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن على المواقف الأمريكية عن إعادة النظر في أسلوب اللجنة الخاصة.

وكان الموقف الروسي مميزاً حيث تصدت روسيا لمشروع العقوبات الذكية التي اقترحته بريطانيا في مجلس الأمن بهدف تعديل العقوبات المفروضة ضد العراق، واعلنت رفضها للمشروع الذي كان يدعو إلى تعديل لبنود برنامج النفط مقابل الغذاء التابع للأمم المتحدة في العراق والذي يسمح للعراق بتصدير النفط وشراء امداداته تحت إشراف الأمم المتحدة.

وفي رسالة من الرئيس فلاديمير بوتين للرئيس العراقي صدام.حسين قال أن العقوبات التي تفرضها الأمم المتحدة على العراق غير بناءة معرباً عن رغبة بلاده في تنمية علاقتها مع العراق في جميع المجالات.

وقد هدد وزير الخارجية الروسي في رسالة وجهها إلى نظيره الأمريكي باستخدام حق النقض «الفيتو» لإحباط الخطة في حالة عرضها للتصويت.

إسرائيل والحصار:

قام وزير الحرب الصهيوني بنيامين بن اليعازر بزيارة إلى انقرة والاتفاق على تفعيل التعاون في المجال العسكري بمشاركة امريكية، وقد قامت الدول الثلاثة بإجراء مناورات جوية مشتركة مما أثار جدلاً واسعاً في المنطقة، واعتبر جزءاً من ممارسة الضغوط على العراق بقبوله الإملاءات الأمريكية وشكل محاولة لفرض ضغوط إضافية على سوريا وإيران تهدف لتمرير السياسة الأمريكية على هذه الدول، يعزز هذا التحليل ما نشرته مجلة الأهرام الأسبوعية باللغة الإنجليزية عن قيام إسرائيل بنصب شبكة من الصواريخ جنوب تركيا موجهة



الحصار مستمر، من يدفع الثمن!

إلى المدن السورية وربما إلى العراقية والإيرانية أيضاً..

مفاعيل الحصار عربياً...

من المؤسف حقاً أن تستهتر بعض الأنظمة العربية بمشاعر المواطن العربي وتأخذ موقف مناقض له بالسماح للطائرات العسكرية الانجلو أمريكية باستخدام أراضيها في شن عدوانها المتكرر على الشعب العراقي ولا تكتفي بذلك بل تتساوق وتؤيد المشروع الانجلو أمريكي المسمى عقوبات ذكية والذي يستهدف المواطن العراقي والعراق مقابل ذلك لابد من الإشارة للموقف المبدئي السوري الذي أكد في أكثر من مكان على حرصه على وحدة العراق وسيادته واستقلاله ورفع الحصار الظالم عنه ودعوة العرب إلى تجاوز خلافاتهم ومواجهة العدو المشترك للأمة العربية.

إن ما يسمى عملية السلام مع إسرائيل قد توقفت بعد وصول النازي شارون على رأس حكومة الكيان الصهيوني. وكونها إحدى المحددات القسرية في صياغة الموقف من استمرار الحصار على العراق، واختيار الدول العربية السلام كخيار استراتيجي يقضي أيضاً إقصاء أية عوامل تعرقل أو تؤثر على هذا الخيار بأي شكل من الأشكال.

إن استمرار تصاعد الانتفاضة الفلسطينية الباسلة، وعملية القتل والاغتيال والجرف للبيوت والمؤسسات الفلسطينية وعمليات الإغلاق والحصار التي تفرضها إسرائيل على الشعب الفلسطيني ترتب عليها ردود فعل عربية شعبية انعكست على المواقف الرسمية العربية وهذا دفع واشنطن لمحاولة احتوائها.

تنامي مواقف التضامن والتعاطف والتأييد الشعبية العربية للعراق والتي تقودها بعض احزاب وقوى حركة التحرر العربية والمنظمات غير الحكومية، والنخب المثقفة، وهذا وجه ضغطاً معنوياً على حكومات بلدانهم، وقد تجلى ذلك في البلدان العربية المضيفة بأنها معتدلة بالتحرك الجماهيري وتزايد السخط الشعبي ضد الموقف الأمريكي بسبب موقفه من الشعب الفلسطيني وانعكس على الموقف من العراق والحصار المفروض عليه.

المطلوب عربياً:

لقد أضحت واضحة الصفاقة الأمريكية ومحاولاتها ذر الرماد في العيون وتباكيها على الشعب العراقي وأن قرارها سوف يخفف معاناة الشعب العراقي لكن الحقيقة بأنها تريد تشديد الرقابة على العراق، فالعراق ربح الجولة في إصراره على موقفه لأن امريكا لن تستطيع السيطرة على الحصار سواء كانت عقوباتها ذكية أو غبية وهذا موقف للعراق إلى جانب مواقفه القومية يسجل له بكل الاحترام ويستحق أن يفخر به.

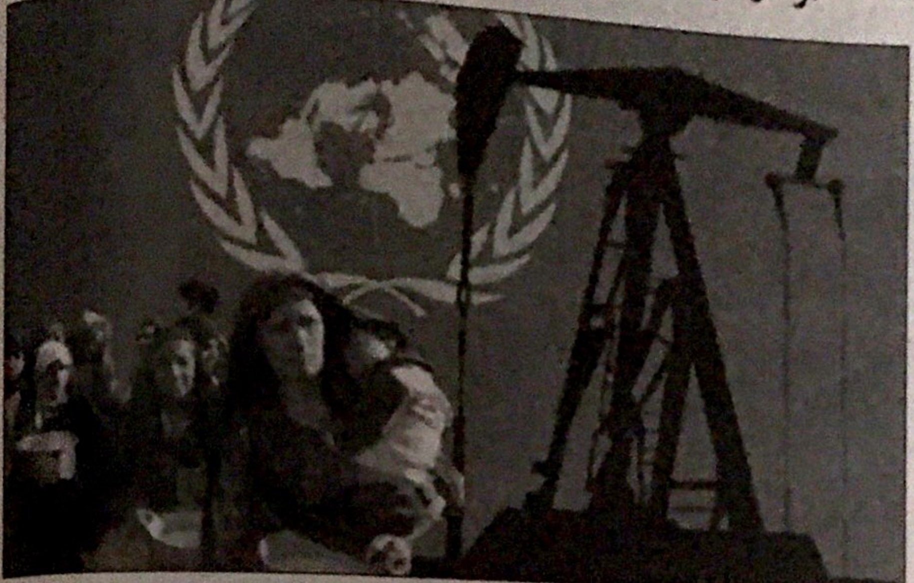
فمطلوب أن تصمد وتستمر القوى الخيرة في الأمة العربية بالعمل الجاد لحشد الرأي العام العربي ضد سياسات الولايات المتحدة التي تتعامل مع القضايا العربية بما يخدم مصالحها في استمرارها بالهيمنة أوإذلال للأمة العربية وابتلاع ثرواتها.

إن الأحزاب والقوى الوطنية والقومية والديمقراطية والإسلامية وجميع مؤسسات المجتمع المدني، والمنظمات الغير حكومية مطلوب منها أكثر من أي وقت مضى المطالبة بكسر الحصار.

الحصار الظالم المفروض على العراق وهذا ليس بداعي إنساني وأخلاقي فقط، وإنما من منطلق قومي ووطني لمنع أي قوة من المس بحاضر أو مستقبل العراق وبالحفاظ على سيادته واستقلاله ووحدة أراضيه ■■

المرأه العراقية ومواجهة الحصار

مراسل الهدف ـ بغداد



الفضائيات العربية تتسابق لعرض بطولات رجل الكابوي ورامبو الأمريكي الذي يتفانى دفاعا عن حياة امراة، وما يجري في العراق يعري وجه رجل الكابوي الذي لا يعرف إلا لغة الموت. مسلسل رهيب من الألم والحزن وجرائم بشعة ترتكبها أمريكا يوميا باسم العدالة وحقوق الإنسان. في هذا العدد تنشر «الهدف» قصصا لنماذج حية عن معاناة المرأة العراقية في ظل الحصار

أحلام مؤجلة

«حلم حياتي توفير لقمة العيش لأشقائي وضمان مستقبلهم، ورعاية والدي المريض، هذه رسالتي في الحياة. فقد أقسمت أن أكون ماجد وليس ماجدة». هذا هو شعار العراقية ماجدة(24) عاما، وهدفها في حياة الشقاء والمعاناة التي يعيشها الشعب العراقي جراء حصار الموت الأمريكي، فهي لا تحلم بفارس الأحلام، بل تنام وتستيقظ على حلم لقمة العيش الشريفة لأسرتها المكونة من 8 أنفار. فالوالد المتقاعد يعاني من مرض الربو، وشقيقها الأكبر يتابع تحصيله العلمي. تعمل ماجدة في أحد فنادق بغداد رغم حصولها على شهادة الماجستير في الإدارة والاقتصاد، والشهادة كما تقول ماجدة، لا توفر لحاملها حتى لقمة الخبز، وتضيف: «نحفر بأظفارنا الصخر ونعمل بكل مهنة شريفة لتبقى هاماتنا مرفوعة».

شعبنا باق

وتشكل المهندسة الزراعية، آراء نموذجا اخر للتحدي، فرغم قلة خبرتها في الحياة وصغر سنها إلا أنها حملت همّ الأسرة، وعملت بائعة في أحد المحلات التجارية براتب ثمانية آلاف دينار عراقي «5 دولار». وتقول: (أضاع الحصار أحلام الشباب، فشهادتي الجامعية معلقة في صدر البيت، وأنا اعمل ساعات مضاعفة لتوفير الحد الأدنى من مستلزمات الحياة، بعدما بعنا الجزء الأكبر من أدوات المنزل). وتتحدى آراء الحصار بقولها: (سنصمد ونقاوم وسيسقط ـ الحصار ويبقى العراق فقبل قرون حاولوا تدمير بغداد والقضاء على حضارتها ولكن مات المجرمون وبقيت بغداد).

روح التحدي في مواجهة المعاناة

خولة ناظم (48 عاما) تطوعت في الجيش أولا ثم فتحت بسطة لها في بغداد، تقول : (توفي زوجي قبل سنوات، ولم يترك لنا مصدر رزق، اعمل وأرضى بالقليل فالصبر مفتاح الفرج). كما تقول سميحة عزت خريجة الحقوق التي تعمل منظفة أواني في فندق الرشيد: (الحصار عصرنا، وحرمنا ابسط حقوقنا وكل شيء ارتفع، وقيمة العملة تراجعت، راتبي الشهري 7500 دينار عراقي (5 دولار)، ولدينا في الأسرة خمسة انفار فكيف يمكن أن أتدبر أمري إذا كان سعر الدجاجة الواحدة 2500 دينار أو كيلو اللحمة3500 دينار، والخيار مثلا 2500 دينار، هذا الواقع اجبر أيضا عددا من النساء على العمل في الصباح والمساء).

واقع المرأة

تقول تقارير منظمات تهتم بواقع المرأة، أن المرأة العراقية شكلت عبر كل العصور عنصرا فاعلا في المجتمع في كافة الميادين، ولم تكن للمرأة العراقية مشاكل فكانت تخرج للعمل وتتمتع بكافة حقوقها وحريتها كما تقول رئيسة اتحاد المرأة د. منال يونس، والتي تضيف أن المرأة احتلت مكانة خاصة في المجتمع من خلال التشريعات الخاصة، بما جعلها تتميز عن باقي النساء في العالم، واوضحت أن الحصار الجائر قد اغلق أبواب الانطلاق أمام المرأة لتحقيق تطلعاتها وللقيام بدورها المطلوب كعنصر أساسي في حركة المجتمع وتطوره. فقد انحسرت مشاركة المرأة العراقية في الحياة السياسية لان الحصار قد دمر الظروف الموضوعية التي تتيح للمرأة الفرص لمتابعة نضالها السياسي. فالضغوط الاقتصادية على الأسرة العراقية وبالذات على المرأة، لم تدع لها وقتا لتمارس فيه العمل السياسي كما تطمح.

وذكرت يونس أن الحصار تسبب أيضا في عزوف المرأة بصورة عامة عن ممارسة حقها المدني العام في تسلم الوظائف العامة، ولجوء الموظفات إلى الاستقالة والإحالة على التقاعد لعدم كفاية الرواتب المصروفة لهن.

واشار تقرير لوزارة التربية والتعليم حول التعليم، إلى ارتفاع نسبة الطالبات اللواتي توقفن عن متابعة الدراسة في المدارس أو الجامعات بسبب الظروف المادية الصعبة الناجمة عن الحصار وذكر أن 45 % من الأطفال من فئة الإناث المشمولين بالتعليم الإلزامي في المدارس لم يلتحقن بالمدرسة العام الدراسي المنصرم.

العدوان والمرأة

وأجرت اللجنة العربية لمؤازرة العراق بحثا، أكد أن الكثير من النساء يعانين من أمراض نفسية سببها القصف الصاروخي وإلقاء القنابل على الأحياء السكنية، مما أدى إلى الإجهاض والولادة المبكرة. وافاد مدير مستشفى صدام في بغداد، أن حالات الإصابة بأمراض العقم لدى المرأة العراقية في ارتفاع مستمر، إضافة لظهور حالات التشوهات الولادية.

مآثر بطولية

وسط هذه الظروف العصيبة، تتمترس المرأة العراقية في خنادق المقاومة. فأم نزار ـ عايدة يوسف ـ سبقت ابنها الأكبر نزار إلى المعسكر، ليفاجأ بها تتقدم كتيبة النساء. تقول أم نزار: (هذا واجبنا، لقد فتشوا القصور والمنازل ولم يبق إلا أن يفتشوا عقولنا وقلوبنا، لذلك علينا أن ننخرط جميعا في المعركة). وأعربت صفاء غازي عن سعادتها الشديدة بانخراطها في الجيش وتقول إن التدريبات زادتها قوة خاصة وأنها انضمت للمتطوعين بكامل إرادتها، فيما ترفض ان تستجدي لحدا، وقالت: (امريكا تجوعنا وتجوع الشعب الفلسطيني، ولكن معا سنخترق الحصار ونكسر قيوده ونمضي معكم نحو القدس وتحرير فلسطين) ■■

التجمع الاشتراكي التقدمي التونسي يعقد مؤتمره العام الثالث

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تشارك في أعمال المؤتمر

مراسل الهدف ـ تونس

تحت شعار «البديل الديمقراطي» انعقد في العاصمة التونسية أيام 22 ـ 23 ـ 24 حزيران 2001 المؤتمر الثالث للتجمع الاشتراكي التقدمي التونسي بحضور ومشاركة قوى وأحزاب سياسية تقدمية عربية وأجنبية وقد شارك في أعمال المؤتمر الرفيق الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤول قيادتها خارج الوطن المحتل.



كما حضر حفل الافتتاح ممثلون عن جميع أحزاب المعارضة التونسية وممثل رئيس الجمهورية التونسية وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي.

ترأس أعمال المؤتمر السيد رشيد خشانة عضو المكتب السياسي للحزب، وبدأت الجلسة الافتتاحية بكلمة شاملة تناولت مختلف جوانب عمل المؤتمر السياسية والاقتصادية والثقافية، ألقاها الأخ المناضل السيد أحمد نجيب الشابي الأمين العام للحزب في دفع المسار الديمقراطي وضرورة تجسيد الديمقراطية والتعددية كخيار وحيد أمام تطور البلاد.

وأضاف أن تونس حققت نجاحات اقتصادية هامة إلا أن الحياة السياسية تحتاج إلى تطوير شامل مؤكداً ضرورة تطوير النظام السياسي وقانون الجمعيات وقانون الأحزاب، وأكد على الدور المركزي للأحزاب السياسية في بناء الديمقراطية. وبيّن السيد نجيب الشابي أن المؤتمر الثالث للتجمع الاشتراكي التقدمي يشكل منعطفاً هاماً وعميقاً في اتجاه تكتيل وتجميع القوى السياسية الدافعة نحو الديمقراطية والحرية والتقدم.

وحيّا انتفاضة الشعب الفلسطيني المناضل في سبيل استعادة كامل حقوقه الوطنية الثابتة وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. وطالب برفع الحصار الظالم المفروض على العراق الشقيق.

وألقى الدكتور ماهر الطاهر كلمة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نقل في مستهلها تحيات الشعب الفلسطيني داخل الوطن المحتل وخارجه وتحيات قيادة الجبهة الشعبية إلى أعضاء المؤتمر متمنياً لهم النجاح في أعمالهم ، كما نقل تحيات الشعب الفلسطيني إلى الشعب التونسي الشقيق الذي وقف دائماً إلى جانب الكفاح العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه واستعادة كامل حقوقه الوطنية.

وأكد الرفيق ماهر الطاهر في كلمته أن الشعب الفلسطيني والانتفاضة الباسلة المتواصلة على أرض فلسطين لا تمثل دفاعاً عن فلسطين فحسب، بل دفاعاً عن الأمة العربية بأسرها ودفاعاً عن مشروعها الحضاري النهضوي الديمقراطي الكبير.

وتحدث عن الانتفاضة ومعانيها ودروسها مطالباً الدول العربية والإسلامية باتخاذ مواقف واضحة تدين الولايات المتحدة الأمريكية وانحيازها الكامل إلى جانب سياسة العدوان والإرهاب التي تمارسها العصابات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني مؤكداً أن الانتفاضة ستتواصل وتستمر وأن الكفاح والمقاومة سيتواصلان حتى دحر الاحتلال عن كل شبر من أرض فلسطين.

وألقيت في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العديد من الكلمات من سوريا والجزائر والمغرب واليمن وتونس.

وقد ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام التقارير المقدمة إليه وأبرزها «لائحة السياسة العامة» و«تقرير لجنة العلاقات الخارجية» و «التقرير التنظيمي» وانتخب قيادة جديدة على رأسها الأخ المناضل الأستاذ أحمد نجيب الشابي الأمين العام للتجمع الاشتراكي التقدمي. الذي تغير اسمه بقرار من المؤتمر ليصبح «الحزب الديمقراطي التقدمي» ■■

حول ضعف مستوى التضامن الدولي مع الانتفاضة

صابر محيي الدين

تثير سياسة اللامبالاة الدولية، إزاء ما يجري من فظائع وجرائم ضد الشعب الفلسطيني، الكثير من الأسئلة المريرة والموجعة، حول الأسباب والدوافع والأهداف، ويتساءل الفلسطينيون، داخل البلاد وخارجها، عن المديات التي يمكن أن تصل إليها الوحشية الإسرائيلية، في ظل ظروف، تتقاطع فيها سياسات التواطؤ مع سياسات التخاذل والعجز عن وقف الممارسات الإسرائيلية المتمادية، في شراستها وعنصريتها وإرهابها. فالتجاوزات التي تقوم بها القوات الإسرائيلية وقطعان المستوطنين، خلافا للمواثيق والمعاهدات الدولية الخاصة بزمن الحرب والاحتلال، تقابل بنوع من البرود، في البلدان التي تدّعي حمل لواء الدفاع عن الديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان، وخاصة في الدول الأوروبية وأمريكا وكذا وغيرها من البلدان الأخرى.

ولا يغير من هذه الحقيقة، قيام بعض أشكال التظاهر والاحتجاج على بعض الممارسات والمذابح الإسرائيلية المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني بين الحين والآخر. ولا مجيء بعض المسؤولين الأمريكيين والأوروبيين إلى المنطقة، للبحث عن حلول ومخارج للمأزق التي تصطدم بها المحاولات الإسرائيلية لكسر إرادة الفلسطينيين وإجبارهم على الاستسلام لشروط تل أبيب واشتراطاتها السياسية والأمنية. وقد كان لافتا للنظر طوال الشهور الماضية، أن سياسات دول الاتحاد الأوروبي، التي اتسمت ظاهريا بالحياد، وتميل في الحقيقة إلى التجاوب مع السياسات الأمريكية المنحازة لإسرائيل، وتتحاشى على الدوام، التصادم مع هذه السياسات، بما في ذلك فرنسا، التي اشتهرت بمواقفها الداعمة والمؤيدة للحقوق الوطنية الفلسطينية. فالكل في أوروبا يردد معزوفة الإدارة الأمريكية والحكومة الإسرائيلية الداعية إلى وقف (العنف وإطلاق النار)، بشكل تام، تمهيدا للدخول في مرحلة التهدئة وبناء الثقة، والانتقال من ثم إلى تطبيق باقي بنود خطة ميتشيل. والكل يردد هذه المعزوفة، رغم أن الكل يعرف تمام المعرفة، أن قوات الاحتلال الإسرائيلية، التي تفرض حصارا محكما على المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، وتمارس سياسة القمع والقهر والإرهاب والإذلال للشعب الفلسطيني، والتدمير المتعمد لاقتصاده وبناه التحتية، هي التي تواصل إطلاقه النار، متذرعة بحجج واهية، لتسويغ هجماتها الوحشية، والتغطية على أفعالها وممارساتها المدانه والمستنكرة والمشينة.

وقد ادى هذا الواقع إلى إحداث نوع من الصدمة في الأوساط السياسية والثقافة الشعبية. فالمواقف الأوروبية التي تتسم بالنفاق والمراوغه، لم تعد مفهومة ولا مقبولة وليس لها ما يبررها. وهي لا تثير الدهشه والاستغراب والاستنكار في أوساط الراي العام الفلسطيني والعربي والإسلامي فحسب، بل وتثير أيضا مشاعر الخيبة والسخط والغضب. خاصة إذا اخذنا بعين الاعتبار، أن ما يجري في فلسطين ومحيطها، يهم أوروبا ويؤثر عليها وعلى مصالحها، وأن دول الاتحاد الأوروبي لها مصلحة في وقف العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني، لأن أمن الاتحاد مرتبط بأمن المنطقة، التي غدت، بفعل مواقف شارون وسياساته، تقترب أكثر فاكثر من حافة الهاوية وشفير الحرب.

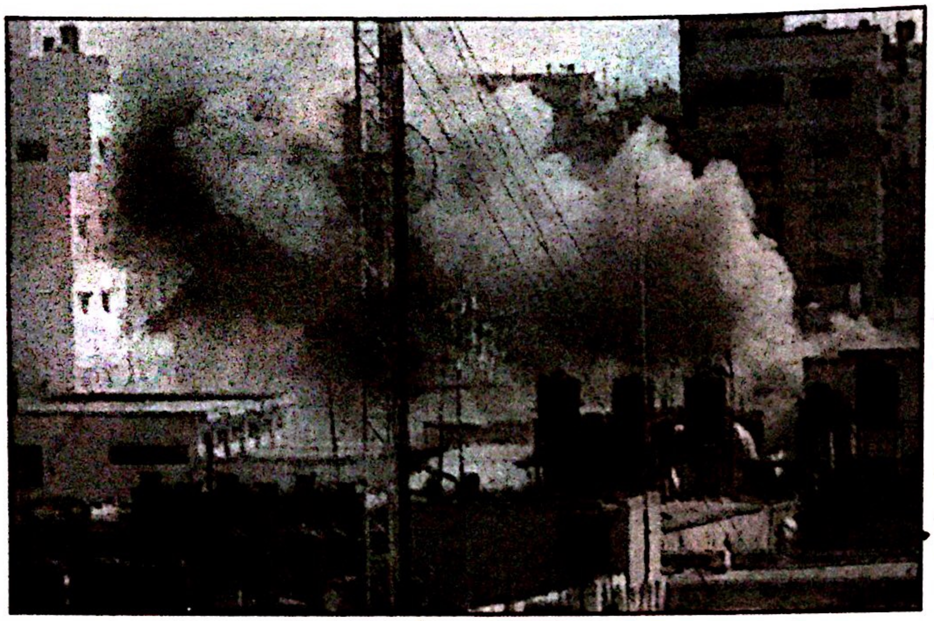
أكثر من ذلك، فإن أوروبا هذه، تعرف أيضا تمام المعرفة، أن الإدارة الأمريكية، منحت شارون في زيارته الأولى لواشنطن، ضوءا أخضر، ليوسع نطاق استخدام القوة العسكرية لإجهاض الانتفاضة، وتحقيق انتصار عسكري إسرائيلي، يعيد الفلسطينيين لطاولة المفاوضات بالشروط الأمريكية–الإسرائيلية. وتعلم أوروبا أن المهلة التي طلبها شارون انتهت، من دون أن يحقق رئيس الوزراء الإسرائيلي أهدافه وأهداف الإدارة الأمريكية وأن تداعيات إخفاق شارون وجيشه، في كسر الإرادة الفلسطينية خلال مئه يوم من الصراع وضعت الحكومة الإسرائيلية، التي سعت لنسف أسس عملية التسوية وتغيير قواعد اللعبة في عملية المواجهة، أمام مأزق حقيقي وعميق، بعد أن عجزت عن تحقيق وعودها بتوفير الأمن الشخصي والجماعي للإسرائيليين، عبر إخضاع الفلسطينيين وفرض الاستسلام عليهم في أقل من ثلاثة شهور.

وتدرك أوروبا أن المأزق الذي حاصر الحكومة الإسرائيلية، هو الذي أوصل الإدارة الأمريكية إلى قناعة بضرورة التحرك لاحتواء الوضع، وإعادة التوازن لمجريات الأحداث ودرء مخاطر انفلات زمام الأمور وخروجها عن السيطرة محليا وإقليميا. غير أن تحرك الإدارة الأمريكية وتدخلها، جاء كالعادة على شكل ضغوط هائلة ومباشرة على القيادة الفلسطينية، لإرغامها على الاستجابة لطلبات الحكومة الإسرائيلية، وعلى شكل استغلال دول الاتحاد الأوروبي وقوى إقليمية ودولية أخرى، لتقوم بدورها بالضغط على الفلسطينيين وتهديدهم. فجاء إلى فلسطين والمنطقة ممثلو الأمم المتحدة وأمينها العام، والكثير من الزعماء والمسؤولين الأوروبيين، فضلا عن جورج تينيت وكولن باول. وجميع هؤلاء حملوا لواء الدعوة (لوقف العنف)، ووقف الانتفاضة، ولوحوا للفلسطينيين بكل أشكال التهديد والوعيد، مغلفين تلك التهديدات بغطاء دبلوماسي. وقد اختبأت هذه الضغوط والتهديدات الأمريكية بخاصة والأوروبية بعامة، وراء تكتيك شارون، الذي لجأ أمام عجزه عن إجهاض الانتفاضة، إلى الإعلان قبل أكثر من شهر عن قراره بوقف إطلاق النار وممارسة سياسة ضبط النفس، فيما يواصل على الأرض، إطلاق النار وتهديم البيوت بالجملة، وإطلاق يد المستوطنين، بحماية الجيش لزرع الموت والخراب والدمار والحرائق في كل أرجاء البلاد. ورغم كل ذلك، لم يتردد بوش الابن، في بداية اجتماعه الثاني مع رئيس الوزراء الإسرائيلي عن القول: (إن شارون ورغم الضغوط الهائلة التي يتعرض لها، يتحمل بصبر، ويستحق الثناء)، متجاهلا تماما عشرات الشهداء ومئات الجرحى الذين يسقطون برصاص جيش شارون ومستوطنيه ومتجاوزا الأعمال الاستفزازية والعدوانية اليومية، التي تتخذ شكل هدم المنازل وتجريف المزروعات وإقامة النقاط الاستيطانية الجديدة.

هذه البلطجة التي تمارسها الإدارة الأمريكية، الساعية دوما لقلب الحقائق

وتزويرها، لم تعد مستغربة ولا مستهجنة في الساحتين الفلسطينية والعربية. فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك البلدان الاشتراكية، وسقوط جدار برلين، أخذت الإدارة الأمريكية، القوة العظمى الأولى في العالم، تتصرف كما يحلو لها. تتخذ المواقف والقرارات دونما حساب لردود الفعل الدولية. فهي تملك من القوة العسكرية والاقتصادية، ما يمكنها من فرض مواقفها وقراراتها وتوجهاتها. وهي لا تأبه كثيرا لحال الاحتقان والتوتر التي تسببها سياساتها ذات المكيالين. وترى أن ليس أمام الآخرين سوى التكيف مع متطلبات السياسة الأمريكية القائمة على الهيمنة والتسلط وفرض سياسة الأمر الواقع. والهدف إرساء وتعزيز دعائم ومرتكزات النظام العالمي الجديد، نظام القطب الواحد، الذي يؤمن لها التصرف كقوة عظمى، مهيمنة ومقررة في شؤون العالم. ومن سخريات القدر ومفارقاته، أن تستند الإدارة الأمريكية، في كل ما تقوم به، إلى غطاء الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي ومجلس الأمن الدولي، الذي تحول إلى مجلس للأمن الأمريكي بشكل عام. فالمجلس يتخذ في الغالب القرارات التي تحتاجها الإدارة الأمريكية لشن الحروب وفرض الحصار على كل الدول والشعوب، لإخضاعها وكسر إرادتها وتغيير أنظمتها. ونادرا ما تجد الإدارة الأمريكية نفسها محشورة في الزاوية، لا تستطيع فرض وإملاء إرادتها عبر مجلس الأمن كما حدث عندما تصدت روسيا لمحاولات أمريكا وبريطانيا تمرير مشروع العقوبات الذكية ضد العراق الشقيق. غير أن هذه الواقعة على أهميتها، لا تغير من حقيقة أن الإدارة الأمريكية تفرض هيمنتها وسيطرتها على مجلس الأمن وقراراته، ليس فقط لتمرير سياساتها، بل لتؤمن أيضا مشاركة الدول الأخرى في تحمل الأعباء والمسؤوليات الناجمة عن مثل هذه القرارات، سواء كانت عسكرية أو مالية.

وارتباطا بهذه المتغيرات والوقائع، تميزت السياسة الأمريكية خلال العقد الماضي، بانفلاتها من أية قيود أو ضوابط إنسانية أو أخلاقية. فقد مارست الإدارة المتلاحقة سياسة إرهاب الدولة لتحقيق أهدافها في أكثر من مكان في العالم. ونجدها تمارس الكيل بمكيالين جهارا نهارا من غير كابح أو رادع. فهي تريد الأمم المتحدة وقراراتها غطاء لضرب العراق، وتريد استبعاد الأمم المتحدة وقراراتها بشأن الصراع الفلسطيني العربي الصهيوني. بل وتحتكر لنفسها حق التفرد بمسيرة العملية السياسية، مستبعدة عن مساراتها دول الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين. فرغم انقضاء عشر سنوات على انعقاد مؤتمر مدريد، والشروع بالمفاوضات الثنائية على مختلف المسارات، لم تسمح واشنطن، حتى لحلفائها الأوروبيين



بالمشاركة الجدية في عملية التسوية. فيما ترغب دول الاتحاد الأوروبي بالمساهمة بنشاط في دفع المفاوضات خطوات جدية للأمام على أساس قرارات الشرعية الدولية، تواصل الإدارة الأمريكية سياسة التفرد والانحياز للمواقف الإسرائيلية. ومنع الاتحاد الأوروبي من القيام بدور فعال ونشط. ورغم شعور الدول الأوروبية أن دورها، لا يتناسب مع حجمها ووزنها وعلاقاتها السياسية والاقتصادية، فإنها تحرص على التأكيد، على أن دورها ليس بديلا عن الدور الأمريكي، بل هو مساعد مكمل. وبنظر الولايات المتحدة فإن وظيفة الدور الأوروبي تنحصر بممارسة الضغوط على الجانبين الفلسطيني والعربي، والوفاء بمتطلبات عملية التسوية المالية والاقتصادية.

ولعل هذا الواقع هو الذي يفسر برودة ردود الفعل الدولية، وخاصة الأوروبية على مجمل الجرائم التي ترتكب بحق الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع. وهو الذي يفسر التعامل الهادئ واللامبالي مع رفض إسرائيل لوجود مراقبين دوليين لوقف إطلاق النار الذي تدّعي إسرائيل أن الفلسطينيين لا يلتزمون به.

إذا كان هذا هو حال الدول، فإن الأمر المثير للانتباه كثيرا هو ضعف تعاطف الرأي العام العالمي بأحزابه ونقاباته ومؤسساته المدنية والأهلية والحقوقية والإنسانية، في أوروبا وأمريكا وكندا واليابان والعديد من بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا، فرغم شراسة الهجمة الصهيونية على الشعب الفلسطيني، فإن المظاهرات والاعتقالات ومسيرات الاحتجاج والدعم والتأييد والتضامن مع الشعب الفلسطيني، وضد أعمال القتل والتدمير والحصار الإسرائيلي ظلت أقل بكثير من التوقعات، فضلا عن تباعدها واتخاذها طابعا مناسبيا. وهذا لا ينطبق على المنظمات والمؤسسات المتخصصة بمعاونة الفاشية والتمييز العنصري، التي لم تتحرك بشكل يتناسب مع حجم الممارسات الإسرائيلية الإرهابية والعنصرية. ولعله بديهي القول أن ضعف مستوى التعاطف والتضامن مع الشعب الفلسطيني، والتنديد بالممارسات الإسرائيلية الفاشية العنصرية، لا يساعد على تكوين رأي عام عالمي ضاغط على الإدارة الأمريكية والحكومة الإسرائيلية، لوقف هذه الممارسات ووضع قرارات الشرعية الدولية موضع التنفيذ، بما يؤدي إلى جلاء الاحتلال، وتمكين الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره بنفسه وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس.

صحيح أن الجاليات الفلسطينية والعربية والإسلامية، بدأت محاولات تنظيم صفوفها في أوروبا وأمريكا وغيرها من بلدان المهجر، غير أن عملية التنظيم هذه لا زالت في بداياتها، ولم ترق في تحركاتها ونشاطاتها إلى المستوى الذي ينعكس على حسابات صانع القرار في هذه البلدان. فالمظاهرات والمسيرات الاحتجاجية التي نظمتها الجاليات العربية والإسلامية في البلدان الغربية، تميزت بقلة عدد المشاركين الأوروبيين والأمريكيين فيها، وبقلة عدد المشاركين فيها من العرب والمسلمين، قياسا بحجم الجاليات المقيمة، وارتباطا بالممارسات الإسرائيلية المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني. ومع ذلك تجدر الإشارة هنا إلى التقييم الإيجابي العالي لكل المسيرات والمظاهرات الاحتجاجية التي خرجت في أماكن عديدة في العالم، تعبيرا عن تضامنها ودعمها للشعب الفلسطيني، وتنديدا

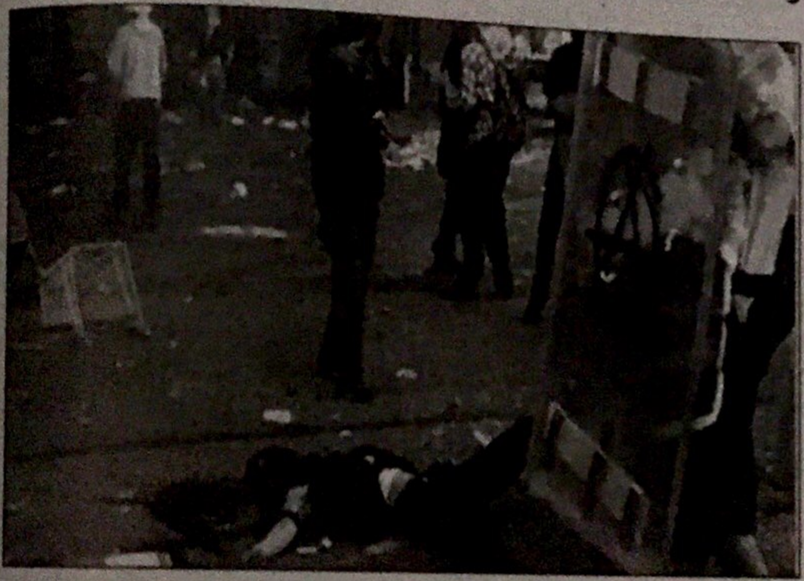
بالممارسات والإجراءات والتدابير الإسرائيلية المتخذة ضد الشعب الفلسطيني. وكذلك الأمر بالنسبة للمظاهرات التي جرى تنظيمها ضد زيارات شارون لعدد من العواصم الأوروبية. وتركيز هذه المظاهرات في هتافاتها وشعاراتها على ماضي شارون الأسود كمجرم حرب مطلوب للعدالة. ولكن مرة أخرى نشدد القول على أن هذه المظاهرات على أهميتها وإيجابيتها، كانت أقل بكثير مما يمكن القيام به، لو كانت الجماهير العربية والإسلامية في هذه الجاليات منظمة ومعبأة وموحدة، ولو كان بالإمكان تنحية الخلافات السياسية والحزبية جانباً. ولعله من نافل القول، إعادة التأكيد على أن القضية الفلسطينية بطابعها وطبيعتها، وباتفاق الجميع على مركزيتها، وعلى الأبعاد الوطنية والقومية والإسلامية التي تميزها، باتت تستوجب أكثر من أي وقت مضى، توحيد كل الجهود ورص جميع الصفوف وارتفاع كل الاتجاهات والشعارات السياسية والحزبية والفكرية فوق الخلافات والاختلافات عندما يتعلق الأمر بالعمل من أجل القضية الفلسطينية، تضامناً مع شعبها، أو تنديداً بممارسات أعدائها. وفضلاً على ذلك فإن المسؤولية باتت تستوجب أن تعمل جميع القوى والاتجاهات والمؤسسات القائمة في بلدان المهجر، لفهم أسباب هذه الظاهرة. ظاهرة اللامبالاة الشعبية الأوروبية والأمريكية، ومحاولة الغوص في فهم الأسباب السياسية، التاريخية، الثقافية، والدينية، التي تجعل شعوب هذه البلدان تقف موقفاً لامبالياً بالإجمال، إزاء كل أشكال القهر والقمع والاضطهاد والتمييز ضد الشعب الفلسطيني. إن الجهود التي يمكن أن تبذل سياسياً وإعلامياً وبشكل منظم ومثابر من أجل إحقاق الحق، القائم على أساس قرارات الشرعية الدولية، تمثل بدون شك الحلقة الجانبية لقطاعات أوسع فأوسع من النخب السياسية والثقافية، ومن العاملين في مجال القانون وحقوق الإنسان، لدعم الشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة. وتبقى الإشارة أخيراً إلى أن المواقف الأمريكية المتواطئة والأوروبية الخجولة /المترددة/ المنحازة، باتت تحتاج إلى أعلى قدر ممكن من تفعيل طاقات الجاليات العربية والإسلامية في أمريكا وأوروبا. وهذا الكلام لا يتناقض مع اقتناعنا بأن الولايات المتحدة وكذلك أوروبا ستظل منحازة لجانب إسرائيل، وستواصل سياسة الانحياز المفتوح والمكشوف ما دامت في المنطقة ليست عرضة للضغط والتهديد ■■

يوم للمضطهدين

أول أيار، هو ذكرى استشهاد عمال على يد الرأسماليين، بغض النظر عن جنسية الرأسمالي. وتكرس هذا اليوم على مدى أكثر من قرن، ليصبح يوماً عالمياً، يطرح قضايا المستغلين، وتصبح ذكرى الشهادة ذكرى احتفالية.

وبين العشرين والثاني والعشرين من تموز سقط شهيدان، في غضبة العولمة، سقط شهيدان على أبواب اجتماع الرأسماليين الكبار في العالم، برصاص الشرطة التي تحمي الرأسمال أكثر من القانون.

سقطوا لأنهم يريدون تحرير الإنسان من، قبل تحرير التجارة، سقطوا لأنهم ضد أن تمتهن كرامة الإنسان، بأوهام وأكاذيب الليبرالية الجديدة، واقتصاد السوق، وتهميش البلدان الفقيرة وجعلها مكباً لنفايات الدول



الصناعية الكبرى، وسوقاً لبضائعها. ففي جينوى، يتظاهر الفقراء، ضد تكنولوجيا إعدام الشعوب الفقيرة دون أن تشعر. ويطالبون بأن يعطى الإنسان أولوية، قبل البضاعة. ولأجل هذا يسقط الشهداء، لأجل فكرة نبيلة.

في قطر، وبعد أشهر، سيلتقي أعضاء منظمة التجارة العالمية، فهل سيسقط شهداء جدد، على أرض النفط المنهوب في بلاد العرب؟! وهل ستسمح، قطر أولا بأن يتظاهر الناس ضد النهب والجشع الأمريكي، ربما سيكون مسموحاً لغير العرب بالتظاهر؟! وربما لا يسمح أيضاً لهؤلاء، فهم في بلاد العرب التي لا تزعج ضيوفها حتى لو جاؤوا مسلحين وأقاموا قواعدهم على الأرض وفي سواحل هذه البلاد، بلاد العرب التي تشارك أمريكا في المناورات العسكرية تحت مسميات مختلفة، وبالتالي عيب أن تقوم مظاهرة في وجه ضيوف العولمة.

هذ دعوة من فقير، باسم كل الفقراء في العالم أن نعزز أول أيار بالحادي والعشرين من تموز، ليعلن هذا اليوم يوماً للفقراء، يوماً ضد تحرير التجارة، يوماً لأجل تحرير الإنسان من فقره، واغترابه ■■

محمود درويش في بيروت

وسميح القاسم ممنوع عنها إسرائيلياً

خلال فترة تحضيرنا لهذا العدد الخاص عن غسان كنفاني، مرّ حدثان ثقافيان بارزان، كان لهما تداعياتهما على المستوى الإعلامي في الصحافة الثقافية العربية. الأول هو زيارة الشاعر محمود درويش إلى لبنان، وتكريمه من قبل جامعة البلمند، حيث قلده راعي الاحتفال بطريرك انطاكيا وسائر المشرق للروم الأرثوذكس اغناطيوس الرابع هزيم ميدالية القديسين بطرس وبولس. والثاني هو قرار إسرائيل بمنع الشاعر سميح القاسم من السفر إلى لبنان، وهو سابقة تكشف مدى زيف (الديمقراطية) الإسرائيلية، التي لا تريد لسميح القاسم، أو لأمثاله من المثقفين الفلسطينيين في أراضي الـ ١٩٤٨، التواصل مع محيطهم العربي.

هذان الحدثان، اعادا إلى الواجهة الجدل حول العلاقة بين ابناء شعبنا الفلسطيني، سواء المتواجدين منهم وراء الخط الأخضر، أو في أراضي السلطة الفلسطينية، وبين فضائهم العربي، الثقافي والسياسي، وفي هذا السياق، كان الق الحضور لمحمود درويش في بيروت، وردوده العميقة على الكثير من التساؤلات الملتبسة، حدثاً ثقافياً كبيراً، بحدّ ذاته، ومناسبة لتوضيح الكثير من القضايا العالقة، حيث أعاد إلى الأذهان التأثير المتبادل، والذاكرة المشتركة ذات المرجعية الواحدة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني التي لا يمكن ان تنسى ابداً، كما قال.

من جهة أخرى، أثار منع إسرائيل للشاعر سميح القاسم من السفر إلى بيروت ردود أفعال كثيرة، حيث لخترق البرنامج حواجز المنع الإسرائيلية، واتصل الشاعر عبر الأقمار الصناعية في عمان، وبمشاركة الروائي اللبناني إلياس خوري.

من المفارقات التي أثيرت، أن العالم العربي في السابق هو الذي كان يغلق ابوابه في وجه فلسطيني الـ١٩٤٨، وكانت إسرائيل مرتاحة جداً لهذا الإغلاق، بل كانت تزاود على العرب بديمقراطيتها المزيفة، باعتبار ان قوانينها لا تمنع (عرب إسرائيل) من السفر إلى اي مكان، وعندما ادرك العرب خطأ موقفهم، وراحوا ينفتحون على اهلنا في الأرض المحتلة، ويستقبلون العديد من الشخصيات الفلسطينية كعزمي بشارة وغيره، سرعان ما انكشف الغطاء، وها هي إسرائيل اليوم تناقش سنّ قوانين جديدة لمنع الفلسطينيين من التواصل مع فضائهم العربي الطبيعي. بكل الأحوال، يبدو انه قدرنا نحن الفلسطينيون (على اختلاف اماكن تواجدنا) ان نصارع، ونقاوم على كل الجبهات، لتعميق وعينا وإدراكنا لهويتنا المشتركة، وذاكرتنا الموحّدة مع محيطنا العربي، التي طالما عملت إسرائيل على تبديدها، ومحاولة محوها! ■■

«ما تبقى لكم» النص الأدبي والمهمة المزدوجة!

د. فيصل دراج

في كتابه «في الأدب الصهيوني» أكد كنفاني ما يلي: «وسيقوم هذا الأدب، بدأب لا مثيل له، بمهمة مزدوجة: من ناحية المشاركة في تعبئة اليهود عبر العمل على خلق جو عالمي للعطف على قضيتهم، ومن ناحية أخرى طمس كل ما من شأنه عرقلة هذا الاندماج الصهيوني الدعاوي الذي كان يضبط خطواته على جميع الاتجاهات... والذي لا شك فيه أن ثيودور هرتزل كان أول من أعلن هذا الاتجاه بصراحة في مطلع القرن العشرين، حين نشر روايته «الأرض الجديدة القديمة»، هذه الرواية التي استبقت، عند هرتزل نفسه، الصهيونية السياسية، وكانت حافزاً لقلب هرتزل «الفنان» إلى هرتزل «السياسي»...».

تشير هذه السطور، التي أعاد غسان كتابتها بأشكال مختلفة، إلى دور «الصهيونية الأدبية» في توليد «الصهيونية السياسية». ذلك أن على الأدب، إن كان مناضلاً، أن يمهّد للسياسة، في لحظة، وأن يلتحق بها، في لحظة تالية، كما لو كان الأدب أصلاً للسياسة وخالقاً لها. ولعل هذا الدور، الذي تتبادل فيه السياسة والأدب المواقع، وتقل السياسة أفقاً، هو الذي ينقل الإنسان المناضل من حقل «الفن» إلى حقل أكثر فاعلية هو حقل «السياسة». يبدو الأدب مدرسة جليلة ومحدودة الوظيفة، تعرب عن جلالها في إنجاب السياسي، الذي كان أديباً. وهذا ما جعل غسان يقتفي آثار غيره، فيبدأ بكتابة القصة القصيرة وينتهي مسؤولاً سياسيا متعدد الوظائف.

أخذ غسان، وبطريق مختلف، بخيار هرتزل، بعد أن برهن له الأخير أن الأدب يخلق وقائع تاريخية، وأن الأديب يقود «شعباً مشتتاً» إلى «أرض الميعاد». وعن الكلمة، التي لها قوة بلا ضفاف، كتب غسان: «ورغم ذلك، فإن الكلمة تفعل فعل النار وتستطيع أن تخترق حصارها». ليس في الكلمة ما يجرّها إلى أرض الصنعة التقليدية، فهي معركة وتتعامل بلغة المعركة، لها «فعل النار» والقدرة على «اختراق الحصار»، وتتويج الحرب المزهرة بنصر مبين. ولن تكون كتابات غسان إلا معركة، من المعارك، بعد أن نسي أن إطلاق الرصاص يقوم به البشر، لا الكلمات النجيبة.

أعطى غسان للكلمة مقاماً مقدساً، حيث الوقائع «المكتوبة» وجه آخر للوقائع الحقيقية، تعطي، وقد تقدست، ما تقول به ضماناً لا يخيب. وما روايته «ما تبقى لكم» إلا صورة عن الخلق الأول، في فضاء الكلمة، الذي يتكشّف، تاليا، خلقاً ملموساً على أرض الواقع.

تحكي «ما تبقى لكم»(1)، وهي تحكي عن قوة الكلمة، أحوال عائلة فلسطينية عند الخروج وبعده بسنوات. تتكوّن العائلة من «حامد»، الذي نقله اللجوء من يافا إلى غزة، والأب الذي مات مدافعاً عن المدينة وظل طيفه قائما، و«الخالة» وينتظرها موت وشيك، والأخت «مريم» وتكبر أخيها بعشر سنوات... تتحرك الرواية محملة برموزها، وتكون الأخت رمزاً كبيراً متغيّر الوجوه، تنتقل من الطهر إلى الدنس وتنقلب إلى الطهر من جديد. والدنس المنتصر في لحظة والمهزوم في أخرى هو للمنفى والفلسطيني الذي يستسلم له. ينجب المنفى فلسطينياً «منتناً»، يغوي «مريم» ويدنّسها، ويخلق فلسطينياً آخر، يثور على المنفى والمهانة الصادرة عنه.

يرسل غسان، وقد آمن بالكلمة الخالقة، التي آمن بها هرتزل، الفلسطيني الصغير «حامد» إلى الصحراء يبحث عن أمه. ويكون على الفلسطيني، كي يصل إلى غايته، أن يلتقي بالصهيوني الضروري، الذي تقتله سكين عادلة مع مطلع الشمس. وبما أن الرموز لا تأتي فرادى تغوص سكين أخرى، ومع مطلع الشمس أيضاً، في جسد الفلسطيني الذي غادرته الطهارة. يستعيد البيت الفلسطيني نقاءه المفقود ويعود، رمزياً، موحداً كما كان: يعود الأب الغائب في صورة ابنه الذي اجتاز الاختبار، وترجع الأم الغائبة في شخص ابنتها التي مسحت العار، وتطمئن «الخالة» في قبرها، ويصبح الأخ والأخت كياناً موّحداً لا انفصام فيه، ويلف البيت القديم مضيئاً في أرجاء الإرادة المتمردة.

تبدو الرواية، للوهلة الأولى، حواراً مع التاريخ ورصداً له، متوسلة عائلة فلسطينية قوّضتها النكبة واستعادت قوامها من جديد. غير أن التاريخ ينطفئ بين يدي منظور إيماني صارم، يسعف الطهر ويعلن الدنس، مرسلاً بالصهيوني وبالفلسطيني الفاسد إلى الموت وبنقيضيهما إلى الفوز والنعمة. وبداهة، فإن غسان، الذي يأتي بالمعايير الأخلاقية من نبع الإيمان، لم يسأل الدهر أن يجيره، إنما رمى بالسكين العادلة إلى «الفلسطيني الضروري» في لحظة ملائمة. والفلسطيني، وهو ظل لخالقه الذي يملك الكلمة القوية، لا يخذل خالقه. فـ«الصغير» يذهب إلى الصحراء ولا يتيه، و«الأخت»، التي ما تمرنّت على التمرد، تدفن عارها كاملاً. وواقع الأمر، أن غسان، الذي يرى الكتابة معركة مركبّة، صارع الصهيونية على أرضها، مرتكناً إلى عالم القيم وإلى «الصهيوني الحكيم»، الذي نصرته «الكلمة». وهذا ما قاده إلى بناء روايته على ثنائيات قاطعة: الوطن، المنفى/ الفلسطيني، الصهيوني/ الكرامة، الذل/ المسلّح، الأعزل/ يافا، المخيم/ العار، الشرف/ الاستسلام، التمرد/ الحياة، الموت.../ هناك أبداً موقع نهبي كانت الأشياء فيه سوية وتدهورت، إلى أن أخذت «قوة الكلمة» بيد الأشياء ووضعتها حيث يجب أن تكون. وفي هذه الحكاية، التي تستعيد فيها الأشياء أصلها الصحيح، تكون الشخصيات قيماً تسير على قدمين، وتصل إلى الموقع الذي عليها أن تصل إليه: «زكريا»، هو الفساد المهزوم، و«مريم» الطهارة المنتصرة، و«حامد» المتمرد منذ الولادة، و«الصهيوني» الشر المهزوم. بل تتحول الصحراء إلى بساط رملي نظيف، يحسن الكلام ويبارك «الصغير الغريب». وفي النهاية، تقتل «مريم» زوجها كي تكون قادرة على الانتماء إلى أخيها، ويقتل أخوها الصهيوني، ليستطيع استعادة أخته. وفي الحالين، فإن القتل المقدس هو التوسط الضروري بين الفلسطينيين المتباعدين.

تبدو الرواية، في البدء، مأساة تقبض الروح، فإن تراجع الليل، ونفحت الكلمة الضحيةَ روحاً جديدة، تكشّفت المأساة وجوداً عارضاً، ينفتح على مسرة منتظرة. فالرواية تخبر، في البدء، عن موت الأب وضياع الأم وموت الخالة وإعدام «سالم» وسقوط الأخت وتيه الأخ، إلى أن تنتهي إلى ما يمحو البدء ويلغيه، معلنة أن «الأم الضائعة» لم تضع أبداً. كل شيء يستيقظ ويغفو في زمن سائل، كما يقول غسان، والأصوات تتقاطع أبداً، لا تتوازى ولا تتعاكس. لكن الرواية، التي تلغي المستقبل لأنها تعرفه، تصادر سيلان الزمن، وتستعيض عنه

بزمن صلب مسطري، إذ الليل مخاض، والنهار ضياع، والفجر خلق وولادة.

يحوّل الخط المستقيم الواصل بين «قوة الكلمة» ومصائر الشخصيات لعبة الزمن إلى ممارسة تقنية - شكلانية تومئ للموضوع الذي يدور فيها. فالزمن النفسي المتدفق يسرد، نظرياً، عالماً داخلياً تصوغه رغبات متداخلة، حيث لا ليل ولا نهار إلا ما شاءت الرغبة المضطربة أن ترى فيه ليلاً او نهاراً، على خلاف «الزمن الإيماني» الذي يضع في النهار ضياعاً وفي الليل اختباراً وفي الصباح انتصاراً. ولهذا تبدأ الرواية مع اقتراب الليل: «صار بوسعه الآن ان ينظر مباشرة إلى قرص الشمس معلّقاً على سطح الأفق، يذوب كشمعة ارجوانية تغطس في الماء، وفي اللحظة التالية غاصت الشمس كلها» وتنتهي ناشرة ضياء يوم جديد: «واضاء شعاع الشمس الضيق المتسرب من النافذة خطاً رفيعاً من الدم». بين الشروق والغروب ليلة تعيد بناء المصائر، كما ينبغي ان تكون، في انتظار غد يقيني يجسّد الحكاية الصادقة في وقائع لا زيغ فيها. وسواء اخذ غسان بتقنية «تيار الوعي»، واغوته بها رواية «الصخب والعنف» لوليم فوكنر، أم بحكاية «الشراع» الذي يهزم «العاصفة»، فذلك لا يغيّر من الأمر شيئاً، طالما ان الزمن الممتد من الغروب إلى الشروق ينتهي إلى واقعة يقينية. تجعل حتمية الشروق السعيد، الذي يعقب غروباً حزيناً طارئاً، التقنية الروائية محايدة، او شكلانية، ذلك ان القول الروائي معطى، منذ البداية، و«دفعة واحدة»، كما يقول غسان.

ما اتت به الرواية في نهايتها اعلنت عنه، في بداية السطور، حيث الغروب يستدعي الشروق، وإن كان بينهما ليل اختباري ومسافة متلاشية. لا تحجب التقنية الروائية، ودورها حجب القول، شيئاً، منذ ان صادرت المقولات الفكرية الشخصيات الروائية إلى حدود الإلغاء: التمرد = حامد، الليل = زمن الاختبار، الصحراء = موقع للمواجهة، زكريا = الفلسطيني المهزوم، مريم = فلسطين المنتهكة والمبعوثة في آن.. وهناك الفنان - السياسي الذي ينظّم علاقات المعركة ويخرج منتصراً. يلعب غسان، وقد تَوْأم المعركتين السياسية والأدبية، دور الروائي وقائد المعركة في آن، فالرواية والمعركة تتبادلان المواقع دون خصام. والمعركتان، وقد تطابقتا، تفرضان قولاً واحداً على الشخصيات جميعاً. ولعل الصوت الخالق، الذي تتصادى فيه رومانسية جامحة، هو الذي يوحّد بين الأخت والصحراء ويحملها بهواجس مشتركة. حين تقول الصحراء: «كان وحيداً تماماً، بلا سلاح، وربما بلا امل ايضاً، ورغم ذلك فعند لحظة الرعب الأولى، قال إنه يطلب حبي، لأنه ليس باستطاعته ان يكرهني»، تقول «مريم» في اللحظة ذاتها: «ليس باستطاعتك ان تكرهني يا زكريا، ليس باستطاعتك ان تفعل ذلك، فانت كل ما تبقّى لي، اما هو فقد مضى وامحى من هذه الغرفة». تشكّل علاقة الأخ بالصحراء نقيضاً لعلاقة الأخت بزوجها البائس. كان الصحراء اخت حنون شاسعة الأطراف، وهو ما يضع الأخت والأخ والصحراء في مقام طاهر، بعد ان توزّع الموت على الصهيوني والفلسطيني «النتن» في آن.

يتعيّن غسان في نصه خالقاً كاملاً، يقترح البداية والنهاية وما بينهما. تقول الرواية عن «حامد»: «طوال ستة عشر عاماً لفّوا فوقه خيطان الصوف حتى تحوّل إلى كرة. وهو الآن يفكها تاركاً نفسه يتدحرج في الليل»، ثم لا تلبث ان تقول: «لم تعد انت مجرد كرة لفوا عليها خيطان الصوف ستة عشر عاماً». يحمل الذي تحرّر من قيوده صفات تلك القيود: «إنه مغامر شجاع»، تقول الرواية، «كان صغيراً وشجاعاً بصورة لا تصدق، وقد ظل ينظر بعينيه الحادتين إلى كل الرجال نظرة الند»، «كانه درع صغير يرصد سن الرمح»، «وبدا جسده الفتي تحت ثيابه متيناً ومتحفزاً كجسد قط بريّ». لا تعبر الصفات الإيجابية عن شخصية الفلسطيني المنتصر، بل عن الانتصار في ذاته المتجسّد في شخصية فلسطينية. يفضي البدء من الانتصار، وهو فكرة مجردة، لا من المنتصر، وهو موضوع مختلف، إلى امرين: تحويل الرواية، المتعدّدة القول نظرياً، إلى حكاية احادية المعنى، من ناحية، وإلى إلغاء التاريخ، لأن المستقبل قائم في الحاضر، من ناحية ثانية.

يتعيّن الصهيوني، في رواية غسان كنفاني، علاقة مزدوجة: قائم هو كشخصية روائية بين شخصيات اخرى، وقائم اولاً كعنصر مسيطر في التصور الروائي للعالم. وإذا كان الصهيوني، في شكله الأول، مهزوماً، فهو منتصر وواضح الانتصار، في شكله الثاني. ذلك انه يعبّر عن حصار الوعي الفلسطيني وعن حريته المستحيلة والمستلبة معاً، لأن الوعي الفلسطيني يبدأ وينتهي بالصهيوني الواجبة هزيمته وبالفلسطيني الواجب انتصاره، الأمر الذي يضع العلاقات الروائية في فضاء الأفكار المجردة. لذا يظهر المخيم، وهو مكان فلسطيني معيش بامتياز، ويتلاشى سريعاً تاركاً مكانه للصحراء، كمساحة ذهنية واسعة يصارع فوقها الفلسطيني الصهيوني ويصرعه.

يطرح غسان في ممارسته الأدبية سؤالاً معقداً وبالغ التعقيد، قوامه: «ادب المعركة»، الذي ينوس ابداً بين حاضر بائس وماض سويّ ينبغي استرجاعه. وفكرة غسان عن الموت، وهو «مخيار الإنسان الوحيد»، تعبير عن وعي الإنسان المقاتل، الذي يرى إلى الانتصار - الموت ولا يرى إلى غيره. وفي تصوّر كهذا، يكون على القول ان يكون فعلاً وعلى الفعل - القول ان يكون منتصراً، وعلى الكتابة ان تكون مقاماً مقدساً عناصره القول والفعل والانتصار.

هجس كنفاني بالسؤال التالي: كيف يمكن إعادة بناء التجربة الفلسطينية التراجيدية بمنظور فلسطيني جوهري؟ والسؤال وجه لسؤال آخر اكثر عمقاً: كيف بنى العدو تجربته «المنتصرة» بمنظور صهيوني جوهري؟ يكون، في السؤال المزدوج، بحث الفلسطيني عن ذاته اللاجئة بحثاً عن الذات الصهيونية التي فرضت عليه اللجوء. وهو ما يشير إليه غسان في نهاية تقديمه لكتابه «في الأدب الصهيوني» حين يقول: «وكل ما تطمح إليه هذه الدراسة هو ان تلقي ضوء آخر على الشعار الصعب: اعرف عدوك». ومعرفة العدو لا معنى لها، وكما اشار سقراط منذ زمن سحيق، دون معرفة الذات التي تناقض العدو. غير انها، وفي حال الإنسان المضطهد، معرفة غريبة ومرهقة، لأن العدو يقوم داخل الإنسان اكثر مما يقوم خارجه. كان على الذات المضطهدة أن تنجح في ترحيل العدو إلى خارجها، كي تلتقي به في الخارج وتقاتله. شيء قريب مما كتبه جان بول سارتر في تقديم «معذبو الأرض» لفانون: «إن المواطن من السكان الأصليين لا يشفي نفسه من العصاب الاستعماري إلا بطرد المستوطن بقوة السلاح.. فعندما ينفجر غضبه يعيد اكتشاف براءته ويصبح قادراً على معرفة نفسه من حيث انه هو الذي يخلق نفسه. إن إطلاق النار على اوربي هو بمثابة قتل عصفورين بحجر واحد، فهو يعني انه يُقتل في آن معاً رجل ظالم والرجل الخاضع لظلمه». وهذا يعني بداهة: عندما يطلق الفلسطيني النار على صهيوني اطلق النار على الفلسطينيين في الأزمنة كلها، فإنه يقتل الصهيوني ويقتل صورة الصهيوني التي سكنت يوماً ما قلب الفلسطيني واجبرته على الفرار. لذلك، وفي رواية «عائد إلى حيفا» يرى الفلسطيني الصهيوني «في الخارج»، دون ان يكون قد طرده، بعد، من «داخله» ■■

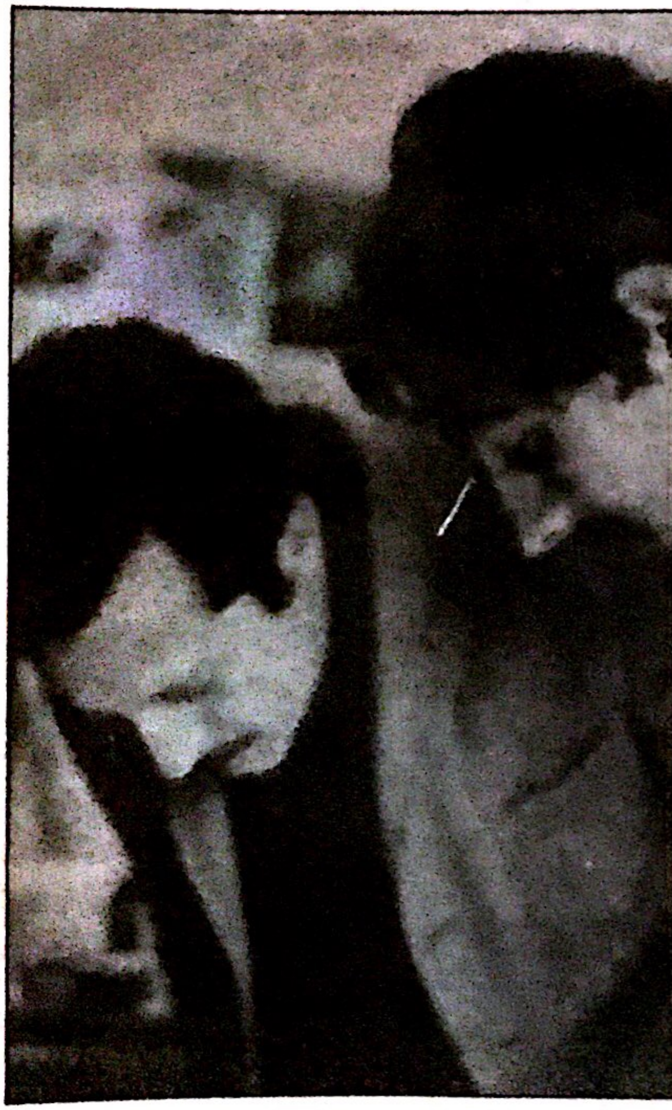
---

(1) الاستشهادات ماخوذة من المجلد الأول، دار الطليعة، بيروت، 1980.

غسان كنفاني

موهبة وصمود

أبو علي مصطفى



في ذكرى استشهاده التاسعة والعشرين أسجل كلمة قصيرة، مهما كانت مشفوعة بالبلاغة أو معطرة بروح المشاعر تجاه إنسان ما أن تعرفه حتى يدخل القلب والوجدان باقتحام صاعق، فيه من القوة بقدر ما فيه من المحبة، هي كلمة لا تفي الإنسان حقه فما بالك أن يكون هذا الإنسان هو غسان؟.

عرفته قبل أن أراه بسنين، عرفته بما كتب وأبدع الكتابة لفلسطين، يوم أن كانت تأتينا بالتهريب في النصف الأول من الستينات مجلة (نشرية) متواضعة ملحق لجريدة المحرر اللبنانية واسمها (فلسطين) هي متواضعة الإصدار. هذه حقيقة لكنها مليئة بالدلالات والمعاني، إنها قرع طبول الذاكرة الفلسطينية، أيها الفلسطينيون افيقوا .. اقرعوا "جدران الخزان".

كان وكنا من الجيل الذي صهرته نار النكبة بلظاها، واستقلنا على نفي وتشريد... بل والغاء للذات والهوية... وكان لا بد من إطار يحمل الهموم والآمال... فكانت حركة القوميين العرب مجالنا واداة فعلنا وثقافتنا الوطنية والقومية... صحونا فيها على أوجاعنا واوجاع الأمة.

صرخ غسان باوجاع فلسطين على أمته العربية ... قالوا له "طريق الوحدة يؤدي إلى فلسطين"... صمت ثم قال : "أكملوها أيها السائرون وفلسطين طريقكم للوحدة". فكانت النشرية (ملحق المحرر) دربه للتعبير من الغلاف إلى الغلاف... رسماً مطرزاً لعلم فلسطين... حتى الكلمة الرصاصة.

تلك هي المحطة الأولى التي التقينا في رحابها... وكانت ممهدة للمحطة الثانية.

من جرح حزيران 1967 انطلقنا من جديد، بإعلاء صوت البندقية في رسم رحلة طريق طويلة... رحلة الكفاح المسلح... من جبال الضفة وريفها ومخيماتها... إلى بيارات غزة وشاطئها بداية ونشوء... إلى الأغوار التي اصبحت خطنا الأول... بعد أن كانت الثاني (الرديف) في احتضان الظاهرة العلنية (قواعد ومعسكرات) بعد تراجع المجموعات الأولى خطوة إلى الخلف من موقع (الأساس).

في ذاك الوقت، وكان قد حل عام 1968، التقيت غسان وجهاً لوجه لأول مرة، بزيارته الأولى للقواعد العسكرية في الأغوار. سألني كثيراً عن الداخل وبدايات التجربة في العمل المسلح... سألني عن الناس وعن الجغرافيا. وكان يدون ملاحظاته... سألني عن الصواب والخطأ في البدايات... سألني عن الإمكانات التي بدأنا بها... سألني عن التنظيم عن الحالة الشعبية... عن المشاعر. بعد مشي وصعود، في إحدى القواعد العسكرية المتقدمة لمقاتلي الجبهة الشعبية، على شفا النهر في الأغوار... صمت طويلاً وأنا أشير بيدي نحو جبال فلسطين التي تطل علينا من ذاك الموقع، ولم أكن اسمع صوته... فإذا به غارق يفكر فيما أجبت على الأسئلة المنطلقة من داخله.. قال بعد صمت:

عندي مشروعي التوثيقي التحليلي عن ثورة فلسطين 1936، خلصت إلى حصيلة مما أعرفه ورأيته، وسمعته منك، إنها ليست كما ثورة 1936/ حيث كانت الأرض كلها لنا.. وكان الشعب كله عليها.. وكان لنا التفوق لو احسنا عملاً.. مع فارق واحد لصالح الصهاينة متمثلاً بوجود قوات الاستعمار البريطاني.

إننا اليوم، ثورة الشتات نحو الداخل... ثورة من خارج الوطن، من أجل أن تكون في الوطن، وعلى الأرض... ثورة شعب غالبه مشرد... بمواجهة كيان صهيوني له أنياب قوية... وأضاف بالقول ولا تنسى أن أرض النظام العربي إن لم تكن معادية للثورة فهي ليست مؤاتية لها.

قلت له وماذا ترى؟ قال: إن استطاعت الثورة الحفاظ على نفسها... لضمان استمرارها فنحن نقترب من الوطن، إلا أن هذا لا يتم إلا بالاستناد

إلى قاعدة ارتكاز استراتيجية... كي تصل إلى الوطن وهي قوية... ثم سألني هل انتم كثوار على ثقة باننا في هذا المكان نحظى بها؟ أو هي (القائمة) الآن امينة وآمنة للمستقبل الواعد؟

كان جوابي لغسان.. هي محاولة نعمل من أجل الوصول لها.. لكنها اليوم ليست كذلك.. فهي ليست آمنة، بل نحن عرضة لاحتمالات الانقضاض علينا من الأمام.. ومن الخلف، من أحدهما تارة أو من كلاهما إن استوجب حالهم ذلك تارة أخرى.

غادرنا غسان بعد زيارة امتدت ليومين على أمل أن نلتقي مرة ثانية وفي أقرب وقت... وكانت المرة الثانية في عمان عشية تأسيس مجلة "الهدف" عام 1969، التفت إلى عيناي في المكتب العسكري بعمان وقال: يا رفيق ابو علي هل تذكر ما قلناه في زيارتي السابقة؟ قلت له نعم، ولا زالت في رأسي.. قال وهل من تحسن؟ أجبته تحسن ممكن لكن لا زال بدون ضمانات.

ثم كان ما كان من حروب عمان الكبرى ضد المقاومة ايلول 1970/ وحروب جرش عجلون 1971 الهادفة لإنهاء فكرة قاعدة الارتكاز الاستراتيجية وهكذا كان..

في المحطة الثالثة التقينا، لكن هذه المرة في بيروت في شهر ايلول 1971، تذاكرنا وتذكرنا، ومن وحي اللقاء كتبنا تقييماً سريعاً في مجلة "الهدف" وكان لغسان الفضل في صياغة رؤية جديدة، تجسدت في التحضير لمادة المؤتمر الوطني الثالث (آذار 1972) مهام المرحلة الجديدة.

فيما بعد الخروج من الأردن، أعقاب حرب الجبل (جرش، عجلون/ تموز 1971) صارت مكاتب مجلة الهدف مركز لقاء قيادي للوافدين من خارج لبنان، وكان غسان بمكانته وثقافته وروحه العالية ودماثة خلقه، مركز جذب لنقاش حيوي نقدي هادف، بعيداً عن المزايدة اللفظية الثورية التي انتعشت آنذاك على يد فريق مال للتأسيس لانشقاق انتهازي تحت دعاوي نظرية (بالمضمون طفولية يسارية) وكان لغسان قولٌ مأثور حينها يكرره عندما يشتد الجدل مع ابو انمار (من الفريق الذي انشق لاحقاً باسم الجبهة الثورية) "إن اليساري الذي لا يتقن القدرة على التحليل العلمي للظواهر، هو يتقن فن لحس حواف الكتب الثورية، ولا يفهم مضمونها".

غسان رغم ما كان يعانيه من مرض السكري، الذي كان يحتاط له بحمل أدوات الحقن بالأنسولين، وأحياناً يستخدمها في المكتب، يقول لك وأنت جالس معه في مكتبه عن إذنك (ويرفع قميصه ويعطي نفسه الحقنة) وهكذا يعود لحيوية العمل بلا مبالاة بالمرض وعوارضه.

جلود.. مواظب.. لا يتعب من العمل كان يكفيه في الأسبوع يوم واحد يقضيه مع اسرته المكونة من أم فايز وفايز وليلى، ولكن لم يكن يقدم على ذلك، قبل ان يطمئن على صدور العدد الجديد من الهدف.

هو معلم ايضاً، في فن التحرير والإخراج كان يعلم الذي لا يتعلم، ويجعل منه شيئاً مرموقاً. فمرة أتاه شاب من برج البراجنة اسمه محمود الداورجي، وطلب منه عمل... ساله غسان وماذا تتقن من الأعمال؟ اجابه محمود.. كرة القدم، ضحك غسان حتى سمع ضحكته كل من في مكاتب المجلة.. لم هذا... ونظر لمحمود نظرة محبة وقال له : اسمع يا محمود انت شاب فلسطيني من المخيم والحياة أمامك... ساعلمك عملاً لم تعرفه من قبل هل انت مستعد؟ أجاب محمود. بتلهف الباحث عن عمل نعم، مستعد.. وكان له ما اراد وعلمه الإخراج وهو من المهن الصحفية الهامة. واصبح محمود خلال سنة من افضل مخرجي الصحافة. والحال ينطبق على محررين وكتاب صفحات، وهم كثر، من تلامذة غسان الذين اغنوا وأثروا الصحافة العربية.

تميزت صحيفة "الهدف" بجرأة الكلمة، وصوابية الاتجاه، والتبشير بالفكرة. ولغسان كان يعود الفضل، وفي عدد من أعدادها في نهاية عام 1970، كتب مقالاً عن إحدى دول النفط العربي، اعتبر بموجب قانون الصحافة اللبناني ماساً بالذات الملكية في تلك البلد، مما أدى لصدور حكم بسجن غسان لأسبوعين وتغريم المجلة، وبسبب من أوضاع غسان الصحية، تم تحويله لمستشفى في بعبدا تحت حراسة الشرطة حتى انقضاء الأسبوعين.

غسان لم يضع الوقت، ومارس هواية الرسم التي يتقنها افضل من خيرة المحترفين، وأقام علاقات طيبة مع الحراس وعاملي وعاملات المستشفى، وتوزعت رسوماته عليهم، ومن اجمل ما رسم آنذاك لا زال رسماً متداولاً يتصدر البيوت والمكاتب حتى اليوم، وطبع عنه الكثير(لوحات، اغلفة صحافة، معلقات نحاسية) كلمة فلسطين بالألوان والرموز.

كان يقع تحت مكاتب مجلة "الهدف"، مطعم شعبي صغير (مطعم أم فريد)، نلتقي فيه أحياناً في موعد الإفطار (حمص وفول وشرب الشاي مع النعناع)، لدرجة أن هذا المطعم الشعبي أصبح من معالم مجلة "الهدف" بموقعه، ورغبة الرفاق للقاء فيه، عندما لا يكون غسان في المكتب.

فيما بعد عملية مطار اللد 1972/5/30، وفي لقاء مع د.وديع حداد في احد المنازل البيروتية، قال لعدد من الرفاق وكنت منهم، إحذروا، فالعدو يعد لضربة مؤلمة للجبهة وقياداتها بعد ضربة مطار اللد.

واضاف، انتبهوا لغسان لأن إحدى المجلات نشرت له صورة مع يابانيين قالوا "انهم من الجيش الأحمر" اقترحت عليه أن يلتقي غسان، وكذلك نحدثه نحن عن ضرورة اتخاذ إجراءات احترازية. وكان غسان وقتها واسرته يسكنون في حي الحازمية من ضواحي بيروت، وهو بعيد عن إمكانية الحماية والسيطرة من قبلنا.

وكان أن اخذ الدكتور وديع بالإتفاق مع غسان إجراءات احترازية، مكتب بديل غير معروف، شقة سكنية بديلة، سائق للسيارة، تغيير ساعات التردد وكسر الروتين. إلا أن غسان لم يكن يكترث كثيراً بهذه الإجراءات.

في صباح يوم السبت 1972/7/8 وكنا ملتقين في مطعم (ام فريد) الشعبي ناكل الحمص والفول ونتمتع بشرب الشاي مع النعناع، وقد قاربت الساعة الحادية عشر، وإذا بأحد رفاقنا (زكي هللو) يهبط من سيارة اجره بباب المطعم، وفي عيونه الدموع، يصرخ علينا "أن قوموا ايها الرفاق لقد اغتيل غسان"، يا له من خبر نزل على رؤوسنا كالصاعقة، بل اصاب كل بيروت بالذهول، واصاب الصحافة وعواصم العرب وفلسطين بالصدمة!!!

ذهبنا لمنزل الشهيد، لنجد الشرطة وهيئات التحقيق وقد سبقتنا، وهي تفحص بقايا السيارة وتجمع ما تناثر من جثتي غسان ولميس (ابنة شقيقته).

وهكذا كان من نهاية لجسد غسان الإنسان المبدع، والموهوب الذي تتمثل فيه صورة فلسطين، المجسد لطموحات شعب بصموده وروحه.

الشهيد غسان مات جسداً وبقي روحاً وفكراً ونبضاً لا زال فينا بل في كل اجيال فلسطين.

دعانا غسان لنقرع جدران الخزان، وها نحن نقرع جدران العالم وسنبقى إلى أن يعود جدث غسان إلى عكا ■■

غسان كنفاني
عاش كشمعة تحترق من الجانبين

صقر أبو فخر

اتسم الأدب الفلسطيني، في المرحلة التي أعقبت النكبة سنة ١٩٤٨، بما يسمى أدب الحنين، أي أدب الشوق إلى الديار والأحبة والأماكن المفقودة. كان أدب الألم والاضطراب. وهذا الأدب صوّر الفلسطيني في هيئة لاجئ يحرقه نداء العودة، وتستفز ذاكرته بيارات البرتقال في يافا وبيادر القمح في قرى الجليل، ومدرجات الخضرة في سفوح الكرمل، والمدى الأزرق في خليج عكا. في تلك الفترة شاعت كثيراً مفردات الحزن مثل الخيمة والأهل والربوع البعيدة والنسائم و«يا طير الطاير يارايح ع الديرة».

كان الأدب في فلسطين، إذن، قبل العام ١٩٦٧ مأساوياً من الطراز الإغريقي. فالبطل منفي، وتتنازعه مشاعر الخيبة واليأس والتمزق. غير أن الأدب الذي ظهر بعد انبثاق الكفاح المسلح في ١٩٦٥/١/١ اختلف تماماً، وراح يقدم الفلسطيني لا كلاجئ هذه المرة، بل كبطل مفعم بالمجد ويبشر بالانتصار.

غسان كنفاني كان من الجيل الذي بدأ الكتابة بين المرحلتين، أي بعد النكبة وقبل ظهور العاصفة. وعلى الرغم من ذلك، وهذه هي فرادته المدهشة، لم يكتب أدباً نوستالجياً بالمعنى الحصري لهذه الكلمة، بل كتب أدب الاحتراق؛ كتب أدباً يلتهب بالتمرد، ويشتعل بالغضب، ويغلي بالنقد الذي يدمي ويوجع. ففي روايته «رجال في الشمس» التي كتبها في سنة ١٩٦٢ ونشرها في سنة ١٩٦٣، كان غضوباً لجوجاً لا يحتمل الاستكانة والامتثال، فصاح صيحته الحارقة: «لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟». كان يكتب المختلف والمشاكس والمعاكس لما هو شائع وسائد.

في سنة ١٩٧٠ نشر رواية «عائد إلى حيفا». حينذاك كان الأدب في فلسطين، في معظم وجوهه قد صار أدب تبجيل وتعظيم، ومالت النصوص الأدبية إلى تقديس البطل الفلسطيني الجديد، أي الفدائي، حتى غابت معه جوانبه الإنسانية، وجرى تجريده من فردانيته، فصار رمزاً لشعب يستيقظ أكثر مما هو بالفعل كشخصية واقعية تتحرك في إطارها المكاني والبشري والاجتماعي. ومع ذلك لم يكتب غسان كنفاني أي تبجيل أو تعظيم، بل كتب أدباً يفيض إدانة وتقريعاً للجيل الفلسطيني الذي لم يحافظ على فلسطين. فأبو الخيزران في رواية «رجال في الشمس» الذي يهرّب الفلسطينيين إلى الكويت والذي أصيب في حرب سنة ١٩٤٨ وأورثته إصابته العجزَ الجنسي، هو رمز بالغ الدلالة للقيادات الفلسطينية التي عجزت عن إنقاذ فلسطين. ومع أن غسان كنفاني كان واقعياً قاسياً وقلما استخدم الرمز، فأنا أحسبُ أن اسم أبو الخيزران اختاره إشارة للخيزران، أي إلى السوط، أي محاسبة القادة المهزومين.

يخاطب الفتى دوف أهله الذين تركوه في السرير في حيفا في لجة اضطرابهم وفي غمرة تدافعهم إلى الهرب من ميناء حيفا إلى لبنان، وكان اسمه خلدون: «كان عليكم ألا تخرجوا من حيفا. وإذا لم يكن ذلك ممكناً فقد كان عليكم بأي ثمن ألا تتركوا طفلاً رضيعاً في السرير. وإذا كان هذا مستحيلاً، فقد كان عليكم ألا تكفوا عن محاولة العودة. أتقولون إن ذلك أيضاً كان مستحيلاً؟ لقد مضت عشرون عاماً يا سيدي، عشرون سنة ماذا فعلت خلالها كي تسترد ابنك؟ لو كنتُ مكانك لحملتُ السلاح من أجل هذا (..) لا تقل لي إنكم أمضيتم عشرين سنة تبكون؟».

هذا هو غسان كنفاني؛ مختلف ومؤتلف في الآن نفسه. يكتب أدباً تأسيسياً يغاير الشائع على طول الخط. والمغايرة هنا هي الاختلاف بعينه، أي أنه كان يكتب أدباً يخالف الواقع. لكن أدبه، في الوقت نفسه، هو أدب واقعي جارح. واقعي لأنه نقل الأحداث من ابتذالها العادي إلى


الفارس، من أعمال الشهيد غسان كنفاني.

سموها الرفيع. فالواقعية لديه هي واقعية نقدية بامتياز. وفي هذا الطور كتب رواية «أم سعد» وكتب مجموعة «أرض البرتقال الحزين» ومجموعة «عن الرجال والبنادق». لكن «رجال في الشمس» و«عائد إلى حيفا» تبقيان الأكثر توهجاً واحتراقاً.

ولد غسان كنفاني في عكا. ومع أن بعض أبطاله يعودون إلى ديارهم مؤقتاً، أمثال سعيد وصفية في «عائد إلى حيفا»؟ إلا أن غسان نفسه لم يعد إلى عكا قط. فلم تسعفه الأيام والوقائع برؤية قمة الكرمل وخليجها القوسي الجميل. هو من عكا التي تبدو، بأسوارها العتيقة، كأنها مرصودة لمقارعة الموج، أو كحارسة أسطورية لخليج أسطوري ذي بهاء وجلال وجمال.

لم يعد غسان كنفاني إلى حيفا البتة. لكنه ذهب إليها. وحيفا ربيبة عكا المدينتان اللتان تتناوبان حراسة القوس المائي الخلاب حيث تغتسل أقدام الكرمل في أمواجه الهادرة.

ولد غسان في ١٩٣٦/٤/٩ في هذا القوس البهي؛ وكان اسمه مزيناً، المصادفة، بقوسين: قوس النون وقوس الغين. والقوس بالعربية لا عمل لها سوى الموت. وكان الموت في خليج عكا يتتابع كموجها، فإما أن يأخذ البحر قربانه اليومي من صياديها وبحارتها، أو تأخذ الهجرة إلى الشام والمنافي قرابين دائمة.

لكن القوس لا تعني الموت دائماً. فهي واهبة الحياة أيضاً. ذاك هو قوس كيوبيد الذي يهب الحب والمتعة والنضارة والأمل لكل من أصابته سهامه. وغسان كنفاني عاش أقواسه من الجهتين: كان نضراً، حيوياً، دفاقاً، خلاقاً. وذهب إلى مصيره الآخر بسرعة.

عاش غسان كنفاني متوتراً كغصن صفصافة، مشدوداً كالقوس إلى الموت والحياة في آن. كانت أقواسه واهبة الحياة لا الردى، بينما كان حظه من الحياة أن يرديه للموت باكراً كبطل اغريقي مشرداً يصارع أقداره وآلهته وشياطينه. كانت حياته أشبه بالكوميديا السوداء. الموت يحوطه وهو الضاحك أبداً. حارب المرض بالضحك، وحارب آلامه بالسخرية. وعندما كانت الإغماءة تفاجئه في نوبة من نوبات السكري، وبعدما يفيق منها يُشعِل لفافته القاتلة ويذهب في حديثه مسترسلاً كأن شيئاً لم يكن.

كان الضحك جزءاً من نشاطه اليومي، والسخرية بعضاً من إبداعه الفني. راح يكتبُ مقالاته الساخرة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ويوقعها باسم «فارس فارس» أو «ا.ف» أي أبو فايز. كتب في مختلف ضروب الكتابة وصنوف الأدب كأنه كان يسابق موته. اشتغل بالفن التشكيلي لكنه شُغل بالمقالة والتعليق والقصة والنقد الأدبي وحتى تحرير الأخبار، وكان، في الوقت نفسه، مناضلاً سياسياً ومسؤولاً إعلامياً. لكن الرواية كانت ميدانه الأبرز الذي برع فيه متأثراً، في بداياته، برواية «الصخب والعنف» لوليم فوكنر. ولحسبُ ان التزامه السياسي وانشغاله بالكتابة الإعلامية والسياسية والتعبوية بددا مواهبه الأدبية.

كان يكتب باحتراق. ما همّه يوماً الأسلوب ولا اعتنى بتهذيب لغته أو بحذف التفصيلات أو بتقليم الكلام الزائد في نصوصه. ولو عاش طويلاً (اغتيل وهو في السادسة والثلاثين فقط) لربما انجز شيئاً مهماً في هذا النوع من الكتابة الإبداعية، أو ربما أسس لطريقة لامعة في الكتابة الروائية.

شُغف رفاقه في «رابطة الأدب والحياة»، التي ضمته في دمشق إلى فضل النقيب وأحمد خليفة وبلال الحسن، بالقراءة وتكوين أنفسهم ثقافياً وتأسيس شخصية أدبية لكل واحد منهم، بينما راح غسان يهتم بالكتابة والرسم والنشر. كان عَجولاً لذلك ذهب إلى المستقبل، بينما رفاقه الذين كتبوا أشياء كثيرة مهمة، لم يكتبوا أدباً قط.

حمل الريشة يافعاً، ثم حمل القلم ثم السلاح. وفي الحالات كلها ظل القلم سلاحه الأثير في معاركه المتعددة. مرة، في إحدى مدارس وكالة الغوث في دمشق حيث اشتغل معلماً ابتدائياً، وكان منهاج الدراسة يقرر أن يرسم التلاميذ موزة وتفاحة، وكان الكثير من هؤلاء التلاميذ نياماً في قاعة الدرس؟ فهم يعملون ليلاً في بيع الحلوى في دور السينما وعند مفارق الطرق، وقلما يعرفون الموز والتفاح. كانوا مثله تماماً. عمل في المطاعم والمطابع ليلاً وفي توزيع الصحف عند الفجر. لذلك مسح غسان صورة الموزة والتفاحة عن اللوح وطلب من التلاميذ أن يرسموا مخيماً.

«عاش بلا حلم». هكذا يروي عنه صديقه فضل النقيب. كانت أحلامه قطعان غيوم مبددة، أصوات رياح مجنونة، شهب تومض ثم تختفي. كان يعلم أنه لن يبقى طويلاً فعاش محاصراً بالموت كقوس خليج عكا: السكري في طرفه ونضاله السياسي في طرفه الثاني.

كان الموت مصير أبطاله في أولى رواياته: «رجال في الشمس». وكانت صرختهم: «لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقرعوا جدران الخزان؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟». وكان موته المدوي في ١٩٧٢/٧/٨ مع ابنة أخته لميس نجم أشبه بصيحة أطلقتها جدران آلاف الخزانات.

مات غسان كنفاني كما يموت أبطاله. وعند قبره وقف صديقه كمال ناصر الذي سيموت مصلوباً بعد سنتين ورثاه قائلاً:

كفّنوه بالعزِ من أمجادهِ
وادفنوه مشرداً في بلادهِ ■■

يوسف شرورو وغسان كنفاني

توأمة الموت والحياة

فضل شرورو

قلما نجد كاتباً، مبدعاً، ارتبط اسمه مع مبدع آخر، وروائي آخر، كما ارتبطا غسان كنفاني ويوسف شرورو..

كان الزمن كان غير الزمن، فالمحبة محبة خالصة، ليس فيها زيف الأكاذيب او لعله كان الهم الواحد، والإنتماء الواحد، والهدف الواحد، هو الذي جعل هذا الرباط متيناً إلى هذا الحد..

كتب ياسين رفاعية قبل ايام، عند وصول خبر وفاة يوسف شرورو في لندن (جريدة المستقبل 3 تموز2001)، يقول: «كنا ثلاثة، بدأنا الكتابة في فترات متقاربة: يوسف شرورو و زكريا تامر وانا كنا نقرأ لبعضنا ما نكتب قريباً من مقبرة الدحداح» كان الزمن يزهر بالإخلاص... ولم تكن غيرة الكتاب تأكل كبدهم كما أقلامهم بل كانت الاثره هي العنوان، في الصداقة والعلاقة...

- أما غسان كنفاني ويوسف شرورو فقد تجاوزت علاقتهما الصداقة، الى الرفاقية الى الأخوة الى وحدة الكفاح، فوحدة الهدف..

يمكن التساؤل الآن، لكن ليس قبل ذلك، كيف يمكن ان تضم مجموعة قصصية قصيرة لغسان كنفاني «موت السرير رقم 12»قصة قصيرة ليوسف شرورو؟

الجواب منذ صدور المجموعة، وحتى الآن، هو: لأن المحبة والاحترام والطريق الواحد جمع المبدعين منذ البدايات، ولم يعد للشكليات مكان، بل كان للهدف المقام الأول... ،وان يخفق فوق الحرف علم التحرير... علم فلسطين، خارج خفق القلب، وأسر الهجرة والشتات.

نشأا معاً، المدرسة نفس المدرسة، القراءات، التفتح، الهاجس الواحد، وانتقلا معاً من دمشق الى الكويت، والطموح واحد، الكتابة، والقلب فلسطين، حملاها معاً، ارتحلا بها، ليس كحقيبة، بل كجسد وكيان وايضاً كملاذ، ودائماً. كهدف... وبنفس الهمة والنشاط والدأب، كان غسان كنفاني ويوسف شرورو... يحولان مكانهما الى فلسطين، فلم تعد فلسطين حقيبة، بل فلسطين المكان، وصارت فلسطين تنمو في الأرض كلها وتزهر الليمون والبرتقال في كل الأرض..رسماً، كلمة، قصة، رواية، فيلماً سينمائياً... وشبكة علاقات.

مرة كنا في بيروت، وغسان بمجلة «الهدف» توجهت ويوسف من مكتبي المقابل بمجلة «الى الأمام» عبر الطريق، قال يوسف: «غسان وانت حققتما الكثير» ولم تتح لنا زحمة السيارات، نحن المشاة، متابعة الحديث... وبعد استقبال غسان ليوسف بحميمية وصلت ذروة الدمع المتبادل، والضحكات، والاحتضان والتباعد لإلقاء النظرات، على آخر القيافة او النحافة او البدانة... أخبار الصحة والشباب... جلسنا قال يوسف: من منكما يقبل بمبادلتي المكان؟ ضحك غسان وقال: يا رجل كل منا معطاء في مكانه، الحجر في مكانه قنطار...

غسان ويوسف رؤيا في مكانين، هكذا كان انطباعي بعد سماعي هذا الحديث الذي بعد ذلك تتشعب الى فضاءات لا يمكن ان يتسع لها المكان هنا..وقد تكون في المستقبل موضوع دراسة، او كتاب..يحمل الأسمين والصورتين، والتفرد والغربة في الشخصيتين، مع وحدة الرؤيا في النفسية وحب فلسطين... .

قد تكون بعض المصادفات، والمفارقات لها دور في نسج خيوط «قربى» غير مرئية بين مبدعين... قد لانقف عندها إلا عند الحدث...

كتب لي يوسف شرورو بعد استشهاد غسان كنفاني: «كنت أستبشر بذكرى مولدي السنوي – 14 تموز – ففيه ذكرى ثورة الحرية في العالم وبعده من ايام تموز ثورة عبد الناصر، ولكنني في هذا العام التموزي، الحزين كتب عليّ أن أكون مع غسان الشهيد في كل تموز، وعلى مدى العمر، هل تدري انني اختنق، فقد كان غسان رئتي الأخرى في البلاد، وتموز اختار ان اكون فيه وتموز اختار ان يرتحل غسان معه».



قبل ايام مرت ذكرى مولد يوسف، التموزي، بعد وفاته بايام وجاءت ذكرى استشهاد غسان التموزية ايضاً.. وهاهما يلتقيان من جديد إذ لا اظن ان ذكرى احدهما ستكون وافية إن لم يذكر الآخر... وتحققت النبوءة الأولى..وصارت في الماوراء، وحدة الرؤيا، كما هي الحياة..

عندما كتب يوسف شرورو روايته «الحزن يموت ايضاً» كان غسان كنفاني قد رسم «فلسطينيته» الشهيرة كلوحة بكل الوان قوس قزح، وهي لوحة لا تزال ببيوتات الفقراء من شعبنا تضعها في صدر المكان. تلك «فلسطين» غسان، اما يوسف، فقد اراد ان يخفق علم فلسطين المحرم في ذلك الحين ان يرفرف فوق الحزن فوق الموت فوق حزن التهجير وفوق قسوة الموت فجاء غلاف «الحزن يموت ايضاً» يجمله العلم الفلسطيني خفاقاً فوق كل تراكمات خذلاننا وصارت الرواية، كما حدثني معظم الأسرى الذين تمت عمليات تحريرهم، ضمن عمليتي التبادل الشهيرتين «النورس 1979، الجليل 1985»، صارت الرواية تنتقل من زنزانة الى زنزانة، من سجن الى آخر، تتجول بين العيون والقلوب... ..والعلم الفلسطيني يخفق في السجن وفضاءات حلم الحرية والتحرر... «فلسطينية» غسان، و«علم» يوسف صارا «التعويذة والحجاب» يحمله كل فدائي، كل أسير، كل حالم بالحرية.. لفلسطين ولإنسان فلسطين.

مصادفات... أم رغبة في التماهي والإصرار الى وحدة المنطلق ووحدة الهدف، سؤال، لا أملك الجواب عليه... روح غسان كنفاني، روح يوسف شرورو قادرتان على الإجابة وحدهما وفقط... ولعلهما في مكانهما الآخر يحتضنان الآن، يلتصقان، يبتعدان ينظر كل منهما الى الآخر، سائلاً عن فلسطين العلم، فلسطين الأرض والإنسان.....■■

الهدف وغسان: من زمن الاشتباك إلى زمن الانتفاضة

يحيى يخلف

الهدف تصدر من فلسطين

حدث صحفي وثقافي ووطني، نفخر به ونعتز......

الهدف تصدر من المركز، من عمق الوطن، بعد أن ظلت مغتربة عقوداً عدة، لعل ذلك يحقق تعطشنا لصحافة وطنية تغني التجربة السياسية والديمقراطية والمعرفية في وطننا...لعل ذلك يحقق حلم غسان كنفاني، المؤسس، والرائد، وشعلة الثقافة الوطنية التي لا تنطفئ.

«من فلسطين ريشتي»، عنوان ديوان شعر لعبد الكريم الكرمي (ابو سلمى)، وهذه لسان حال كل مثقف ومبدع يتخذ من الكلمة وسيلة للتعبير، وعندما يقولها المثقف المبدع، فإنها ترتبط إرتباطاً وثيقاً بحلم العودة، ففلسطين هي الوطن، والشخص، والمنارة.. وفلسطين هي (الهدف)...

لقد أصدر غسان كنفاني والجبهة الشعبية تلك المجلة لتعبر عن دقات قلب الشعب الفلسطيني في الزمن الذي سماه غسان، زمن الإشتباك، لترافق ذلك النهوض الوطني الذي انبعث من تجربة الكفاح المسلح، وبعد رحيل غسان واصل نخبة من الكتاب والصحفيين إصدار الهدف على خطاه، وانتقلت الهدف من «كورنيش المزرعة» في بيروت، إلى مكاتب متواضعة في حي المزرعة بدمشق، ثم إلى مكاتب أكثر تواضعاً في مخيم اليرموك، وها هي تعود إلى حيث يجب أن تكون، لتصدر من رام الله في زمن الانتفاضة. وما بين زمن الإشتباك، وزمن الإنتفاضة كان الزمن مديداً، وسقف الشعب الفلسطيني عالياً، وتضحياته متواصلة، وكانت «الهدف» صحيفة الفقراء والبسطاء والمثقفين، وكل أبناء الشعب، كانت «الهدف» تواصل رسم ملامح الأمل، وتواصل تحديد الإتجاه، وتمثل مجلداتها تسجيلاً للتاريخ الحقيقي للكفاح الوطني، وشهادة حارة على حقبة هامة من التاريخ المعاصر.

وعندما تعود «الهدف» إلى أرض الوطن، يعود غسان كنفاني الرمز معها، وإذا كان رحل في مثل موعد صدورها، فإن الدلالة هنا في المعنى الذي تثيره فكرة العودة من حضور الفكرة، وديمومة الرسالة.

غسان يعود مع الهدف، مثلما تعود الطيور الخضراء، فغسان هو حارس النبع، وحارس الفكرة

وغسان كرمز سياسي، وكرمز ثقافي يتجدد عاماً بعد عام، وتزهر براعمه على شجرة المعرفة، وشجرة الإبداع الفلسطيني الذي لا ينضب.

غسان يتجدد، وتتعدد قراءة كتاباته في كل موسم خضب، وكل هبّة شعبية، أو إنتفاضة جماهيرية كل مرة نقرأ غسان من جديد نكتشف معنى جديداً، ودلالات ذات أبعاد خلاقة.

غسان كنفاني لا يقرأ مرة واحدة.. غسان بحاجة إلى قراءات متعددة، وكلما تعددت القراءات، كلما تعددت الرؤى.

غسان أول من نبّه إلى سمة المقاومة في الأدب الفلسطيني، وبعد كتاب غسان عن (أدب المقاومة) صار هذا المصطلح متداولاً، ففلسطين هي أرض المقاومة، والمقاومة سمة من سمات المكان، ومن الطبيعي أن يكون المنتج الثقافي الفلسطيني له خصائص هذه الأرض المقدسة.

وإذا ما عدنا إلى قراءة ما كتبه غسان عن مصطلح (أدب المقاومة) في هذا الوقت بالذات، أي في زمن الإنتفاضة، فسنجد أن غسان كنفاني يجيب على أسئلة طرحت بعد إتفاقات أوسلو.

مفادها: هل انتهت ظاهرة المقاومة في الأدب الفلسطيني؟

هل أصبح للأدب الفلسطيني اهتمامات أخرى بعد أن دخلت القضية في مرحلة التسوية السياسية؟

هل يصبح للأدب الفلسطيني هموم تختلف عن هموم الأدب العربي، ويتحول إلى تيار جانح عن تيار الثقافة القومية؟

لقد جاءت الإنتفاضة المجيدة، لتجيب على تلك الأسئلة، وتعيد الإعتبار إلى مصطلح غسان كنفاني، ولتؤكد كل ما ذهب إليه غسان، من أن المقاومة كانت ولا تزال سمة أساسية من سمات الأدب الفلسطيني، وأن الأدب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من حركة الأدب العربي المعاصر، وهو يشغل مكاناً بارزاً في لوحة هذا الأدب، ويمنحه خصوصية فريدة.

وحين كتب غسان عن (الأدب الصهيوني)، أكد أن الكاتب الإسرائيلي يضبط خطواته على إيقاع خطوات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وإن إعادة قراءة كتاب غسان هذه الأيام، يكشف عن صواب ذلك الإستنتاج، فالمثقف الإسرائيلي مجند بالكامل في صفوف الجيش الإسرائيلي. ومن جهة أخرى، سيكتشف القارئ، أن كتاب غسان كنفاني يتضمن دعوة لمقاومة التطبيع الثقافي مع العدو الإسرائيلي على الرغم من أن مصطلح التطبيع لم يكن متداولاً عندما كتب غسان دراسته.. لكن تعدد القراءة، يعطينا هذا المعنى، بكل وضوح، ودون مواربة.

قلنا إن غسان كنفاني يتجدد عاماً بعد عام، وفي أعماله الروائية نستطيع أن نكتشف أبعاداً جديدة في كل مرة نعيد فيها قراءتها...

وعلى سبيل المثال، فإن إعادة قراءة رواية (عائد إلى حيفا) هذه الأيام، تجعلنا نرى وأكثر من أي وقت مضى، عبقرية الفكرة، ودعوتنا إلى التشبث بتراب الوطن، ومواجهة سياسة الإقتلاع والنفي، فالإسرائيليون يريدون أرضاً بلا شعب، ولذلك يدمرون كل شيء، ويمارسون سياسة الأرض المحروقة لإبعادنا وتهجيرنا، ودفعنا نحو الصحراء...

ودلالة الوعي عند غسان تلتقي اليوم مع دلالة الوعي عند المواطن الفلسطيني الذي يعلن: أموت فوق أرضي ولا أغادرها، وعلى الرغم من ضراوة المواجهة في زمن الإنتفاضة لم تحدث هجرة جماعية كما حدث عام 48 أو عام 67، وذلك بفضل الوعي وروح الصمود وهو ما استنبطه عمل غسان كنفاني (عائد إلى حيفا) والذي نفهمه أكثر هذه الأيام في ضوء تجربة الصمود والتحدي.

إنّ السياسة الإسرائيلية الرامية إلى تهويد الأرض، قد رمز إليها غسان بشخصية (دوف) في روايته، ودوف هنا لم يعد يعني الشخص، وإنما تعدى ذلك إلى المكان، وإلى الأرض، وإلى الثقافة، وإلى التاريخ.

ولقد قال لي ذات يوم الكاتب الألماني (راينر كيرندل) إن روايات غسان جعلته يفهم القضية الفلسطينية أكثر مما فعلت النشرات الدعائية التي كان يتلقاها...

إن ترجمة روايات غسان إلى العديد من اللغات الحية، أدخلت القضية الفلسطينية ببعدها الإنساني إلى قلوب الكثير في مختلف دول العالم...

وأذكر، أن سينمائياً إيطالياً، زارني قبل شهور، وأخبرني عن نيته تحويل رواية (عائد إلى حيفا) إلى شريط سينمائي، وأضاف، أن الرواية مدهشة، وانطلاقاً من فكرة تعدد غسان بتعدد القراءة لأعماله، أقترح أن يكلف بعض الكتاب بكتابة جزء آخر لهذه الرواية، بحيث يتخيلون تطور الشخصيات ما بين لحظة إنتهاء الرواية عند غسان، واللحظة الراهنة.

تلك هي عبقرية الكتابة عند غسان كنفاني، فأعمال غسان تمتلك حياتها الداخلية، وهي تتطور وتقدم نفسها بصورة متجددة، ويمكن قراءتها من زاوية جديدة في كل مرة.

وما يقال عن غسان كنفاني، يقال عن الهدف، أحد إبداعاته الرائعة...

التجدد هو عنوان هذه الصحيفة التي طالما غمس كتابها ريشهم بمداد تجربة غسان كنفاني الصحفي، والكاتب، والأديب، والإنسان ■■

تمفصلات النصّ.. "العروس" لغسان كنفاني

عبد الكريم درويش

يتولى الراوي في قصة «العروس» كتابة رسالتين إلى عزيزة رياض تتسمان بالتعاضد الدلالي رغم مما قد يتراءى من شبه قطيعة بينهما. وتلزمنا طبيعة هذا التوزيع تقطيع النصّ إلى مقطوعتين. تبدأ الأولى من [عزيزي رياض] إلى [أنه محاط بشيء يشبه الغبار المضيء] (ص ١٥٦)، وتبدأ الثانية بـ [معك حق، ولكنني أكتب لك هذه الرسالة الثانية..] وتنتهي بـ [فلديّ أخبار جديدة عن العروس] (ص ١٦٣).

أ ـ تحليل الرسالة الأولى: تحمل هذه المقطوعة شكل رسالة يوجهها الراوي في صيغة الأنا المتكلم إلى الأنت (رياض)، وهو هيئة مخاطبة، مشخصة نصياً جاءت مسبوقة بصورة (عزيزي) في بداية النص ونهايته لتعكس، على الصعيد التيمي علاقة تحكمها وصلة حميمية على أساسها يطلب منه الراوي تنفيذ برنامج سردي يفتقر إلى غاية (موضوع قيمة) مرسومه سلفاً: [ابحث معي حيث أنت، عن رجل طويل جداً، صلب جداً لا أعرف اسمه، ولكنه يلبس بدلة خاكية عتيقة ويلوح لأول وهلة كانه مجنون] (ص ١٥١). يحتلّ الراوي في هذا الملفوظ مكانة مركزية تتميز بوضعه كمرسل يحفّز بصيغة الأمر رياض ويؤسسه فاعلاً في مشروع سردي يستدرجه من خلاله إلى قبول المعقد ووجوب التحري عن الرجل. غير أن البحث عن رجل نكرة يطرح إشكالاً في غاية التعقيد.

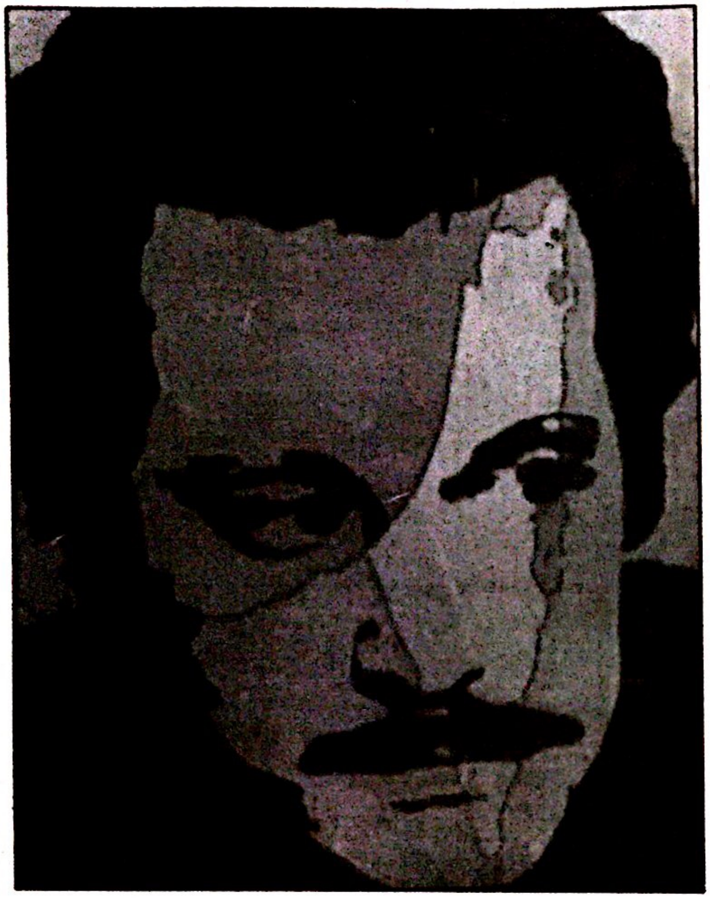
كيف يمكن ان يلتمس الفاعل موضوعاً نكرة: [ماذا يمكن ان نفهم من هذا كله؟ لاشيء طبعاً، فالمرء يصادف في اليوم الواحد، إذا ما سار في الطريق، مئة رجل يحملون هذه الصفات، فايّ واحد منهم تراني اقصد](١٥١). يبدو المرسل في حيرة، فهو يدرك تماماً أن رسالته غير مفهومه ويستحيل فكّ رموزها بهذا الشكل وانه يدور في حلقة مفرغة وفي وضع مضطرب لا يملك فيه القدرة على التميز والمعرفة (لا يعرف اسمه). تقتصر معرفته على مستوى الظاهر، العلامات الدالة على مظهره الخارجي (طويل جداً، صلب جداً، يلبس بدلة خاكية عتيقة، ويلوح لأول وهلة وكانه مجنون) وهذه العلامات غير كافية لتمييزه عن بقية الرجال. ويعترف الراوي بأن طلبه غير معقول ولا يصدر إلا عن مختل عقلياً: [لقد اكتشفت أنّه محض جنون أن اكتب واقول لك]. بدخوله في وصلة بالجنون، يدرك الراوي انه ينسف علة وجود الفاعل رياض ومشروع تحريه، ومشروعية وضعه كمرسل. وقاده شعوره باضطراب الوضع إلى ضرورة التدقيق في الماضي عبر ذاكرته والتنقيب عن علامات مميزة اخرى كفيلة برفع الالتباس وتحقيق التواصل مع رياض: [ولكن يخيل إلي الآن انني حين شهدته لأول مرة كان محاطاً بما يشبه الضوء]. نلاحظ في بداية هذا الملفوظ أن الراوي لم يملك بعد القدرة على ضبط العلاقات المميزة: بما يشبه الضوء. هذه الصورة التي لم تستقر ذاكرته عليها لحصول اللبس سرعان ما تتحدد معالمها بصورة إضافية: «الغبار المضيء» تحيل وحدتها المضمونية على المحيط المضطرب للرجل وعلى انتقال الراوي من الحديث عن الرجل إلى الحديث عن المحيط، وتبقى العلامات الأربع معلقة يستحيل معها فك رموز رسالة حاملة في مضامينها اسباب فشل مشروع الراوي في تبليغ معرفته لرياض وتاسيسه كفاعل في برنامج التحري عن الرجل.

ب ـ تحليل الرسالة الثانية: تبدأ الرسالة الثانية بانتقال الراوي من الحديث عن العلامات المميزة للرجل إلى مستوى رواية قصته الكاملة، وهو انتقال يعكس رغبته الحادة في اقناع رياض بحقيقة ما جرى: [معك حق ولكنني اكتب لك هذه الرسالة الثانية في يوم واحد لتعرف القصة بكاملها، ذلك انني رايت انه صار من حقك، وقد طلبت منك مشاركتي في البحث عنه، أن تعرف ما اعرفه](١٥٢). نسجل في هذا الملفوظ تدرجا في السرد يعبّر عن النقلة التي يحدثها الراوي من صعيد العلامات الخاصة بالرجل إلى صعيد قصته ـ تتقدم النقلة كبديل لتجاوز المعيقات (المرئية) التي تحول بينه وبين معرفة العلامات اللازمة للرجل واللازمة لمعرفته ـ فهو يخرج القارئ من منطق العلامات المؤسسة لكيان الرجل بوصفه ماهية (من هو؟) إلى منطق القصة بوصفها فعلاً (ماذا فعل؟) ليكون نقطة استدلال وارتكاز لذكر ما جرى فعلاً. يتضح عند هذه النقطة من الدراسة أن وجوب تبليغ القصة يتسم بطابع إلزامي يدخل في علاقة تضايف بالحق في المعرفة إذ بامتلاكها تتحقق شروط العقد الائتماني، ويتاسس رياض فاعلاً في برنامج التحري عن الرجل، ويصير البحث عنه واجباً. وعلى اساس هذه القناعة التي نفترض أنها ستكون متبادلة بين المرسل ورياض، يتاهب الراوي لذكر ما جرى: [لست اذكر بالضبط متى رايته لأول مرة، لكني اذكر تماماً كيف رايته: مثل إنسان فقد شيئاً]. تبدأ الرسالة الثانية بعودة الراوي إلى الماضي، وهي عودة وإن كانت غير مؤسسة على نقطة استدلال زمنية محددة، فإنها متموضعة في

نزة تاريخية سابقة لزمن تلفظ الراوي ومؤطرة لأول اتصال حدث، على صعيد الرؤية، بينه وبين رجل يجسد وضعه ملفوظ حالة فصلي، يتقدم الرجل إذن كفاعل حالة في فصلة عن موضوع قيمة متماه في «شيء» بدا ينحسر ويتشكل تدريجياً في برنامج سردي يرمي من خلاله الرجل إلى الدخول في وصلة بالعروس: [وضع كفه الكبيرة على كتفي وسأل: ـ هل رأيتها ـ رأيت ماذا؟ ـ العروس! وطبعاً تيقنت لعيني رجل مخلوع عن العالم والعقول، لذلك اخترت الأسلوب الأسهل فقلت له: ـ كلا لم أرَ العروس ـ].

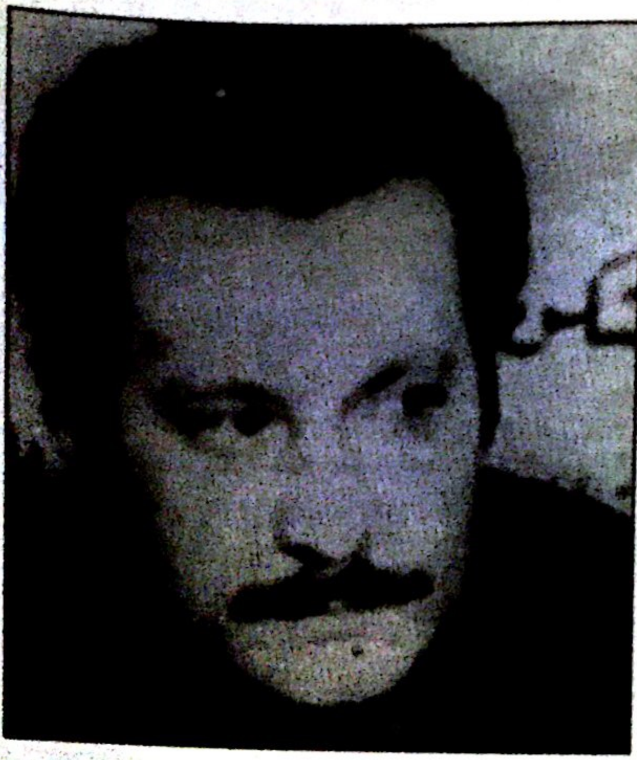
يأخذ موضوع القيمة المجسد في «العروس» شكله النهائي، ويصير الراوي مالكاً لمعرفة مقطوعة عن معطياتها المرجعية، وهذا ما يعلل تعجبه أولاً، وجوابه السلبي ثانياً، واتهامه بالجنون ثالثاً. تحمل العروس التي تشكل موضوع قيمة تحري الرجل رسالة مُفرزة لقيم لا يعرف الراوي نفسه فيها، من هنا جاءت صعوبة القبض على معنى ما يقول الرجل نحمل الالتباس: [وعندما سقطت يده من تلقائها إلى جنبه واستدار، إلا أنني سمعته يقول، كأنما لنفسه: ـ كلكم تقولون هذا منذ عشر سنوات]. يقرن الرجل هنا الأنت المخاطب (الراوي) بالأنتم: كلكم بوصفه عاملاً جماعياً يصدر سلوكاً موحداً صادراً عن رغبته في قطع سبل التواصل معه ـ فهو يعرف حقيقة العروس ولا يريد الإعراب عن هذه الحقيقة. سيؤدي هذا الوضع التراجيدي إلى انجراف الرجل نحو هوة يتوحد فيها الصمت واليأس: [وعبثاً حاولت اللحاق به.. لقد نقبت الشارع صعوداً ونزولاً، قابلت مئات من الرجال الذين يشبهونه تماماً ولكنه هو نفسه كان قد اختفى](١٥٣). إن فشل الرجل في التواصل مع العامل الجماعي ولّد لديه شعوراً بضرورة وضعه أمام مسؤوليته وإحداث القطيعة مع القيم الجماعية السائدة. لقد وصل إلى درجة أصبح فيها التعامل معه مستحيلاً، فكان الاختفاء الذي خلق توتراً ووضعية لا توازن على الصعيد السردي أحدثت اضطراباً لدى الراوي الذي لم يقر لحظة اللقاء بالرجل فاختار الهروب الأسهل. هذا الجواب الجاف الذي يدلل على أنه لم يرغب في ربط أواصر الحوار معه، يعدّ في حد ذاته شكلاً من أشكال إهماله والإساءة إليه بما أنه تجاهله ولم يحاول أن يفهم حقيقة العروس والعشر سنوات التي مضت. واختفاؤه، ولّد لدى الراوي شعوراً بالذنب أفرز وضعية لا توازن تزامنت معها الرغبة في اللحاق بالرجل وتعويض الافتقار بردّ الاعتبار إليه. ستقوده هذه الوضعية المضطربة المتسمة باليأس في العثور عليه إلى تحديد الدعوة لرياض وتأسيسه فاعلاً مساعداً في مشروع البحث عنه. ينصّب الراوي نفسه فاعلاً في مشروع التحري الذي يقوم أساساً على استراتيجية الاتصال المتدرج بالمعارف القريبة والبعيدة. غير أنه سرعان ما يعطل هذا المشروع، لتتخذ القصة منحى آخر مفرزاً لمستوى آخر يجسده تعديلاً في موضوع رغبته: [إذا كان ذلك الرجل قد دأب على سؤال الناس عن العروس منذ عشر سنوات كما قال، فإن الشيء المؤكد تماماً أن كثيراً من أولئك الناس الذين سألهم ينتابهم الآن ما ينتابني. وكنت أسير ذات يوم في الطريق دون أن أعرف ما الذي أنوي عمله.. مضيت إلى الرجل وسألته: هل رأيت العروس؟].

يتضح عند هذه النقطة أن العامل الجماعي (الناس)، الذي تنكر للرجل على امتداد سنوات عشر، مارس فعله التأويلي على سؤاله، ليكتشف أن خطابه يتسم بالصدق واقتنع بوجوب التحري عن أخبار العروس لتعتبر هذه القناعة الجماعية معطى نصياً نسلم به مبدئياً في انتظار توفر العناصر النصية الضرورية لحصر التخريجات الدلالية بخصوص تشكل هذه القناعة والوسائل التي أسهمت في إحداث التحول النوعي من الإدراك الفردي إلى الإدراك الجماعي. [نعم يا رياض، لا بد لي من رؤيته، لدي أخبار جديدة عن العروس]. ونشهد في هذا الملفوظ السردي تحولاً جذرياً حصل على مستوى كفاءة الراوي، نقله من



اللامعرفة إلى المعرفة المتشكلة من الأخبار الجديدة عن العروس ـ فهو يريد استناداً لهذه الكفاءة، أداء رواية قصة الرجل والعروس من بدايتها إلى نهايتها رغبة منه في اقناع رياض بوجوب التحري عن الرجل. وتبدأ القصّة: [كان من قرية شعب شاباً لم يكن قد ضيّع شيئاً بعد، ولكنه لم يكن عند ذاك قد وجد أي شيء أيضاً]. في هذا الملفوظ تنسب القرية لـ «شعب» لتحديد انتمائها أولاً وضبطها جغرافياً ثانياً. يمكن أن نفترض، من منظور سوسيوسياسي، أن صورة «شعب»، فضلاً عن كونها تحمل سمة تمايز هذه القرية عن باقي القرى، قد تدل أيضاً على الجماعة الكبيرة التي تتكلم لساناً واحداً وتخضع لنظام اجتماعي واحد تكون فيه المواطنة حقاً شرعياً. وسنحتفظ بهذه الفرضية ريثما نجد لها في التحليل بعض المسوغات النصية التي تؤكدها أو تنفيها. ويحتل الشاب الذي ينتمي للقرية «شعب» موقع، فاعل ويتحدد على صعيد الملك، فهو وإن لم يكن قد ضيّع شيئاً أو وجد أي شيء، فإنه في جميع الحالات «يملك» وتنصهر طبيعة الملك غير المؤطرة نصياً في «شيء». يجسد ملفوظ الحالة دخول فاعل الحالة (الرجل) في وصلة بشيء نكرة: [لابدّ أنّ قصته قد بدأت في يوم من أيام حزيران الأولى عام ١٩٤٨، كان القتال الدموي قد استمر دون انقطاع طوال أكثر من ستة أشهر]. [فقد تركز القتال بصورة جادة في الجليل]. نسجّل في المطلع تثبيتاً تاريخياً وفضائياً للنص يحيلنا على البدايات الأولى للصراع الذي تنعكس تجلياته في وضع مضطرب (حرب) يدخل في ثنائية ضدّية مع وضع مستقر سابق (سلم).

سيمثل موضوع القيمة فلسطين رهان القتال الدموي في النص: [وكان هو ـ وأنا ما زلت أجهل اسمه ـ سيّد الذين يندفعون إلى القتال، هجوماً كان أم نجدة أم دفاعاً، إلا أنّه كان يشترط أن يعرف موعد العمل بساعتين على الأقل، كي يكون أمامه متسع من الوقت للتفتيش على من يقبل أن يعيره سلاحاً]. يقدم «القتال الدموي» كفعل تحويلي يرمي من



خلاله العامل الجماعي إلى تحرير الأرض الفلسطينية، ويجسّد الشاب في هذا الفعل صورة «السيد» التي تعكس وحدتها المضمونية كفاءته المتجلية في معرفته العسكرية وقدرته على توقع وبرمجة العمليات الضرورية (الهجوم/ النجدة/ الدفاع) لتحقيق برنامج سردي يعدّ فاعلاً ديناميا فيه ويكون الهدف منه استرجاع موضوع القيمة. غير أنّ هذا الفاعل ملزم، لانجاز هذه الغاية، بتحيين مشروع آخر يشكل برنامجاً سردياً وسطياً (ملحقاً) يهدف إلى الدخول في وصلة بالسلاح. فالنص يطرح إشكالاً: امام هذا الوضع المضطرب المتسم بحدّة المعركة، ليس أمام الفاعل إلا ان يؤدي دورين متنافرين يعقدان مهمة فك الحصار: البحث عن السلاح متزامن مع المواجهة الدموية: [لم اعرف بعد من الذي زرع في راسه، في أحد تلك الأيام الأولى من حزيران، ان عليه الحصول على السلاح، وكان هذا الراي سليماً تماماً، فقد تركز القتال بصورة جادة في الجليل، والقى العدو ثقله هناك، وابتدات انهار المهاجرين تسيل في التلال نحو الشمال، وبدا كل شيء وكانه يقف على الحافة](١٥٥). ويؤكد الراوي في بداية هذا المقطع وجود هيئة غير محددة نصياً تحتل موقع المرسل، تحفز الفاعل وتعمل على إقناعه بضرورة الحصول على السلاح. الراوي يجهل هذه الهيئة ويؤول، بوضعه ملاحظاً للمشهد الحربي، إيجابياً تجليات فعل المرسل (كان هذا الراي سليماً). ويعكس هذا المشهد برنامجين: ١ـ البرنامج السردي للعدو الذي توج اداءه العسكري بهيمنته على فضاء الجليل واكتساح أهله. ٢ـ برنامج هروب ونزوح العامل الجماعي طلباً للنجاة (الحياة) نحو الشمال ـ إن تحركه بهذا الحشد الهائل المعبر عنه بصورة «الأنهار» لم يصدر عن طوع خاطر او اختيار مسبق، فهو امام امرين: إمّا أن يبقى في الجليل فيموت او يهجر فتكتب له النجاة. وموضوع القيمة (الأرض) في كلتا الحالتين ضائع. لم يضطر إلى الهجرة سوى لأنه يفتقر إلى الوسيلة التي تمكنه من دفع المضرة وتحرير الأرض. فهو مستعد للاندفاع إلى القتال [illegible] في تحقيق ادائه وقادر على تنفيذ الفعل الكفاحي. غير أن هـ[illegible] عناصر المشكلة لكفاءته لا تكفي. ولفهم هذا العجز، ينبغي أن نرقى إلى مستوى آخر لننظر في كفاءة الهيئة القائدة الكفيلة لوحدها باست[illegible] ـ الفعل

الكفاحي وتوجيهه بشكل يؤدي إلى نجاح المهمة الصعبة. وتبدو هذه الهيئة، على مستوى المنظومة العسكرية، عاجزة عن تنظيم صفوفها ومفتقرة في الوقت نفسه إلى قيادة قديرة على الإمداد بالدعم اللوجيستيكي. ويؤكد افتقار العامل الجماعي إلى السلاح المعاناة الحقيقية للجندي العربي الذي يتحمل لوحده نتائج فعل تنظيمي ليس من اختصاصه وليس مسؤولاً عنه. وهو يُعبّر عن وجود تعطيل في الهرم العسكري وهوة كبيرة بين الجهاز التنظيمي والفعل الكفاحي. يمكن ان نؤول عجز القيادة المسكوت عنها في النص على انه مَنْع لتنفيذ البرنامج العسكري ومعارضة لإرادة العامل الجماعي المتجلية في تعريضه للهجرة والموت: [لاشك انه كان اصلب من ان يتردد كثيراً.. كان قد عقد عزمه بصورة ليس بالوسع زحزحتها، لقد سلّم سلاحه.. لأحد رفاقه ومضى يزحف تحت غيوم راعدة من النار، كان على يقين بان بعض جنود العدو في خطوطهم الأمامية قد قتلوا وانه لو انتظر إلى نهاية المعركة لفقد فرصته، كان يعرف انهم يسحبون جنودهم بالحبال بعد انتهاء القتال]. يؤسس في هذه المقطوعة السردية ضمير الغيبة هو (الرجل) فاعلاً في برنامج ملحق يهدف إلى الدخول في وصلة بالسلاح قصد دفع المضرة وإعادة التوازن للوضع المضطرب الذي نتج عما القاه العدو من ثقل في المعركة. وصدرت هذه المبادرة الفردية التي لم تنشا عن تخطيط مسبق او استراتيجية حربية وضعتها القيادة، عن قدرته على توقع الهزيمة [وبدا كل شيء وكانه يقف على الحافة] وتاويله الإيجابي للوضع الذي جعله يتخلى عن إمكانية التراجع والهجرة الاضطرارية ويتشبث بفكرة البقاء التي تعني بكل بساطة الموت. يقدم النصّ الفاعل على انه مؤهل لتمكين الفاعل الجماعي من تحقيق الفعل الكفاحي. ولسدّ النقص اللوجيستيكي، ولو بشكل رمزي، يسلم سلاحه لأحد رفاقه. ويسجل الفاعل، بهذا السلوك، استقلاليته عن أي مرسل خارجي وياخذ على عاتقه الأداء ـ تجليات كفاءته يجسدها على مستوى الإرادة اصراره، وعلى مستوى المعرفة خبرته بشؤون الحرب ـ هذه العناصر تُنَوْزِن فعله العسكري باتجاه الغيوم الراعدة من النار التي تُحيل على فعلٍ مضاد يرد مهمة مستحيلة، ذلك أن الفاعل يملك من العتاد الحربي ما يؤهله لردّ اي هجوم: [لقد استطاع أن يصل بالفعل إلى الخنادق المحروقة.. وباسنانه فكّ يد القتيل عن بندقيته ومضى عائداً إلى رفاقه. وسرى الخبر في كل القرى.. ليس لأنها كانت الحادثة الأولى من نوعها ولكن لأن البندقية التي جاء بها كانت بندقية نادرة. وانحنى الواقفون ينظرون إلى البندقية الجديدة.. كان ذراعها ذا لون بني كامد، وكان حزامها الخاكي جديداً تماماً، مجدولاً بعناية لا تصدق وكان مشطها يعلو كانه تاج]. بوصوله إلى فضاء العدو ينجز الفاعل أداء يمكنه من الانتقال من وضع يتميز باليأس بالافتقار إلى السلاح إلى وضع يتسم بعودة الأمل حقق فيه الفاعل وصلته بالبندقية التي تشكل موضوعاً يمارس عليه الفاعل الجماعي (الواقفون) تاويله: فهو يجردها من وظيفتها الأساسية المحققة للموت ويخلع عليها صوراً محدثة لحياة تتجلى عبر: الذراع/ الحزام/ التاج /لتشكل مساراً صورياً يحيل على العروس التي تشكل موضوع تحري الرجل في بداية النص ونقطة تقاطع بين هذه الوضعية السردية التي دخل فيها الرجل في وصلة بموضوع القيمة (البندقية/ العروس) والوضعية السردية اللاحقة التي انفصل فيها عنه ـ ستندرج هذه الفصلة ضمن برنامج سردي يكون فيه العامل الضابط فاعلاً دينامياً: [لقد استدعي في اليوم التالي إلى القيادة.. كان الضابط قد سمع عن البندقية، وحين شهدها امامه بين كفي الرجل فتح عينيه على وسعهما: ـ هذه مرتينة تشيكية ـ [يجب ان آخذ هذه المرتينة إلى القيادة، ولكي يطمئن على بندقيته اقسم له الضابط ان يعيدها له باسقاط إضافية خلال يومين]. يمارس الضابط في هذا المقطع فعله الإقناعي لكي يظهر لدى الرجل فعلاً تاويلياً إيجابياً. فهو بحجة التقيد بالأوامر، ياخذ موضوع

هبة (البندقية) وفي مقابل ذلك يلزم نفسه (وجوب الفعل) بتنفيذ شروط العقد: يعيد له البندقية والأمشاط (هبة إضافية). يحتل الرجل، على هذا الأساس، موقع فاعل حالة ينتظر من الضابط أداء حقه.

إذا كان الطابع التعاقدي للعلاقة الذي تؤسس حقّه بديهياً، فإن الطبيعة الإلزامية لحدوث أمل ورغبة الرجل في الاتصال ببندقيته تصير ولها يحدد علة وجود العقد الانتمائي. ويمكن افتراض أن التحويل المرتقب سيفضي إلى وضعية توازن متجانسة مع العلاقات الاجتماعية المبنية المرتكزة على الصدق في القول من جهة، والثقة من جهة ثانية. غير أن الأمور لا تجري وفقاً لشروط العقد. يبيع الضابط البندقية وينسف العلاقة التعاقدية على نحو ما يظهر ذلك جلياً في المقطع السردي الآتي: [من حلالي اشتريتها أمس أمام خمسة شهود من ضابط باعها لي.. بعت بها مئة جنيه مهر ابنتي الوحيدة، لقد رفضت كل عمري أن ازوجها لذلك العجوز النتن.. لقد دفع مئة جنيه، دفعتها بعد ربع ساعة فقط ثمناً لهذه التشيكية]. يشغل الأنا اللافظ موقع فاعل مفتقر إلى المال، فهو لا يملك، وتندرج رغبته في الملك ضمن برنامج سردي ملحق يمكنه من شراء السلاح والانضواء تحت البرنامج السردي الأساسي المتصل بالدفاع عن الأرض الفلسطينية ومحاربة العدو. فيتقاطع تحقيق هذا الأداء مع رغبة العجوز الزواج من ابنته، ويصطدم البرنامجان لافتقاده إلى الرغبة والقدرة على مصاهرة عجوز نتن. تحمل صورة النتانة قيمة دالة للتجانس وتتعاضد مع صورة العجوز لتثير رفضه. ولكن اشتداد القتال النموي يقوده إلى قبول الصفقة، فيبيع ابنته لتتحول إلى موضوع ديكور في فضاء العجوز، ويدخل في وصلة بالملك (المهر). سيؤهله هذا الوضع إبرام عقد مع الضابط (يشتري فيه البندقية مقابل المهر) يحقق بموجبه الضابط برنامجه الخاص بتنمية ثروته. تفرز هذه المقابلة الثنائية الضدّية الآتية: وفاء عكس خيانة.

لقد فحصنا البرنامج السردي للضابط في علاقته بالعجوز. بقي لنا أن نديم النظر في علاقة الضابط بالرجل ونعالج التطورات التي مسّتها في ضوء المعطيات المستجدة، والآليات التي تحكمها وتسيرها تسييراً يتراءى في البنية الدلالية الشاملة للنصّ والمجسّدة في برنامج تحري الرجل عن بندقيته والمعيقات التي حالت دون تحقيق غايته على نحو ما يتضح ذلك في المقاطع السردية الآتية:

I ـ [مرّ اليومان ومرّ الأسبوع.. من مركز القيادة إلى الدار ومن الدار إلى مركز القيادة.. ـ انتظر الآن وتعال غداً. ـ قيل له إن الضابط قد نقل مركز قيادته إلى الشمال حيث لا يعرف أحد](١٥٧).

II ـ [في طول ما تبقى من الجليل مضى ليل نهار يبحث عن بندقيته: من قرية إلى أخرى ومن مقاتل إلى آخر.. لقد مضى هو صعوداً.. إلى البروة ومن هناك إلى مجد الكروم إلى البعنة، إلى دير الأسد، إلى كسره، إلى كفر سميع، متعقباً اخبار بندقيته خطوة، خطوة من قصة إلى اخرى ومن رجل إلى آخر] (١٥٨).

III ـ [ولكنه هو في ترشيحا، كان يشمّ بندقيته قريبة كانها في متناول يده](١٥٩).

IV ـ [وقيل له يومها ان بندقية تشيكية جديدة شوهدت مع رجل عجوز، وراء اخبار البندقية من باب لباب قيل له أن العجوز الذي شوهد يحملها قد مضى ربما ليلتحق بالمقاتلين].

V ـ [ولكن الذي ادريه هو انه، تلك الظهيرة القائظة، شاهد بندقيته على كتف رجل في الساحة شدّها إليه وهي لما تزال معلقة على كتف الرجل](١٦٠).

يؤكد الراوي في الوضعية I من خلال السمة الشكلية في الفعل «مرّ» المكرور مرتين على خرق الضابط للمدة الزمنية التي التزم بها. ويتضح أنه أعطى أوامر محملة برسالة تنتفي فيها إرادته بالاتصال بالرجل لتهميش رغبته ودفعه إلى الياس والتخلي عن برنامج التحري عن البندقية ـ غير ان الأمور لا تجري وفق ما يشتهيه ـ فتنعكس العملية،



ويصرّ الرجل على البحث وتقوى رغبته وتتزايد، وتنكسر شوكة الضابط فيصل إلى درجة قصوى من الياس تقوده إلى نقل مركز قيادته إلى فضاء مجهول. تكمن وظيفة مجهولية الفضاء في تجميد فعل الرجل وإدخاله في فصلة عن موضوع المعرفة لشل كفاءته وإزاحته من موقع الفاعل الحيوي.

يتنوع في الوضعية II نشاط الرجل بتنوع الأفضية وعلى امتداد زمني متواصل بحثاً عن أخبار البندقية. ونسجّل في الوضعية III تطوراً ملموساً في البحث يؤدي إلى دخول الرجل على الصعيد الشمّي في وصلة برائحة البندقية التي تلتقي دلالياً مع الوحدات المعنوية لصورة العروس.

في الوضعية IV يكثّف الرجل اتصالاته التي تمكنه من الحصول على علامات مميزة تكشف عن رجل عجوز حامل البندقية ومجال تحركه.

ويحقق الرجل في الوضعية V، على صعيد الرؤية، وصلته بالبندقية ويدرك إدراكاً قطعياً أنها انتقلت من هيئة عسكرية (الضابط) إلى هيئة مدنية. فالضابط، في بداية القصة، قدّم ظاهراً يوحي بتفانيه في الخدمة ووفائه للقضية الفلسطينية، بالمقابل أسند له الرجل في ارتكازه على الظاهر، ماهية مناسبة. وتحدث قيمة الصدق المتولدة من التاويل الإيجابي، وضعية توازن يطمئن الرجل على إثرها ويعتقد في الوقت نفسه أن البندقية راجعة لا محالة. الضابط يرفض تسليم السلاح للرجل، يبيع البندقية ويحول بينه وبين رغبته في الدفاع عن الحق في الوجود. فينتقل بذلك من وضعية اولية تبدو صادقة إلى وضعية باطلة متسمة بالخيانة: تنمية الثروة في الوقت الذي يموت فيه الناس وتحترق المزارع وتسقط البلاد. ويكشف الرجل في تحريه المتواصل عن البندقية القناع الذي كان يحجب ممارسته الحقيقية: ستحدث وصلته بهذه الحقيقة وضعية مضطربة [وبدا انه.. سيتهاوى.. وبهدوء استدار كشيء محطّم ومضى. وليس يدري احد اين يذهب] صادرة أساساً عن افتقار مزدوج موضوعي (فقدان موضوع القيمة: البندقية) وانتماني (ازمة ثقة). ويتضح جلياً أن خيبة امله نشات من سلوك الضابط المؤول على انه غير مطابق لما كان ينتظره. وقد ولّد لديه هذا الشعور بالإحباط ازمة ثقة قادته إلى التدمير الذاتي، ثم الهروب، والاختفاء ■■

المرجع: غسان كنفاني، عالم ليس لنا، الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٠.

في ذكرى تأسيسها

"الهدف" تكرم الابداع وأهله

في احتفالية تكريمية لعدد من الرموز الثقافية، بمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين لاستشهاد الكاتب المبدع غسان كنفاني، والذكرى الثانية والثلاثين لتأسيس مجلة «الهدف»، وفي جوّ حميمي، مُفعم بالصدق والبساطة، اجتمع في مقرّ المجلة في مخيم اليرموك، قرب دمشق، مساء الخامس من تموز/ يوليو عددٌ من الكتّاب والمثقفين والفنانين، بحضور الرفيق ابو علي حسن عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والمكرّمين: الأب إلياس زحلاوي، كاهن كنيسة سيدة دمشق العريقة، والكاتبة الفلسطينية إبنة الراما، السيدة هدى حنا، والفنان المسرحي عبد الرحمن أبو القاسم والفنان التشكيلي محمود خليلي، وعدد كبير من الضيوف.

بدايةً قام الرفيق ابو علي حسن، بافتتاح المعرض التشكيلي الاستعادي للفنان زهدي العدوي الذي أُقيم على هامش هذه الفعالية، ثم قدّم الزميل علي الكردي تعريفاً موجزاً بالمكرمين، استهلّه بالترحيب بالضيوف في «بيت غسان كنفاني، هذا البيت الأصيل، الذي اسّسه غسان منبراً ديمقراطياً، تنويرياً حرّاً، ليكون واحة حوار وتفاعل من اجل كشف الحقيقة للجماهير.. هذه الحقيقة التي عمل غسان بكدٍّ وجهد، وعمل القائمون على «الهدف» من بعده على تتبّع مسارها الغائم، المتعرّج منذ ولادتها وحتى يومنا هذا الذي يصادف الذكرى الثانية والثلاثين لتأسيسها».

- **الأب الياس زحلاوي:**
  لم أتوقع يوماً، أن أُكرّم على واجب أحاول أن أؤديه!

- **الفنان عبد الرحمن أبو القاسم:**
  غسان كنفاني لم يمت!

- **الكاتبة هدى حنا:**
  تمنيت لو أنني هناك.. أتقدم أحفادي الشجعان لنحطّم الحواجز!

- **الفنان محمود خليلي:**
  أهلنا في الوطن المحتل هم الأصحاب الحقيقيون لهذا التكريم!



السيدة هدى حنا مكرمة

أضاف الزميل الكردي: «لعلنا، خلال هذه المسيرة الطويلة، قد أصبنا هنا، وأخطأنا هناك، وربما كنا على مستوى الحلم والطموح في بعض المراحل، وأقل منه في مراحل أخرى، بيد أننا، في كل المراحل، كنا نحاول صادقين تجسيد القيم النبيلة التي أسس لها غسان مبدعاً ومناضلاً وإنساناً».

ثم أشار إلى الدلالة الرمزية من وراء تكريم بعض الرموز الثقافية في ذكرى استشهاد غسان على أيدي أجهزة الغدر والإرهاب الصهيوني، التي لازالت حتى اللحظة تمارس جرائم القتل والاغتيال والإرهاب ضد الأطفال والنساء والناشطين من أبناء شعبنا، لأننا نرى هذه الرموز «امتداداً وتجسيداً لتلك المعاني الإنسانية والقيم النبيلة التي مثّلها غسان في إبداعه وفكره ونضاله..».



الأب إلياس زحلاوي: أنتمي للأرض وأرضي هي أرض عربية.

الأب إلياس زحلاوي: المعروف بمواقفه الوطنية والقومية، ودفاعه عن القضية الفلسطينية وعروبة القدس، الداعم للإنتفاضة، والمقاوم للتطبيع مع العدو الإسرائيلي، والصديق الشخصي الحميم للمطران كبوتشي كان واحداً من هؤلاء المكرمين، وهو دارس للفلسفة وعلم اللاهوت والموسيقا البيزنطية، وله عدد كبير من الترجمات والأبحاث في علم الاجتماع، والفلسفة، واللاهوت، ومقارنة الأديان، والمسرح.

أسس فرقة للموسيقا البيزنطية منذ العام ١٩٧٧ باسم (جوقة الفرح) وهو رئيسها. يعمل على خلق نظرة جديدة للموسيقا الدينية خارج جدران الكنيسة، وهو إضافة إلى موقعه الروحي، صاحب رؤية تنويرية إنسانية، متفتحة في سبيل خدمة قضايا الإنسان وحقوقه وحريته.

الكاتبة هدى حنا، مواليد عام ١٩٢٢، سيّدة فلسطينية جليلة، إبنة بلدة الرامة، التي رددت، كلماتها الصادقة، الحنونة بشكلٍ مبكّرٍ جداً آلام النكبة، وأحزان الأمهات الفلسطينيات في كتابها «صدى الملاجئ»، الذي جاء على شكل رسائل أدبية عن نكبة ١٩٤٨، حيث طبعته لأول مرة عام ١٩٥١، ثم أعادت طباعته للمرة الثانية في العام ٢٠٠٠، وهي تحضّر حالياً لطباعته للمرة الثالثة.. ويكفي القول: أن خمسين عاماً من عمر هذا الكتاب، هو تقريباً عمر النكبة، لم تغيّر من صدق وحرارة وصواب الشاعر والمواقف التي سجّلتها في تلك الفترة المبكّرة، وهذا يعكس إلى حدٍّ كبير مدى إحساسها العميق بحجم الكارثة، وإيمانها بقدرة شعبنا على مقاومتها.

أم يعرب، وهي أيضاً مناضلة سياسية، ورائدة من رائدات العمل النسائي، ومدافعة عن حقوق المرأة، اشتغلت في مجال العمل الاجتماعي والشأن العام، ومن الجميل أنها رغم تقدّمها في السن عاودت في السنوات الأخيرة النشاط والكتابة والمشاركة في الأمسيات الأدبية والثقافية التي يقيمها الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

الفنان عبد الرحمن أبو القاسم.. من مؤسسي المسرح الوطني الفلسطيني، في الخارج، مسكونٌ بالهم الوطني الفلسطيني، له عشرات الأعمال المسرحية التي حاول من خلالها أن يعكس بشكل جمالي وفني هواجسه الوطنية والإنسانية، نذكر منها «رقصة العلم، الاغتصاب، الشقيقة»، ومؤخراً قدّم مسرحية «بيت العيد» التي قارب من خلالها أجواء الانتفاضة، إضافة إلى حضوره المتميز من خلال عشرات الأعمال الدرامية على الشاشة الفضية.

الفنان التشكيلي محمود خليلي الذي عبّر بريشته وتكويناته وألوانه عن الحنين الجارف للوطن المغتصب، اشتغل خلال السنوات العشر الماضية، من خلال موقعه كرئيس لاتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين/ فرع سورية بنشاط للتعريف بخصوصية الفن التشكيلي الفلسطيني، وعمل على نشر الثقافة البصرية عبر تنظيم المعارض الجماعية والفردية للتشكيليين الفلسطينيين داخل سورية وخارجها، وخصوصاً معرض الكرامة السنوي.

له العديد من المعارض الفردية، ومشارك دائم في المعارض الجماعية، صمّم عشرات الكراسات لتعليم أطفال اللاجئين الفلسطينيين التي اعتمدتها منظمة اليونيسيف، إضافة إلى كونه فناناً مسرحياً ومصمماً لديكور العديد من الأعمال المسرحية المتميزة.

بعد هذا التعريف الموجز، قدّم عضو المكتب السياسي للجبهة الرفيق أبو علي حسن درع غسان كنفاني، وشهادات التقدير للمكرّمين، الذين تحدّثوا بهذه المناسبة، بكلمات مقتضبة، وانفعال صادق فقال الأب الياس زحلاوي: عندما قيل لي أن هناك حفل تكريم، أتيت وأنا أظن أنني سوف استمع إلى بعض الخطب، ولم أدرك تماماً أنني أمام مصيدة هذا الحفل، لأنني لم أتوقع يوماً، أن أكرّم على واجب أحاول أن أؤديه، خاصة لشعوري بأن ما أؤديه هو (بما لا يُقاس) دون ما يتوجّب عليّ القيام به.

لا أخفيكم أنني كنت أول أمس أتحدّث مع مجموعة من شبان وشابات جوقة الفرح في قاعة كنيسة سيدة دمشق، وبحكم تعاوني مع الشبيبة منذ العام ١٩٦٢، ومعايشتي للقضية الفلسطينية، لاسيما وأنني أمضيت ست سنوات كاملة في القدس، ما بين الأعوام ١٩٥٢-١٩٥٩م، أرافق كل ما يحدث.. وأحاول أن أرى ما قد يحدث.. وألاحظ أن هناك إحساساً بالموت يخنق الشبيبة كلها، فتوجهت إلى مجموعة من الشبان والشابات المتواجدين وقلت لهم: أنا أدرك تماماً ما تشعرون به.. ولكننا سوف نواصل الدرب..

أرجوكم.. لا تسمحوا لأي شيء بأن يقتل الإيمان فيكم. لا تسمحوا لأي إحباط بأن يثبط عزائمكم.. قلت لهم كلمة كتبتها للمرة الثانية أمس، وكنت قلتها منذ شهرين لمجموعة أخرى من الجوقة: حسبي أن أرى على



الفنان عبد الرحمن أبو القاسم متحدثاً.



الفنان محمود خليلي.

شاشة التلفزيون ما يجري على ارض فلسطين المحتلة، لكي اشعر بأنني لا شيء إزاء هؤلاء الأطفال والشبان والشابات والنساء والرجال الذين يقدمون الأرواح على أكفهم لا في سبيل قضية فلسطين وحسب، بل في سبيل قضية الإنسان.. هذا هو شعوري، لذلك أُفاجأ اليوم بتكريمي، وأنا اشعر بانني لم اقدّم بعد ما يجب أن يُقدّم.

ولا اعتقد، بأن هناك من يشعر بأن من حقه أن ينال شيئاً من التكريم على أداء واجب، يؤديه وهو يشعر بانه يؤدي أقل مما يترتب عليه من واجب.

يضيف الأب الياس زحلاوي: على كل حال.. أنا سعيد بلقائي بكم.. وأشير إلى أنني لا انتمي لأي حزب.. بل انتمي للارض.. وأرضي هي أرض عربية.. هي فلسطين، كما هي دمشق ولبنان.. ومصر هذا هو انتمائي، وهذا ما أحاول أن أعيشه منذ تفتحي على هذه الدنيا.. ومنذ بدأت اكتب بكلمات بسيطة، أحاول التعبير عن هذا الإيمان.

سألتني منذ فترة الأخت الصحفية تهامة الجندي في حوار نُشر في صحيفة «الكفاح العربي»: كيف أستطيع أن أربط الأرض بالسماء.. والله بالإنسان؟! فقلت لها: لا يمكنني أن افصل الله عن الإنسان.. والأرض عن السماء.. لا يمكن، وما أعيشه أنا ككائن مسيحي، وكلكم تعرفون أن لب المسيحية هو: «أن الله أحبّ الإنسان.. حتى أن يسوع مات من أجل الإنسان» وكل ما أحاول أن أعيشه أن اقدم مابوسعي أن اقدم.. ولو طُلبت مني حياتي سأقدمها.. لأنني لن اتجاوز معلمي يسوع المسيح، وهو اعظم الشهداء.. وأعظم الشاهدين بالحق.. فأرجوكم.. لا تكرموني.. ما اتمناه هو أن أستطيع مواصلة الدرب طالما أنا قادر على حمل الكلمة.. وطالما أنا قادر على إيصال صوتي بسيف الحق.. والحق اليوم، الحق الذي يتعلق بالإنسان كإنسان، يُداس اليوم في فلسطين بابشع الطرق، وبدعم من المؤسسات الدولية كلها، وللاسف أمام صمت عربي يخجل المرء منه. اكرر شكري لكم.. وادعوا لي لمواصلة هذا الدرب.. مع كل من التقيتهم.. مع كل كلمة أحاول أن أقولها، وأكتبها، حتى أستطيع عندما أواجه من خلقني.. أن أقول له: «هذه هي الأمانة.. حاولت أن أؤديها بأمانة» وشكراً لكم.

الكاتبة، السيدة هدى حنا قالت: شكراً لمجلة «الهدف»، وشكراً للحضور، وشكراً لهذه اللفتة التي جدّدت عندي مشاعر طيبة، ولو انني تمنيت أن أكون هناك في أرض الوطن، أتقدم أحفادي الفتيان الشجعان، نحطم الحواجز.. نخترق الأسوار.. نتحدّى العدو.. وعندما أكون أجدر بهذا التكريم، واعذروني (باكية) لا أستطيع التحدث كثيراً، لأنني سريعة التأثر في مثل هذه المواقف.

الفنان المسرحي عبد الرحمن أبو القاسم قال: حقيقة، شيء صعب أن يُوضع الواحد منا في موقف كهذا، لكن أحب أن أقول للأب إلياس زحلاوي، انني أخالفه الرأي عندما قال: «لا تكرموننا»، بل كرمونا.. كرّموا عبد الرحمن أبو القاسم، وكرّموا كل مبدع فلسطيني وعربي، حتى نشعر جميعاً، اننا بدأنا الخطوة الأولى، ووضعنا القدم الأولى على الطريق الصحيح.

نحن مسكونون بفلسطين، وبالقضية العربية عموماً. فلسطين هي جزء من إهتماماتنا اليومية. إذا حدث اعتداء على لبنان، نحن نصرخ في مخيم اليرموك.. وإذا حدث اعتداء في اي مكان من الوطن العربي نصرخ في مخيم اليرموك.. إذاً نحن نعتبر أن كل هذا الوطن العربي هو فلسطين، ونناضل من أجل هذا العالم الفلسطيني. يُسعدني أن أكرّم هنا اليوم.. وهو التكريم الثاني لي. احمل شهادة تقدير غسان كنفاني وكلي إحساس أن غسان لم يمت. غسان ما يزال موجوداً، وأكبر دليل، اننا الآن في بيت غسان، ونُكرّم باسمه، وإذا قُتل غسان، فيومياً يخرج من بين هذا الشعب غسان.. إسرائيل لا تستطيع أن تقضي على غسان، لأن غسان موجود في كل مكان.

الفنان التشكيلي محمود خليلي قال: باعتقادي، هذا المكان، ليس هو المكان المناسب لإلقاء الخطب، ولكن، وبشكل مختصر أقول: كنت أتمنى أن يكون مكاني في هذا التكريم (واعتقد انكم تتفقون معي في هذا الرأي) أطفالنا، ونساءنا وشيوخنا.. وكل أهلنا في الوطن المحتل، لأنهم الأصحاب الحقيقيون لمثل هذا التكريم، أو لأنواع أخرى أرقى منه.

كل الشكر لمجلة «الهدف» التي وضعت اسمي الصغير، بين مجموعة من الأسماء الكبيرة التي نعتز بها.. وكل الشكر لمن يساهم في رفع صوت غسان كنفاني عالياً ■■

في ندوة سياسية.. ثقافية

د. ناديا خوست: الانتفاضة مشهد عربي أصيل



ضمن الفعاليات التي أقامتها لجنة الإعلام في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهيئة تحرير مجلة «الهدف»، بمناسبتي الذكرى التاسعة والعشرين لاستشهاد الكاتب المبدع غسان كنفاني، والذكرى الثانية والثلاثين لتأسيس مجلة «الهدف»، الندوة السياسية الثقافية في مركز الشهيدة حلوة زيدان التي شارك فيها عضو المكتب السياسي للجبهة الرفيق أبو علي حسن، والأديبة الدكتورة ناديا خوست، وكان من المقرر أن يشارك الدكتور أحمد برقاوي، الذي تغيّب دون أن يبدي الأسباب، فيما اعتذر الدكتور ماهر الطاهر مسؤول الجبهة خارج الوطن المحتل بسبب عارض صحي ألمّ به.

قدم الزميل عليّ الكردي للندوة بالقول: بجناحيّ الأدب والسياسة، حلّق غسان خلال مسيرته الإبداعية والنضالية، مجسّداً في هذا الدور تلك المعادلة، التي تتبادل فيها السياسة والأدب المواقع، كما لو كان الأدب هو الأصل، أو الجذر المولّد للسياسة، فيما تظل السياسة الأفق المفتوح، والفضاءات الواسعة التي تنقل الإنسان المناضل من حقل «الفن» إلى حقلٍ أكثر فاعلية هو حقل «السياسة». من هذه الزاوية، آثرنا أن تحمل هذه الندوة هذين البعدين، اللذين جسّدهما غسان كنفاني في حياته ونضاله.

غسان كنفاني وإرادة الانبعاث

غسان الحالم.. غسان المقاوم.. غسان المناضل، المبدع، تُرى لو عاش حتى يومنا هذا.. وشهد انتفاضة شعبنا ماذا عساه يقول الرفيق أبو علي حسن.. عضو المكتب السياسي للجبهة تحدّث عن المشهد السياسي العام في ظل الانتفاضة، ومما قاله: تظلُّ ذكرى غياب القائد والمبدع غسان كنفاني.. ذكرى عطره، ذكرى تجدد فينا الأمل، ذكرى نستلهم منها معاني كثيرة.. كيف يكون ويجب أن يكون حال الشعب الفلسطيني في مراحل نضاله وثوراته. وكيف يكون النضال نقيضاً لليأس والاستكانة أرادنا غسان أن نخرج من صمتنا، ومن سكوننا، أرادنا أن ندق جدران الخزان بعنف حتى تكون الولادة حية. أرادنا أن نملكَ الإرادة التي تولد الانبعاث، وتقتل الخيانة، اراد للنفس الفلسطينية أن تتجرد من كل سلبياتها وامراضها التي تنوء تحت وطأتها، كي تستعيد وعيها، وتماسكها، وتخوض غمار التحدي ي إلى طريق الحرية والوطن.

وها نحن اليوم يا غسان نولد من جديد.. وينبعث الفلسطيني كطائر الفينيق ويطرق الخزان بعنف حتى لا ينام العالم على مآسانه التاريخية التي مازالت مشاهدها تتكرر وتتوالى.. مع فارق بين الأمس واليوم.. بين انتظار الأمس، وعزيمة ومبادرة اليوم.. لم يعد ممكناً أو مسموحاً أن يتوقف طرق الخزان.. فذلك يعني الهلاك. لم يعد ممكناً أو مسموحاً مغادرة المكان.. والجذور.. فذلك يعني الضياع.

وفيما ينتهي عهد الثورات كما يقولون.. أو كما يريد النظام الدولي الجديد تنبعث الثورة الفلسطينية بانتفاضتها الجديدة بعد كمون ليس طويلاً.. لتؤكد أن توقف الثورات ليس قراراً سياسياً دولياً، أو امريكياً.. أو محلياً.. إنما هو مرهونٌ بإزاحة أشكال الظلم أو العدوان أو الاحتلال.

وفيما تنزاحُ الأساطير عن عالم اليوم.. يعاود الشعب الفلسطيني صناعة الأسطورة بمضامين حقيقية وواقعية بعيدة عن التخيل، وتحريف الرواة.. لأن فصولها ومشاهدها لم تنتهِ بعد.. والصورة والصوت أصبحا أصدق الرواة.. وأبلغ الأحكام.

الانتفاضة.. مشهد عربي أصيل

وعن الانتفاضة وتداعياتها.. التي تفضي حتماً إلى فضاء غسان كنفاني، تحدثت الأديبة الدكتورة ناديا خوست قائلة:

نهرع إليهم كل مساء، نرد معهم بالحجارة عسكر الاحتلال، نرجم معهم العنصرية والاستيطان، ونشترك معهم في طقوس حرق الأعلام ورفع الرايات، ونقول لا يزالون واقفين في هذا العالم المترنح من نشوة القوة، وذل الهزائم، ووهن الحيرة، ولا يزال محور الصراع بين الصهيونية العنصرية وبين العرب.

من السخرية أن يصور الزمن الذي تحاصر فيه بلاد عربية وتدمر فيه بيوت فلسطينية وتسود فيه غطرسة إسرائيلية وانحياز لها كأنه زمن الحلول السلمية.

وأضافت د. خوست: هكذا تبدو الانتفاضة مشهداً عربياً أصيلاً متصلاً بجوهر الأحداث الراهنة ومتجاوزاً هذه البرهة التاريخية إلى مدى واسع سياسي وأخلاقي. يدفع إلى البحث عن الأجوبة عليها مع أن الوضع العالمي الراهن يمنع الأجوبة الصريحة أي عربي يستطيع أن يمنع نفسه من التساؤل وهو يتابع وحشية المستوطنين ووحشية الجيش الإسرائيلي والسياسيين الإسرائيليين: الا تفترض العدالة أن تكبح هذه البنية العنصرية الغريبة المرفوضة شعبياً وأن يرد الظلم المستمر منذ نصف قرن؟! منذ نصف قرن ترفع الصهيونية سوط الإرهاب على العالم باسم ضحايا النازية وتلغي شرف المقاومة الوطنية الأوروبية شرقية وغربية. باسم ضحايا النازية أسست إسرائيل، وباسمهم جبت الأموال كتعويضات واغتالت الصهيونية الباحثين الذين مسوا تعاونها مع النازية. الا تبين الانتفاضة بالصورة والوثيقة والرقم أن الإسرائيليين ورثة الجلادين لا ورثة الضحايا؟! لم تكن دير ياسين وكفر قاسم وقبية محظوظة بمصورين يسجلونها. لكن مذابح المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي وصبرا وشاتيلا مسجلة وقد يسرت البحث في الأوهام الإسرائيلية وذكرتنا بكلمات الدبلوماسي العراقي توفيق السويدي أمام عصبة الأمم في الثلث الأول من القرن الماضي: لو صرح بلفور أن الحلفاء يريدون تأسيس وطن قومي لليهود في أحد بلدان أوروبا حيث يقيم عدد كبير منهم أكانت تلك الدول تصفق لذلك التصريح وتعتبره وثيقة؟!

لكن القضية الفلسطينية لا تقدم الأسئلة الصعبة للسياسيين فقط بل للكتاب أيضاً، تتحدى في مستوى الكفاءة كتاب الأمس الذين مدت لهم سوقاً من القراء والمستمعين والمريدين وأكسبت بعضهم مكانة قد لا يستحقها، وتتحدى طموح بعض الكتاب إلى الشهرة والجوائز العالمية في زمن تحكمه الشروط الصهيونية.

ردت الانتفاضة على أولئك المثقفين بشهدائها الأطفال وبيوتها المنسوفة وأشجارها المقطوعة بينت أن بنية إسرائيل العنصرية تجمع العلمانيين والمتدينين في مشروع استيطاني استعماري ولعلها الوحيدة في العالم التي لا تخجل من اعتماد التصفية الجسدية كسياسة علنية ورسمية ■■

ساعتان من الفرح مع مارسيل خليفة في سنوية سعد الله ونوس الرابعة

عصام سلامة



تحل في شهر تموز الحالي الذكرى التاسعة والعشرون لاستشهاد المناضل والكاتب الكبير غسان كنفاني، وفي شهر حزيران الماضي مرّت الذكرى السنوية الرابعة على رحيل الكاتب المسرحي السوري الكبير سعد الله ونوس. فكلتا المناسبتين الهامتين توحدتا في الإبداع وكأنهما مناسبة واحدة يصعب الفصل بينهما رغم اختلاف النوع (فغسان أبدع في الرواية وسعد الله أبدع في المسرح).

تذكرت ونحن نتّجه إلى قرية «حصين البحر» في طرطوس لحضور الحفل الكبير الذي سيقام هناك تلك اللحظات الجميلة التي لا تنسى.. عندما انطلقت بنا الحافلة من أمام مقر مجلة «الهدف» في مخيم اليرموك بدمشق صباح يوم الجمعة الأول من حزيران، وكيف كان شعور الرفاق والزملاء.. حينها لمست أن الجميع كانوا سعداء في هذه الرحلة.. وكانت تبدو على ملامحهم اللهفة والترقب لهذا الحدث الكبير.. وعند وصولنا إلى مدينة طرطوس الساحلية، كان لا يزال أمامنا متسع من الوقت على موعد الحفل، فجلسنا نستريح من تعب الطريق على شاطئ طرطوس وقضينا بعض الوقت كفترة استراحة تمتعنا خلالها بمنظر البحر الجميل.. وما إن وصلنا إلى تلك القرية الوادعة التي تطل على البحر.. حتى وجدنا أمامنا بضعة آلاف من المحتشدين يترقبون بداية الحفل.. أخذ الكثير من الشباب والشابات الذين حضروا من كافة المحافظات السورية يتدافعون نحو المنصة التي يقام عليها الحفل وعدد كبير منهم افترش الأرض جلوساً، وما هي إلا لحظات قليلة حتى بدأ الحفل بقراءة رسائل أرسلت من الأراضي المحتلة (فلسطين) من الشاعرين محمود درويش وسميح القاسم، وكلمة من د. عزمي بشارة، كما تُليت أيضاً رسالة هامة ومؤثرة بعثت بها من غزة د. مريم أبو دقة عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قدمت فيها التحية من شعب الانتفاضة الفلسطيني المناضل إلى الشعب السوري ومثقفيه وحيّت ذكرى الراحل سعد الله ونوس.

وكانت انتفاضة فلسطين حاضرة بقوة في هذا الحفل الذي تحوّل من مجرد مناسبة إلى تظاهرة شبابية ثقافية إنسانية.. وقبل بدء الحفل قام العديد من الشباب والشابات برفع الأعلام الفلسطينية والسورية وهتفوا للانتفاضة وفلسطين مرددين الشعارات الوطنية بحماس ومطالبين بمقاطعة البضائع الأمريكية. لبنان كان حاضراً أيضاً بذكرى جنوبه المحرر من خلال حضور العديد من الشخصيات والمثقفين اللبنانيين بالإضافة لحضور بعض الشخصيات السورية الهامة.

وعلى هامش الحفل قام منتدى غسان كنفاني الثقافي بتوزيع أوشحة انتفاضة الحرية والتي كتب عليها عبارة سعد الله ونوس الشهيرة «إننا محكومون بالأمل»، مرسوم عليها صورتان متجاورتان لسعد الله ونوس وغسان كنفاني كانت معلقة كأوسمة على أكتاف وصدور الكثيرين من الحضور.

وشارك الفنان نضال سيجري بعرض مسرحي تحت عنوان: «صدى المقهى» هو عمل من وحي مسرحية «المقهى الزجاجي» لسعد الله ونوس، تعرّض فيه لمشكلة «الجيران» والمقصود بها اليهود، حيث جسّد فيها الوضع العربي المتردي.. وقد كان أداء الممثلين عموماً جيداً ومعبراً، رغم بساطة الأدوات المستعملة والديكور الخفيف.

والوصلة الأخيرة والهامة في هذا الحفل كانت للفنان مارسيل خليفة الذي طالما انتظره الحضور من محبيه من الشباب والشابات.. وعندما اعتلى الفنان مارسيل المنصة أُستقبل بالتصفيق الحاد سواء من الجالسين أو الواقفين على أسطح المنازل المجاورة، واستهل مارسيل خليفة أمسيته الغنائية بعبارة: «إننا محكومون بالأمل»، ثم غنى أغنية محمد «الدرة» بأداء مؤثر وعميق احتراماً لشهداء الطفولة الذين يسقطون يومياً على أرض فلسطين. ثم غنى أغنية «أجمل الأمهات» لتعظيم دور الأم في الانتفاضة، وكذلك غنى أغنية «الطيارة» للأطفال.. وتتابعت الأغاني الوطنية تنساب واحدة تلو الأخرى وعلى مدار ساعتين متواصلتين مفعمتين بالفرح العارم من قبل الجمهور الذي كان يشارك الفنان خليفة في الغناء بكل حماسة وحمية مترافقاً مع الرقص بين الفينة والأخرى من الشباب والشابات والأطفال على إيقاع الأغنيات الجميلة والمؤثرة.

انتهى الحفل والكل يحفظ في ذاكرته عن ظهر قلب عبارة ونوس الشهيرة «إننا محكومون بالأمل» كما هي محفورة في أذهان الجميع عبارة غسان كنفاني الشهيرة «لماذا لم تقرعوا جدران الخزان؟» ولسوف تبقى الأعمال العظيمة لغسان كنفاني وسعد الله ونوس خالدة في الأذهان لأجيال قادمة ■■

طريق اللاعودة: الضياع والعجز واليأس في قصة "كفر المنجم" لغسان كنفاني!

بقلم: رونالد بلير
ترجمة: رندة بعث

هذه الدراسة تعكس الى حد كبير نظرة الآخر الغربي ورؤيته لأدب كاتب كبير كغسان كنفاني، وبغض النظر عن اتفاقنا أو عدم اتفاقنا مع رؤية هذا الكاتب، آثرنا نشر ترجمة هذه الدراسة للتعرف على رأي باحث غربي رصين كالبروفيسور روجيه آلن ، ومن الجدير ذكره ان هذه الدراسة كتبت كمساهمة في الندوة الدراسية التي أقيمت في جامعة بنسلفانيا حول «القصة العربية المترجمة» بإشراف الباحث المذكور.

ولد غسان كنفاني عام 1936 في عكا في ما أصبح شمال إسرائيل. كانت عائلته من ضمن العائلات التي أجبرت على الهجرة إلى لبنان عام 1948. وقد أصبح فيما بعد كاتباً وصحافياً، كما أنه، حين قتلته سيارة مفخخة في بيروت عام 1972، كان مسؤولاً في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وقد أرست أعماله شهرته كأحد أبرز الكتاب الفلسطينيين في عصره.

يتميز كنفاني بطريقته غير المباشرة في التعامل مع المأساة الفلسطينية. ولكي يراوغ الحصار السياسي، لم يكن غسان كنفاني يذكر حتى كلمة «إسرائيل» أو «إسرائيلي». إلاّ أنّ الهزيمة القاسية العسكرية والسياسية التي عانى منها شعبه حاضرةٌ على الدوام بدرجاتٍ متفاوتة في أعماله.

في إحدى قصص كنفاني القصيرة، «الصغير يذهب إلى المخيم»، ربما يلعب الكاتب مع القارئ في ما يتعلّق بما آل إليه القتال في العام 1948. ففي هذه القصة، يبدأ الكاتب بالتأكيد على أنّ «ذلك حدث أثناء الحرب».. أيام الاشتباك المتواصل مع العدو. هذا، كما قلت، حدث أثناء القتال المستمر».

«اللعبة» هي أنّ المرء قد يتوقع من القارئ ان يقفز إلى الاستنتاج بان القتال المذكور هو حرب عام 1948. لكنها تنتهي إلى أنّ القتال المستمر إشارة إلى النزاعات بين شخصياته. الشخصية الرئيسية هنا هي صبي صغير يتوجب عليه أن يهجر افراد اسرته وعائلته، وان يتشاجر معهم من أجل حصته العادلة. حرب الـ 48 موجودة في هذه القصة، لكن في الخلفية فحسب. والقارئ الفطن يدرك بأنّ الزمن صعب بسبب الحرب.

كفر المنجم

قصة كنفاني الرمزية «كفر المنجم» مثالٌ بارز على تركيز المؤلف على النضال الوطني لشعبه. ورغم أنّ الوصف الرمزي للقدر المأساوي للفلسطينيين عارٍ مثلما هو في أعمال كنفاني الأخرى، إلاّ أنّ القارئ الفطن يمكنه ان يلتقط شعاعاً من الأمل من بين التلميحات التي يتركها. وبمقدور قراءةٍ متأنية للرمزية في «كفر المنجم» ان تفيد كثيراً كانتقالٍ في الموضوع إلى العمل الأكثر سوداوية: ما تبقى لكم.

تبدأ «كفر المنجم» حين يدخل الراوي، الذي يعاني من الملل، مرةً أخرى إلى المقهى الذي لا يحبه. وكما هي العادة، يدفع النادل بالقهوة أمامه «دون انتباه، ساكباً بذلك محتويات الفنجان في الصحن». سرعان ما يشعر الراوي بأنّ شيئاً ما سيحدث له، وللتأكيد على ذلك، يدخل ابراهيم، وهو طالبٌ لامعٌ كان قد فشل بصورةٍ غير متوقعة في الامتحانات قبل خمسة عشر عاماً، وسرعان ما اختفى بعد ذلك في البحر. ابراهيم العائد بدين، ويمتلك قدّاحةً ذهبية، وغيرها من علامات الثراء.

يحكي ابراهيم بانه، حين فشل في الامتحانات، قرر ان يستاجر قارباً كي يقوم بالانتحار بتعريض نفسه للشمس والجوع. لكن، ومن خلال حديثٍ مع صاحب القارب، يعلم ابراهيم بوجود بديل. يبدو بأنّ المالك قد ورث مع القارب والمرفأ «حلماً مضنياً» شغله «لأكثر من خمسين عاماً».

يتحدّث مالك القارب عن «وجود مدينة كبيرة قائمة كالقلعة وسط البحر. تشابه المدن التي تكتب عنها قصص خرافية». يوافق ابراهيم على ان يتولى أمر الرحلة ويتدبر الأمر بحيث يعثر على كفر المنجم، تلك

المدينة الرائعة وسط المحيط. وحين يرسو المركب، يملأ أكياساً بالذهب الذي وجده هناك «بمتناول اليد».

أخيراً، وفي القسم الأخير من القصة، ينهض الراوي المنهك واقفاً، يدفع ثمن فنجاني القهوة، ومن بينها ذاك الذي طلبه لابراهيم، ويخرج إلى الشارع حيث كان يوماً «مثل كل يوم» فالناس يتدافعون ويسمع «شتائم بائع الكعك». ويحضّر نفسه للعودة إلى غرفته حيث يتوقع أن «ينام بكامل ملابسه، مثل كل يوم». وتنتهي القصة مع وصول الراوي إلى لحظةٍ من الإدراك.

«وفجاةً حدث ذلك الشيء مرةً أخرى. شعرت بسعادةٍ مفاجئة. وضعت كفيّ في جيبي، وهززت رأسي وأنا أبتسم وأسارع خطوي. كلا، ابراهيم لم يعد من كفر المنجم بعد».

إذا افترضنا بأنّ كنفاني أراد لابراهيم أن يمثّل الشعب الفلسطيني، فإنّ العديد من التفاصيل تتوضح. وقد أعطي تاريخ القصة على أنها حدثت عام 1963، وابراهيم اختفى قبل ذلك بخمسة عشر عاماً، أي في العام 1948، عام المأساة المدمّرة بالنسبة للشعب الفلسطيني.

يمكن رؤية الامتحان الذي رسب فيه ابراهيم عام 48 على أنه الجهد الضائع الذي بذله الفلسطينيون لإنجاز الاستقلال وتقرير المصير. والمقهى الذي يمقته الراوي لتلك الدرجة يمكن أن يكون رمزاً لوجودهم البائس في المنفى وفي مخيمات اللاجئين الحقيرة. «ذلك لا يهم، ولا ضرورة لتغيير الصحن المتسخ، لأنّ حياتنا كلّها كذلك» يقول الراوي للنادل. أما «الحلم المضني لصاحب القارب» لأكثر من خمسين عاماً، فإنه يصبح حينذاك النضال من أجل استقلال الفلسطينيين، وعودة الدول العربية إلى ما كانت عليه قبل الحرب العالمية الأولى.

وفي نهاية القصة، نجد بأنّ كفر المنجم تمثّل الحلم الوهمي لاسترداد فلسطين والعودة إليها المنجزين أو القابلين للإنجاز حالاً. يبتسم الراوي الضجر في النهاية لأنه يعترف بأنّ سراب عودة ابراهيم لا يتناغم مع معرفته بالحاضر. لم يقع الراوي تحت تأثير الفانتازيا المضنية لعودةٍ لم يتم إنجازها بعد.

لكن، وعلى مستوى آخر، ربما كانت ابتسامته، والمعنى الجديد للغاية الذي نلاحظه في النهاية، قد قُصدا لكي يوحيا لنا بأنه من الممكن دائماً أن يعود ابراهيم الحقيقي يوماً ما. فقد قال صاحب القارب بانه لو كان هناك من يرغب حقاً في العودة فإنه سيعود حتماً.

ربما كانت كفر المنجم تمثّل إذن ليس فقط الفانتازيا الضعيفة لعودةٍ شخصيةٍ ووطنية عبر الهروب الذي لا أمل منه، لكن ربما كان في ذهن غسان كنفاني معنى إيجابي أيضاً. ربما كانت كفر المنجم تمثّل، في ذلك المستوى الآخر، الأمل بانه إذا بذل الشعب الفلسطيني كل جهوده لتوجيه الوقائع المقفرة لحياته ـ كما فعل كنفاني نفسه عبر أدبه ونشاطه السياسي ـ فإنه سوف يجد طريقه نحو العالم الحقيقي من أجل العودة إلى أرضه ويحقق بطريقةٍ ما حلمه في الوجود القومي.

ما تبقى لكم

في «كفر المنجم»، يمكن لكنفاني أن يسمح لشخصيته بابتسامةٍ رمزية، لكن في قصته «ما تبقى لكم» (1966)، لا يوجد الكثير من الأمل أمام العيان ـ بالنسبة للقارئ على الأقل ـ في هذا العمل التجريبي ، يفسر غسان كنفاني «بتوضيح» غير مألوف أنه بالإضافة إلى الشخصيات البشرية الرئيسية الثلاثة، حميد ومريم وزكريا، فإن الساعة والصحراء شخصيتان أيضاً في هذه القصة. بالنسبة لقارئٍ ليس من الشرق الأوسط، يمكن أن يكون غسان كنفاني قد أضاف بأنّ مدينة يافا هي أيضاً حاضرة على الدوام في الخلفية إن لم نقل بأنها شخصية أخرى في هذه القصة. محيط القصة هو أصلاً غزة، والصحراء القريبة منها، إلاّ أن الشخصيات موجودة هناك لأنها أجبرت على الفرار من يافا في قتال الـ48 وأصبحت لاجئة.

لقد كتب كنفاني لجمهوره العربي بالدرجة الأولى، واعتبر معرفة



تاريخ عام 1948 والأحداث التي أدت إلى سقوط يافا أمراً مفروغاً منه. والقارئ الغربي لأعمال كنفاني قد يفوته اليوم مغزى الإشارة إلى يافا في القصة إلاّ إذا كان مطّلعاً على تاريخها.

في كتابه: الكارثة الفلسطينية (1987)، كرّس ميكائيل بالومبو، وهو كاتبٌ مناصرٌ لموقف الفلسطينيين، فصلاً مكرّساً لـ «سقوط يافا». يذكر بالومبو ضابط مخابراتٍ اسرائيلي، شموئيل توليدانو، رأى فناجين القهوة التي تركها المدنيون المذعورون على طاولات المطبخ، عندما دخل إلى البيوت الخاوية في الشوارع المهجورة بعد سقوط المدينة. وتذكر فيما بعد: «لم أتحمل رؤية المأساة. أحسستُ بها في كلٍ من المباني التي دخلناها تباعاً. رأيت كيف رحلت العائلات دون أن تعلم إلى أين» (ص 82).

شرح بالومبو أنه «لم يكن بالإمكان تجنب النزاع بين سكان يافا وسكان تل أبيب [المدينة المجاورة]. ووفقاً لمخطط التقسيم الذي أقرته الأمم المتحدة، كان ينبغي أن تبقى يافا محميةً عربية تحيط بها أراضي الدولة اليهودية. وكان واضحاً بانه إما أن تدفع قوات من يافا خارجاً وتستولي على ممرٍ يصل المدينة بالأراضي العربية، أو أن يافا سوف تبتلعها الدولة العبرية» (ص 83).

كما يقدّم بالومبو خلفية سقوط يافا ويشير إلى حيّ المنشية الذي يُذكر احتراقه في رواية كنفاني.

«بعد سقوط حيفا في الثاني والعشرين من نيسان [1948]، كان واضحاً بأنّ حيفا سوف تكون الهدف الأهم للقوات اليهودية. كان قادة الهاغانا [وهي وحداتٌ يهوديةٌ نظامية كان على رأسها بن غوريون] يخططون لتنفيذ عملية شاميتز، التي كانت تسعى إلى محاصرة وعزل يافا، وبالتالي إلى تجنب هجوم مباشر مكلف على المواقع العربية. إلاّ أنّ الإرغون، وهي جماعة منشقة؛ مجموعة يمينية شبه عسكرية يرأسها مناحيم بيغن، كانت تتوق إلى إحراز نصرٍ مدوٍّ تحت أنظار سكان تل أبيب. وقرّر زعماء الإرغون أن يشنّوا هجوماً قبل الهاغانا. كانت خطتنا تتضمّن الهجوم على يافا في عنق الزجاجة الضيق الذي يصل المدينة الرئيسية بحيّ المنشية البارز في الشمال مثل شبه جزيرة في تل أبيب اليهودية»لاحظ مناحيم بيغن. كانت الإرغون تهدف إلى كسر عنق الزجاجة والوصول إلى البحر، وبالتالي إلى فصل قطاع المنشية عن بقية يافا. وفي الثامنة صباحاً، بدأت مدافع الإرغون تقصف يافا، مشيرةً بذلك إلى بداية الهجوم» ـ (ص. 85ـ86)

يوصل بالومبو أيضاً معنى لما كان عليه الآلاف من الأشخاص المليئين بالرعب الذين حاولوا الهرب بحياتهم من يافا. وهو يحكي بأنّ العديد من اللاجئين حاولوا الهرب عن طريق البحر، بسبب كون يافا مدينةً ساحلية.

«استخدمت جميع أنواع المراكب، بما فيها مراكب التجديف، ومراكب الإبحار، والمراكب ذات المحركات، وكذلك مراكب أكبر حجماً. كانت عائلة شموط من بين الآلاف الذين ملأوا رصيف مرفأ يافا. وتتذكر إيريس شموط، التي كانت حينذاك في الثانية عشرة من عمرها فقط، كيف قام اليهود بإطلاق النار على المدنيين العزّل. «هذه الرصاصات عبرت أجساد الأشخاص الواقفين على شاطئ البحر».

وفقاً لإيريس شموط، «كان النساء والأطفال يبكون ويصرخون، وهم يهرعون إلى القوارب في محاولةٍ للوصول إلى الباخرة اليونانية التي كانوا يريدون منها أن توصلهم إلى برّ الأمان. إلاّ أنّ العديد من الناس غرقوا لأنّ قوارب الصيد الضعيفة لم تستطع أن تتحمل كثرة عددهم. وقع الرضّع من سطح القوارب في حين كان على الأمهات اختيار مَن مِن ذريّتهنّ سوف ينقذن. والعديد من أولئك الذين حاولوا الإبحار إلى غزة أو بيروت في قوارب صغيرة ضاعوا في البحر، وأعادت الأمواج جثثهم إلى الساحل الفلسطيني» - (الصفحات 89ـ90)



«ما تبقّى لكم» استثنائية، ليس فقط لوجود إشاراتٍ لهجمات الإسرائيليين على الفلسطينيين - في هذه الحالة سقوط يافا والصراع الذي نشأ حين قُتل والد حميد ومريم - بل أيضاً في أنّ كنفاني يوضح موضوعه. إنه عادةً أقل مباشرة في كتاباته، إلاّ أنّ هدفه في هذا العمل التجريبي هو على ما يبدو أن يجعل وجهة نظره أقل حدّة.

تكرر جملة «ما تبقّى لكم» ثلاث مرات في الرواية وتتم الإشارة إليها بصورةٍ غير مباشرة في كل الرواية. وتظهر لأول مرة بشكلٍ واضح أثناء مونولوجات حميد حين يكون في الصحراء. لقد فرّ حميد من مخيم اللاجئين في غزة لأنه لم يعد يستطيع التعامل مع أزمة العائلة المتمثلة في أخته البالغة الخامسة والثلاثين من عمرها، والحامل في شهرها الرابع، والتي تزوجت مؤخراً من عشيقها زكريا. زوجها الجديد متزوج بدوره من امرأةٍ أخرى، وله منها خمسة أبناء. يقرر حميد، من جهةٍ خزياً بسبب أخته ومن جهةٍ أخرى بغضاً لزوجها الجديد، أن يجازف برحلةٍ غير شرعية وشديدة الخطورة عبر الصحراء في محاولةٍ للالتقاء بأمه التي يظنّ بأنها في الأردن.

في هذا المونولوج بالذات، يجابه حميد الأفكار المتصارعة لموت أبيه وجهله لمكان قبره - ربما كانت أمه في الأردن تعلم مكانه؛ موت سالم - وهو ناشط فلسطيني قتله الإسرائيليون بعد أن وشى به زكريا؛ بلبلة والدة سالم وجهلها لمكان جثته؛ وتفاصيل هروبه من مدينته الأصلية، يافا، حين كانت تشتعل. في هذا المونولوج، يستذكر حميد كيف أتت أم سالم صوبه وشرحت له بأنها، ليلة موت ابنها، ذهبت إلى المكان الذي قُتل فيه، لكنها لم تجد جثمانه لأنّ الإسرائيليين كانوا قد دفنوه سراً.

«ألا تعرف أين دفنوه؟ ولدي، كبدي، كل ما تبقّى لي». «بدأ قاربٌ نصف منقلب يكافح على سطح عالم أسود، مضطرم. أين دفنوه؟ لقد أخذت أمي ذلك السر معها وتركتنا. كأنّ ذلك كل ما تبقى لها. كل ما تبقى لكم جميعاً. كل ما تبقى لي. إنه كل ما تبقى لي في العالم - ممرٌ من رملٍ أسود، معبرٌ بين عالمين ضائعين؛ نفقٌ مسدودٌ من كلتي جهتيه». - ص 39

تعليق حميد الأخير هو اعتراف وإنذارٌ بموته الوشيك في الصحراء واستحالة وصوله إلى هدفه، سواء إلى الأردن أم عودة إلى غزة. لا طريق ليتقدم ولا ليتراجع.

تعود الجملة للظهور في نهاية مونولوج مريم الذي يلي ذلك مباشرة، والذي يأتي أثناء انتظارها طوال الليل بينما أخوها حميد يقوم بالرحلة الخطيرة في الصحراء، وتتذكر بأنّ زوجها زكريا لا يريد الطفل «وأنه لا يزال يأمل بأن أتخلص منه بطريقةٍ ما».

وفي نهاية المونولوج، تتذكر شجاراً مرّاً مع شقيقها حميد الذي قال لها:

«ما أقوله لا يهم، سوف تتزوجينه [زكريا] بعد بضع ساعات. لكن حتى لو كنت مستعدةً لتدمير نفسك وخسران زوجك، فعلى الأقل حاولي ألا تخسري الطفل. الطريقة الوحيدة كي لا تخسريه هي أن تتخلصي منه الآن. تركني، وانزلق نازلاً الدرج ثم صفق الباب بغضب. كل ما تبقى، كل ما تبقى في النهاية لكم جميعاً». (ص 41 - الحذف في الأصل)

الفكرة التي يذكرها كلّ من الزوج والأخ هي أنّ كلّ ما تبقى لمريم هو إجهاض حملها، ويمكن أن نُرى في تعليق كنفاني على المستقبل السياسي للشعب الفلسطيني. إن لم يعد هناك أطفال، لا يعود هناك مستقبل.

الذِكر الثالث والأخير للعنوان يأتي بعد صفحتين، غير بعيدٍ عن نهاية الرواية. مرةً أخرى، تكون مريم هي المتكلم وقد حاولت أن تسدّ أذنيها أمام زوجها المحبط والغاضب الذي يطلب منها ثانيةً، في ثورة غضبٍ شديدة عند المغيب أن تنهي حملها.

«كل ما تبقى لي كان أن أمضي بقية أيامي ويداي تسدان أذنيّ وأسناني تعضّ على شفتيّ». (ص 44)

الجملة هنا مشؤومة تماماً مثلما كانت من قبل، وهي في الواقع تعود إلى النهاية القادمة التي تتعلق بالموت العنيف لزوجها وربما موتها الذي يبدو مضمراً في الرواية.

في نهاية الرواية، نحصي الجثث ونجد بأنّ كافة الشخصيات البشرية، حيمد وزكريا، إما ماتت أو رحلت، مثل مريم، إلى مصير مجهول. في لوحة كنفاني، الساعة والصحراء فقط يبقيان. هل يمكن لكنفاني - أو أيّ كاتبٍ في هذا الموضوع - أن يجري عرضاً أكثر تجهماً؟

النهاية ■■

قراءة في يوميات: غسان كنفاني

الذات المتألمة... هدنة مع الموت

ماهر اليوسفي

مهما كانت هذه اليوميات التي تركها صاحب الوجدان التراجيدي، غسان كنفاني، شاحبة حزينة، فإنها في الوقت نفسه تنزع بجوهرها نحو الحوار الذاتي الخالص، فهو كتبها بين عامي ١٩٥٩-١٩٦٣، اي قبل عشر سنوات من استشهاده في الثامن من تموز ١٩٧٢.

تشكل «اليوميات» صورة ونموذجاً عن دراما شخصية، عاشها الأديب الراحل، خصوصاً مع مرضه آنذاك. حيث كان يحقن نفسه بنفسه ضد «السكري». إننا امام افكار ممتلئة بجوانب التعزية لذاته ولتجربته مع الألم، حين يكشف عن حالة مكللة بالأسى حيناً، وسوداوية تصل إلى اللاجدوى مع الحياة حيناً آخر. كان غسان يقيم حواراً مع الموت كان يصرخ، ربما لأنه مأخوذاً بكينونته، يعمل على انضاج الحوار مع ذاته، أو كأنه يعقد هدنة مع موت يتربصه، بأسلوب محاكاة ناضجة، حتى أصبح يقيم علاقة افتتان مع هكذا حوار، علماً أنه كان قد صرّح ذات مرة، وهو يكتب انه يمقت اليوميات، ووصفها: «بالعمل الكريه ولكنه ضروري كالحياة نفسها»؟ والسؤال هنا ماذا يتكشف عن كتابة اليوميات سوى الارتقاء بالحوار وبلوغ الحكمة بين الذات وآلامها وقلقها، وبين الموت، وهل ثمة معنى لهذا كله بالنسبة لكنفاني؟! فمن المؤكد أن أديبنا ما كان سيصل إلى كنه المعنى ودلالته في حواره مع الذات المتألمة، لولا تلك اللحظات الإنسانية التي يحتاجها ويبوح بها بتلقائية عن مكنون ذاته، خصوصاً حين تكون مصحوبة ببعض السخرية من كل شيء، لعله كان مشغولاً في صناعة السؤال الوجودي، كما يراه هو، أو كما يحسه، وبعد كل هذه الآلام كان يصل إلى حالة شبيه بـ «النرفانا»، التخلي عن كل رغبة وتدميرها، الحالة التي ينتفي فيها الألم والمكابدة انتفاءً تاماً، وبعد ذلك سيجد طريقاً للسعادة مع ذاته بعد طول عناء من المكاشفة والحوار، يقول في اليوميات: ١٩٦٠/٣/٥ «انني خائف اشد الخوف، فثمة اشياء تجري في جسدي، وامسها بوضوح مرعب، ورغم ذلك فإنني لا ارغب في إن اشرحها لطبيب، او يشرحها لي طبيب.. إنني اعلم بوضوح الآن ايضاً، ان الطمانينة اهم من الموت.. أن يكذب الإنسان على نفسه ارحم الف مرة من ان يواجه بحقيقة مرة، ليلة امس لم انم إطلاقاً، كلما غفوت هنيهة صحوت برجفة غريبة، وكان شيئاً ثقيلاً يهوي على صدري.. او من صدري لست أدري.. ولكنّ الأهم من ذلك انني احس المأ من طراز غريب في اصابع قدمي.. اعرف كم هو خطراً ان يحس المصاب بالسكر هذا الإحساس، إلا أن هذا الشيء يخيفني اكثر.. أن اكون فقدت إرادتي إلى هذا الحد واصبح الوهم يبدو لي حقيقة.. كأي إنسان ساذج، كنت أسخر منه.. يا إلهي ارحمني من نفسي، اما اعدائي واصدقائي فانا كفيل بهم..».

اي شعور هذا قد سيطر على غسان تلك اللحظة؟! إننا امام خصوصية مع ذاته المتألمة كأنها في عزلة موحشة، وهو يعرف ذلك في منأى عن وجود شيء ما غريب في جسده، يهدده على شاكلة المرض، وغسان الفارس التائه يعيش حالة مركبة من ثنائية الغريب في الجسد والغريب في المنفى واللجوء بعيداً عن وطنه، وهو يمني نفسه بأن يكون اكثر استعداداً للحياة، ينحت الإرادة من اجواء القسوة التي لحاقت به آنذاك، بعيداً عن ذاته ووطنه حين لجأ بعد النكبة مع عائلته إلى دمشق ومخيمات اللجوء. كان يحلم بالعودة إلى عكا وفلسطين كما صرّح بذلك يوم ١٩٦٠/١/٦: «الغربة مازالت تعوي في رئتي، واحسها تكوي في عروقي كدوامة من العدم.. الشيء الواضح لي الآن، انه قد حُكم علينا بالغربة في اقسى مظاهرها.. إن الواحد فينا يحس بانه انخلع عن ذاته دون ان يتوصل إلى استقرار جديد، ولذلك فهو يعتقد بانه بعيد عن الأشياء، اما الحقيقة فهي انه بعيد عن ذاته».

مع هذا الوصف الحقيقي لواقع المنفى واللجوء، كان غسان يعود مع كتابة يومياته بين حين وآخر، ويتوقف امام حالة القلق، عندما يكون اكثر حزناً من ذاته، ربما وهو بطبيعته الرائعة وبشفافيته يتحسس وجوده بإفراط مع فترات الصمت والتامل في كل شيء وتلك رغبته في التعرف على أوجاعه، وبطريقته يشرحها ويتقن محاورتها، كمن يروي قصته لنفسه، خصوصاً عند حديثه عن المرض والملاحظ هنا ان معظم اليوميات تتناول حالة المرض وتعمق بها اكثر، عندما تأتيه الآلام، كان كنفاني يعمل على صياغة شروط إنسانية ترافق حياته، ومعاناته، فكان يسخر ويضحك، ويغضب بلطف ويحب ويعشق، كان نموذجاً للصفاء الروحي يخضع مزاجه لكل ما هو طبيعي وجوهري وذو قيمة.

وعن قصة اكتشافه للمرض وكيف كان يتصرف مع هذه الحالة التي كانت تسيطر عليه بين حين وآخر يقول غسان في اليوميات ١/٢٣/ ١٩٦٠ «هذا الصباح كنت غاضباً وانا اغرز الإبرة في جسدي حينما سمعت صوت المقرئ (او تحسب انا تركنا الإنسان سدى..). لقد فوجئت حين ترافقت المصيبتان في لحظة واحدة.. وقرات اليوم في الفلسفة الوجودية.. «ان الإيمان أعلى من الذكاء» على لسان كيركغارد.. انني اتصور ان الإيمان صدفة.. إن الصدفة وحدها هي التي تأخذ مكانها فوق الذكاء.. اليست الصدفة هي مجرد التقاء.. مفاجئ بين المعقول واللامعقول دون اي مبرر؟!».

ليس ثمة اختصار للزمن، كعامل الموت ووجود النقيض دوماً، فكانت افكار غسان تولد مع رفض حالة الموت وتراقب بحالته وآلامه وفق مفهوم القدرية ومعاييرها، كان امام ركام اسئلته، يأخذ بكل وسيلة تعبير بلغة التراجيديا، ومع كل تامل فلسفي يكون امام الحقيقة ذاتها التي تستدعيه إلى التفكير والمقارنة والحوار.. كان مصغياً لحالته وانفعالاته مع الزوايا الزمنية كما يقول: «كانت الساعة تمام الثانية عشرة، اي اننا كنا ننتقل من عام قديم إلى عام جديد، كانت الغرفة صامتة.. تعبق برائحة وَحدة لا حد لها عميقة حتى العظم، موحشة كأنها العدم ذاته، وبدا كل شيء تافهاً لا قيمة له فقررت ان اكتب شيئاً.. لكني فضلت البكاء، ومن الغريب انني فعلت ذلك ببساطة، ودون حرج، وحين مسحت دمعة او دمعتين كنت كمن يهيل التراب على جزء آخر من جسد ميت سلفاً ندعوه حياتنا؟! وها انا اكتب من جديد.. يوميات كريهة.. مستشعراً كم انا مجبر على الكتابة.. انا مجبر ان اعيش.. كما انا مجبر ان اموت»!

إنها العلاقة الجبرية الخاضعة، كما حددها غسان لأدوات الكتابة والتعبير، حين تأتي كقيمة وجدانية مع حالة محملة بثنائية الحياة

الموت، وشعور كهذا يقود إلى الرعب السري أمام الموت ولكن غسان بكيانه الفطري يحاوره، ويزيحه نحو اللانهاية.. وهكذا لا نهاية مع الموت، وتنشأ علاقة حميمية بينهما، والسؤال هنا: هل كان غسان بحاجة إلى هذه الكتابة؟! ربما كان بحاجة ذلك لأنه يريد أن يصل إلى حالة التوازن التي يقيمها بداخله مع هذه الثنائيات فهو يضع كتابة اليوميات مع الشعور على نحو استعدادي من الألم.. إنه خليط من البراءة والطيبة مع بلوغ الحالة القصوى لتحسس وجوده وكيانه، مثل علاقة الموت بالنفي يقول يوم ١٩٦٠/١/٤: «أكتب هذا الكلام نتيجة جرح سببته الحلقة اليومية هذا الصباح. وأعتقد انه مازال ينزف إلى الآن، لو قلت لإنسان ما، إنني الألم منه لاعتبره شيئاً يشبه النكتة الطريفة.. ويردها على هذا الأساس متسائلاً: كيف يستطيع إنسان أن يجرح نفسه؟ لاشك أنها تجربة طريفة؟ وانه على أحسن الاحتمالات سيقول: انه يتألم!! ويغير الموضوع.. أما بالنسبة لي فهي تعني وسوف تبقى تعني كل يوم انني أريق جزءاً من احتمالي وإنسانيتي أو سعادتي من أجل أن أعيش.. وانه لثمن باهظ بلاشك أن يشتري حياته اليومية بموت يومي!!».

يقيناً إنها ميزة التماثل التي توصل إليها كنفاني مع الموت وتجليات مفهوم القدر، كمن يبدأ من جديد، بطريقة «داوني بالتي هي الداء» أي معالجة شعور العدم، بأن يكون أكثر استعداداً لدورة الحياة، بعد دورة الموت، في حوار مثقل بالألم، يشعر به صاحبه كما تشعر به اللغة والكلمات، وغسان لا يقصي لغة الحوار بين الحياة والموت، بل يقارب السؤال بأيهما أكثر قدسية في هذا العصر؟! ومع هذه السجالية سيصل إلى حريته وخلاصه من الألم والمكابدة «النرفانا»، خصوصاً حين يعلن بصوت أعلى أنه لا يقوى على تحمل أكثر مما يتحمل، يعلن عن استخلاص مفهوم خاص به، يعلن بأن لحظة المواجهة تكون فقط بالعطاء، كبديل، ووحده العطاء الإنساني سيكون المخرج من الدوامة. وتلك فكرة جميلة لمواجهة الموت. فهو يقول: «إنني مريض نصف حي، يكافح من أجل أن يتمتع بهذا النصف، كما يتمتع كل إنسان بحياة كاملة، وكل المحاولات التي افتعلها لكي أنسى هذه البديهية تقودني من جديد لكي أواجهها وبصورة أمر.. في الحقيقة إن المخرج الوحيد من هذه الدوامة الموحلة.. هو أن يؤمن المرء بأن العطاء هو المقبول فقط لدى إنسان الحضارة..!!».

وتلك خلاصة يتوصل إليها.. إنه يقترب من إعلان النهاية.. نهاية كل شيء بشعور درامي حين يكون لمفرداته وقع خاص للبوح عن مكنونات ذاته كما لو انه يتماثل مع أبطاله التراجيديين ويصبح واحداً منهم، أو كأنه البطل التموزي أو أحد الرجال في الشمس يعلن «ما تبقى» للحياة في صورة أشد مأساوية، وأحياناً سوداوية. وحزن جليل ويأخذ بتعينات البحث عن المصير النهائي كمن يريد أن يعقد مصالحة بين الحياة والموت وفق مزاجه، ونقرأ إعلان في يوم ١٩٦١/٢/٥:

«يبدو لي كأننا الرحلة القصيرة على وشك أن تنتهي.. وأحس نهايتها، إحساساً مباشراً كريهاً، عشت اليوم ساعات متقطعة، وأتصور الآن أن ساعات بعض هذا النهار كنت فيها ميتاً فعلاً.. إني ارجف لسبب لست أدريه، وفي الوقت نفسه، أفكاري ترجف، كما لو أنها جسد ينتفض باحتضار غريب.. أفكاري كانت اليوم شيئاً يشبه شريط تسجيل رطب، ممسوح عفواً في بعض نواحيه.. وهكذا فإنه يمر فوق انقطاعات صامتة، قصيرة، ميتة، ورغم كل ذلك فهي موجودة بشكل ما.. أي شيء كريه أن يموت الإنسان! لقد بدت لي الأفكار هذه راعبة بصورة جارحة، وأرهقتني فكرة أن أموت.. أن انتهي ويستمر كل شيء، الرحلة لن تطول كثيراً.. وهذا هو الشيء المؤكد لدي الآن.. ما الذي يحدث في جسدي؟ أي شيطان سيذيب بنار أسطورية كل جوفي؟!».

وبعدما أسدلت كلمات غسان ستار النهاية مع هذه النبوءات اليومية قبل عشر سنوات، من الرحيل المبكر، حين فخخ «الموساد» سيارته ونسفوا جسده بالديناميت وتوزع أشلاءً في مدينة بيروت «الحازمية» مثلما صرخ في يومياته «ما الذي يحدث في جسدي» جسده الذي يحمل



الروح والفكر والتنوير والعقل والعاطفة والإبداع والحياة، الحياة كمبدأ وحقيقة، ونحن كمن يتنفس هواء كتاباته، لا يسعنا في هذه البرهة إلا أن نتساءل: أيُّ شعور كان قد احتمله هذا المخلوق الرقيق والشفاف مع مرضه وآلامه؟!

أيُّ جلمود أعصاب وإرادة مواجهة؟! ربما كان كنفاني يعقد حينها هدنة مكاشفة بين الحرية والموت والحياة حين بلغ بها بإرادته إلى مصافي التراجيديا العظمى.

كتبت آني كنفاني زوجته أثناء رحيله تقول: «بعد دقيقتين من مغادرة غسان وليس للبيت سمعنا انفجاراً رهيباً.. تحطمت كل نوافذ البيت.. نزلت السلم راكضة، لكي أجد البقايا المحترقة لسيارتنا الصغيرة.. وجدنا لميس على بعد بضعة أمتار، ولم نجد غسان، ناديت عليه.. ثم اكتشفت ساقه اليسرى ووقفت بلا حراك في حين أخذ فايز يدق رأسه بالحائط وليلى ابنتنا تصرخ بابا.. بابا..؟!».

وجاء في رثاء الشاعر محمود درويش ما يكمل كتابة يومه ذاك، واصفاً غسان بالبركان، وبكلمات تنزف جراحاً كدلالة على الوصف التراجيدي: «حملناك في كيس.. ووضعناك في جنازة.. تماماً كما حملنا الوطن في كيس ووضعناه في جنازة لم تنته حتى الآن.. كم يشبهك الوطن.. وكم تشبه الوطن! جميل أنت في الموت يا غسان.. بلغ جمالك الذروة حين يئس الموت منك وانتحر.. لقد انتحر الموت فيك لأنك تحملته منذ عشرين سنة، ولا تسمح له بالولادة.. اكتمل الآن بك واكتملت به، ونحن حملناك ـ أنت والوطن والموت ـ حملناكم في كيس، ووضعناكم في جنازة ولم نعرف من نرثي منكم: فالكل قابل للرثاء، وكنا قد أسلمنا أنفسنا للموت الطبيعي!».

مازال غسان يكتب كل يوم موته، عاد شهيداً كبطل تموزي في حروفه ونصوصه وابداعاته الأدبية القصصية والروائية والمسرحية والدراسات حين ابتنت حياة جديدة، أضاءت طريقاً جديداً في عالم الأدب والإبداع ■■

غسان داعية من طراز فريد

إيهاب يونس

كنت ولازلت أتردد في الاقتراب من الذكرى وصاحبها لما تمثله المسألة من مثالية عالية بالنسبة لي. كنت ولا زلت أقول لا يجوز الكتابة عن غسان الإنسان إلا لمن عايشه بالمعنى الحرفي للكلمة، وليس لمن عمل معه وهناك فارق كبير بين غسان في مكان عمله وبين غسان في علاقاته الإنسانية خارج العمل، وإن كان لا يجوز القطع في العديد من المسائل اليومية والسلوكية، سواء في موقع العمل أو خارجه. لقد قرأت لغسان كل ما كتب في السياسة. ومعظم ما كتب من روايات وقصص ومسرحيات، وشاهدت كل ما رسم من لوحات. وحضرت معه معظم المقابلات التلفزيونية والإذاعية التي أجراها، وخاصة في الفترة التي التحقت فيها بجهاز الإعلام.

غسان روح لا تموت، وثابة في حركة دائمة لا تتوقف. ومزاج مرح أخاذ وإرادة صلبة وانتماء أصيل وواضح. جمع ما بين تناقض الشفافية/ والقوة، وكان هذا سر قوته ومكانته. من الطبيعي لأي قارئ أو مثقف أو سياسي أن يرى غسان من خلال ما يكتب وينشر، ولكن أن تعايش غسان في يومياته، فهذا يضاعف من وضوح الرؤية ويؤكد صدق وصلابة وشفافية هذا الرجل.

غسان جُبل في الوطنية. حمل الهم الوطني لشعبه منذ نعومة أظافره، ففي مدرسته حمل هذا الهم، وفي أسفاره حمل هذا الهم، وفي وظائفه حمل هذا الهم، وفي أدبه قدم هذا الهم، وفي صحافته نشر هذا الهم، وفي علاقاته الشخصية كان الهم الوطني بالنسبة له هو الحبل السري الذي يربطه بالآخرين.

غسان كان رجل معرفة شامل، فهو السياسي اللامع، وهو الأديب المبدع. وهو الصحفي الناجح وهو الفنان القدير. ففي مدرسته الصحفية "الهدف" ودائرة الإعلام، تخرج الصحفي الكاتب والمعلق والناشر والمصور والسينمائي والمخرج والفنان الشعبي. كان غسان ينظر للعمل الإعلامي نظرة أبعد من الكلمة المكتوبة أو المرئية. فكان يحرص على التقاط كل المواهب في [illegible] العمل الإعلامي. حتى تحولت دائرة الإعلام آنذاك إلى خلية من خلايا العمل ولعبت في كل المجالات دوراً بارزاً في مجال الدعاية، تجاوزت حدود المكان الذي كانت تقيم فيه. كل ذلك كان بفضل غسان والعقل الإعلامي الذي كان يمثله في مجال الدعاية والإعلام. الذي كان يعتبره سلاحاً لا يقل خطورة وأهمية عن باقي الأسلحة التي يقاتل بها الشعب الفلسطيني.

غسان وبحكم كونه أديباً وصحفياً ومثقفاً. كان مفهوماً إن حصر علاقاته بأجواء خاصة، ولكنه كان حريصاً أكثر على إقامة أفضل العلاقات مع العاملين في مجال الإعلام. وفي الهدف، وخاصة العمال، الذين كان يحرص دائماً أن يكونوا من أبناء المخيمات سواء القريبة من بيروت أو البعيدة في الجنوب وفي الشمال.. وكان يؤمن بحقيقة أن أبناء الفقراء هم الأكثر عطاءً والأكثر التصاقاً بالثورة وبمواقع العمل. إضافة إلى أن ذلك كان بدافع العلاقات الإنسانية التي كانت تتجسد في قناعة غسان وإيمانه بالفكر الاشتراكي. فما شعرنا يوماً أن أغضب عاملاً. وإذا ما غضب فسرعان ما ينسى، وأكثر اللحظات التي كنت ترى فيها غسان وهو غضبان، عندما كانت مجلة "الهدف" تتأخر عن موعد صدورها، بغض النظر إن كان السبب مبرر أو غير مبرر.

غسان كان صاحب فكر سياسي متقدم، وما كان يكتبه في افتتاحيات الهدف الأسبوعية، كان بمثابة دليل للشارع، وتحديد لاتجاهات الحركة السياسية الفلسطينية الأسبوعية. كان دائم الحرص على الوحدة الوطنية الفلسطينية، وكان يؤمن بأن طريق التحرر والعودة هو طريق الكفاح المسلح، ويعتبر ذلك بداية الطريق الصحيح، ويعتبر أن التناقض الجوهري هو مع الصهيونية وفكرها العنصري ووجودها المجسد في إسرائيل، وكتب كثيراً عن أكذوبة الحياد الأمريكي في الصراع العربي - الصهيوني.

إن نضوج غسان الفكري والسياسي والثقافي، أهله للعب دور مهم في صياغة الوثائق النظرية التي صاغتها الجبهة في مؤتمرها الثالث الذي كان عضواً فيه، وفي تحديد ملامحها اليسارية التقدمية، إضافة إلى تحويله مجلة "الهدف" في تلك الآونة إلى منبر إعلامي وثوري للعديد من القوى والأقلام الثورية ولتجارب الشعوب التي كانت تواصل نضالها في أكثر من مكان في العالم، في تلك الفترة.

لقد غدت "الهدف" منشوراً سرياً في العديد من البلدان العربية يحاسب من يحملها على أساس خرق لقانون حالة الطوارئ التي كانت وما زالت مفروضة في بعض البلدان العربية. ورغم ذلك فقد كانت الهدف توزع أسبوعياً أكثر من خمسين ألف نسخة فتجاوزت بذلك حدود المكان الذي كانت تصدر فيه، مع ضرورة عدم إنكار الظروف الموضوعية التي كانت تحيط بالعمل الوطني الفلسطيني والتي ساهمت في الوصول إلى هذه النتائج.

إن الحديث عن غسان يمكن أن يطول، ولكن تبقى النقطة الأهم والأبرز ضمن هذا السيل العارم من العطاء والمعرفة التي تحرك في إطارها غسان، ألا وهي أن غسان كان داعية من الطراز الأول، وكانت هذه المهمة هي الأخطر بالنسبة لقيادة العدو الصهيوني، حيث كان ناطقاً رسمياً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقد مكنته قدراته الذاتية، وموقعه الذي تحمل مسؤوليته، ومكانة القوة السياسية والعسكرية التي مثلتها الجبهة في المواجهات مع العدو، من اختراق الشبكة العنكبوتية الإعلامية التي نسجتها الصهيونية والإمبريالية في العالم، حول "الثورة الفلسطينية" باعتبارها "ثورة إرهاب" وليست حركة تحرر وطني، لها حق النضال من أجل العودة والاستقلال الوطني. وبدون مبالغة لقد انتصر على وسائل الإعلام الصهيونية والأميركية معاً في أكثر من مواجهة إعلامية، وكان له دور بارز في تغيير مزاج قسم كبير من الرأي العام الأوروبي تجاه القضية الفلسطينية، ومشروعية النضال الفلسطيني، ضد الصهيونية وإسرائيل وعدوانها على الشعب الفلسطيني. وكسب للقضية الكثير من الأصدقاء والمناصرين في العديد من البلدان الأوروبية.

فما كان يمر يوم إلا ويدلي غسان بحديث تلفزيوني أو صحفي أو إذاعي حول القضية الفلسطينية. لوسائل الإعلام الأوروبية. وما كان يمر



على بيروت صحفي او كاتب أو ناشر، إلا ويطلب اللقاء مع غسان لما كان يتمتع به من مصداقية وحضور إعلامي وحجة قوية، كانت كلها قادرة على اختراق منطق الدعاية الصهيونية والإمبريالية المعادية. وتحضرني هنا الحادثة التالية:

في بداية عام 1972 حضرت امرأة أسترالية وطلبت مقابلة غسان: وبعد أن دخلت، طلب منها غسان أن تقدم نفسها، فقالت: أنا أهتم بالرياضة وخاصة رياضة ركوب الخيل. جاوبها الشهيد غسان يعني انت لست صحفية. قالت: لا. قال لها غسان وماذا تريدين مني وأنا رجل مريض بالسكري، وانت راكبة خيول... قالت له: لقد رايتك تتحدث في التلفزيون الأسترالي وبلغة إنجليزية جيدة، وانت رجل جميل، فقررت أن احضر إلى لبنان لفهم حقيقة القضية الفلسطينية. وفعلاً قدم لها غسان كل ما استطاع تقديمه.

إن ذكرى الواقعة بقدر ما فيها من ظرافة فإنها تحمل معانٍ كبيرة في دلالاتها، وحضور غسان بالنسبة للرأي العام الأجنبي. إن حقيقة الدور الذي لعبه الشهيد غسان على هذا الجانب تحديداً، هو الذي دفع العدو لارتكاب الجريمة الغادرة، بنسفه مع ابنة اخته لميس. كانت لحظات وساعات وأيام قاسية وسوداء مرت على كل من عرف غسان، تدافع الجميع نحوه، وكنت واحداً من الذين ذهبوا، وكنت وقتها مع الرفيق أبو ماهر اليماني، طبعاً لم نجد غسان. بدأنا نجمع ما تبقى من نتف لحمه المتناثرة بالقرب من المنزل. لم نميز بين لحمه ولحم ابنة أخته لميس. كان الاغتيال لدور ولصوت حاصرهم في أكثر من مكان.

غسان خسارة جسيمة، وبغيابه فقدت المسيرة الأدبية العربية والفلسطينية عماداً من أعمدتها، والصحافة علماً من اعلامها، والثورة الفلسطينية فارساً من فرسانها، وحركة التحرر العربي مفكراً لامعاً من مفكريها.

مع ذلك نقول كما كان غسان في حياته غزيراً، كذلك في غيابه. فكل عام يستحضرنا في ذكراه، نتلاقى وكل منا في موقعه، ونعده بالسير والعودة نحو حيفا ■■

«الهدف» ٣١ تموز ٢٠٠١ ـ العدد ١٣٢٠

هل قرعوا جدران الخزان؟

حسن شتيوي

في رحيلك.. حضورك الآخر.. نحبك أكثر.. كنت في عجلة من أمرك حينما رحلت، وغدوت غباراً مضيئاً، غدوت ذاكرة ضد الموت والنسيان، ومازالت أم سعد تعيد حكايتك، حكايتنا، تخاف على دم سعد، دمنا أن يضيع في لحظة خائنة مستلبة لمالك الشوك والملح.

حقاً لا يعرف الوطن من لايعرف الحب، أو الحرية، وحاملهما تلك المرأة التي احببتها وطناً من شغاف القلب ومهجة العين، وحرارة الروح، ورعشة اليدين، أليس من أجل حقيقة ترقى بصراعنا الأزلي مع أعداء الشمس والإنسان، أليس من أجل المخيم، والشاهد والشهيد، الحلم والضمير، ولأجل كل ذلك دخلنا ألفنا الثالثة، بانتفاضة.. مقاومة تطرق من جديدجدران الخزان بدماء الآلاف ممن يروون اليوم شجرة الحرية والاستقلال.

كانت إيمان حجو وفارس عودة ومحمد الدرة هم لميس التي تغفو الآن في أرض من ينابيع، وسنقول لك كيف تبحث النهايات عن بداياتها.

قولي لنا يا أم سعد كيف ينبش أبو الخيزران ضميره ثانية؟ يا أم سعد... حقاً لقد خانتنا الطرقات والآلام والوقت. هل تراهم سرقوا منا وطننا؟... إنها معادلة الحياة التي تنهض دليلاً على عودتك، حضورك الآخر بيننا، فلنشهد انك حينما أتعبتك السياسة، وهي خبزنا وحالنا اليومي، لجأت الى ظلال مضيئة لتلملم شظايا روحك، تصوغ مرآتك الأثيرة، المرأة أو الوطن، وكلاهما نبت على ضفاف القلب، وكلاهما يندلق من بين الأصابع على تضاريس النار والأرجوان، نزيف حبر، دم، وتعب لذيذ مراوغ يعقب «دفن» كل عدد من مجلتك التي احببناها معاً ((الهدف)) كما كنت تقول بعد انتهاء الطباعة وتعود مجدداً لتلك الطاولة وتحت ناظريك ـ على الدوام ـ علبة الدواء لكنها كانت بديلاً واهياً، فقد كان القلم مكمن السرّ والطلقة المختبئة، لقد أغوتك حتى الثمالة سير الأبطال التراجيديين، الذين تبدأ حياتهم بإنجاز كبير، وبعدها يتألمون طوعاً او قسراً، ثم ينكسر في ذاتهم شئ ما، وفي المشهد انفجار مدوّي، يفتت الجسد الناحل، ويكتب به سيرة كانت ناقصة وصامتة، لتستعيد الذاكرة تلك الأشلاء أو ذلك ((الغبار المضئ)) كما قالت ذات يوم الأديبة غادة السمان: ولعلها تتفتح عبئاً جديداً، ربما احترفته حياتنا القصيرة ونحن نسير في دروبها بذلك الخدر اللذيذ.

وكان كل شئ عندك مفارقاً إطاره الزمني والمكاني، إذ ذهب يقينك لتلك التفاصيل المستعادة..لتستعيد فلسطين الأخرى من بلاهة الخطاب وسكون المفردات واحتضار اللغات..كانت فلسطين مشهدنا ومثلنا وبرهة وجودنا.. وانت تكتبها طيلة سنوات حياتك القصيرة وكاننا في حضورك الآخر نبدا من الولادة من عبق مسقط الرأس في رحلة لا منتهية على مسارات وجع كوني ويقين أبيض ينتظرك...

هناك حيث تغتسل كل صباح تلك الـ فلسطين بشموسها، لتقوم من نومها الجزئي فتنهض أرواحنا المنكسرة، وتخيط اجنحتنا المنكسرة، لتحمل القاً لا يفارق جغرافيته وتا ريخه، وهناك فقط نعلم جميعاً أنك سبقتنا ومنحت لروحك يقظتها الأخيرة...

غسان كنفاني ذاكرة ما زالت تكتب بالدم والبروق ذاكرة لأيامنا القادمة برغم الإنكار الصهيوني الطليق..برغم حقل الأشواك وخطة الحلاقة.. ذاكرتنا ستحيا من جديد، وكما علمتنا ياغسان فقد تجاوزنا الموت الطبيعي الى الموت بالإرادة وقدمنا دليلاً لهذا منطلقين لتحقيق شعار الحرية والإستقلال ■■

غسان كنفاني: عودة الخزان

عزت الغزاوي

في الزمان يولد غسان كنفاني كلما جاء صيف. إنه يتناقض مع أدونيس السوري، النبي الذي لم تبعثه آلهة، لأن هذا يأتي في الربيع بعد انتهاء الشتاء، حالما تعصر الغيوم آخر مياهها.

غسان كنفاني يأتي في هجير الصيف، ينفجر في بيروت، يتشظى مثل إوزيرس ويوزع الأشلاء على كل مكان في الذاكرة والضمير. ربما يأتي في هذا الوقت بالذات ليستعيد الخزان الصغير الذي مات فيه الرفاق وهم في الطريق الصحراوي على حدود الخليج. لكن ماذا تعني الاستعادة للخزان؟.

ولماذا لم يبقِ في أذهاننا ما هو أكثر حدّة من هذا الخوف الأسطوري من الموت اختناقا؟.

يبدو ان غسان كنفاني كان يبحث في الموت والمنفى، وجعل هذا البحث شغله الشاغل. لم يستطع الفكاك عن هذا البحث في «ما تبقى لكم» أو في «أرض البرتقال الحزين» أو «أم سعد» وغيرها. لقد فتح لنا طريق البحث في الطريق الطويل ما بين ذاكرة منكوبة بطفولة الانتزاع من المكان إلى شيخوخة لم تكشف بعد الأجوبة على مرارة الخبز حين يختلط بالرمل.

والذين خرجوا إلى كتابات غسان كنفاني بقوا في منتصف الطريق. لقد خرج هو عليهم بنصف عمره وقال اسمعوا : هنا نافذة على كون عجيب تختلط فيها الألوان والحكايات والخيام وكل شيء، وصدقا لم أشاهد سوى قضية مظلومة من البدء حتى المنتهى.

في كل مكان ذهبت إليه تقريبا، طرح علينا هذا السؤال:

ألا ترون أن أدبكم الفلسطيني هو أدب سياسي؟.

في البداية يبدو السؤال تهمة. بل هو تهمة.

المقصود أن الأدب الفلسطيني خارج من قميص السياسة. إنه يتكلم في موضوعاته العامة عن الاحتلال ومقاومته، عن صمود الإنسان وأدواته في ذلك الصمود. وكنا عادة نقف موقف الدفاع إزاء هذه التهمة.

لنكشف أن القضية هي امتداد مفهوم السياسة ليعني حياة الناس وهمومهم ولا يستطيع الأدب أن يخرج عن ذلك سواء أكان المجتمع يواجه احتلالا كما هو الأمر عندنا أو يواجه مشاكل اجتماعية أو اقتصادية أو صراعات عرقية أو طائفية، أو يواجه خللا في علاقته مع السلطة الحاكمة أو اشتباكا مع تاريخه وتحولاته الاجتماعية.

المهم أننا استطعنا تحديد الأمر في العلاقة ما بين العمل الأدبي المنجز، وما بين بعده وقربه من الفن الحقيقي.

يمكن التأكيد على أن كل أدب لا يستطيع الفكاك من المضمون السياسي، وما دام الإنسان حيوانا سياسيا، على رأي أرسطو، فإنه لا بد أن يعبر عن مواقفه وأن يعمل على صياغتها بحيث يكون المغزى السياسي ضمن حدود القراءات المختلفة لنصه.

هكذا كان الحال، في كل ما وصلنا من أعمال إبداعية منذ هوميروس. هكذا كان الحال، في الشعر العربي الذي يعتبر وثيقة لا غنى عنها لدراسة مختلف فترات التاريخ العربي وفهمه.

وأدبنا الفلسطيني حلقة صغيرة في حلقات الأدب الإنساني. هناك استحالة للحديث عن تاريخ مستقل للنشاط الفكري، أو عن تطور خاص به، لأن حركة تاريخ الفن أو الفكر تتلازم مع الحركة الاجتماعية ولا يمكن تفسيرها ولا تحليلها إلا في ضوء هذه الحركة نفسها.

وتلك كانت إشكالية غسان كنفاني مع فنه ومع الحياة.

إن الكاتب لا يستطيع أن يعيش بعيدا عن فنه. لكن هذا الفن لا يمنع أن يكون فوق كل الاعتبارات.

إن الفن ليس متعة منعزلة عن غيرها. إنه طريقة لتحريك الناس.

إنه يقدم لهم في قالب فني صورة للفرح الجماعي أو للمأساة الجماعية. إنه يستمد حيويته وصدقه من خلال الانغماس بمجتمعه. الفنان في حقيقة الأمر يشعر بنفسه معلقا بين الغاية الجمالية التي لا يستطيع الانحياز بدونها وبين المجتمع الذي لا يستطيع الانفصال عنه. لذلك فإنه لا يستطيع أن يعفي نفسه من المسؤولية.

الفنان لا يستطيع أن يضع نفسه في خدمة الذين يصيغون التاريخ، بل عليه أن يضع نفسه في خدمة أولئك الذين يعانون من الظلم والقهر. بإمكان الفنان أن يعزل نفسه تماما إذا تخلى عن دوره، وأن يغرق كما يشاء في خلق دوائره الجمالية. بإمكانه أن يفعل ذلك وأن يستمر في عزلته مهما علت الأصوات خارج حجرته المغلقة. لكن ماذا يحدث حين يسكت سجين في زنزانة يعاني من الإهانة والتعذيب؟ إن ذلك قادر على إخراج الكاتب من عزلته (إذا كان يتمتع بقدر من الحرية) أو إذا كان مغامرا. إنه يشعر بحاجة لإعطاء «صوت» لذلك السجين، أعني أنه يعطيه صوتا من خلال الفن.

إن هذه المهمة لا يتعالى عليها أحد مهما بلغ شأنه الفكري والأدبي، لأن عليه أن يستجيب لنبل النداء الذي يصغي إليه في أعماقه. إن هذا النداء يطالب الفنان دائما بأن يقف إلى جانب الحقيقة وأن يقف إلى جانب الحرية. إن ذلك التزام واضح من قبل الفنان الذي يرفض الكذب في تصوير حالة الناس الذين يعيش بينهم، وهو التزام أيضا بمقاومة الظلم.

إن جيل الكتّاب الفلسطينيين الذين عاشوا تأثيرات النكبة، ومن بعد ذلك سنوات الاحتلال ما بعد 1967، يشعرون بالاعتزاز لأنهم لم يكتبوا فقط، وإنما شاركوا شعبهم سنوات الألم الطويل ولحظات الأمل. إن الإعتزاز لا علاقة له بالتفاؤل، لكن أكثر الأوقات شراسة وبأسا لم تدفع بهم إلى الإحساس بالهزيمة أو الانتحار. علّ تمجيد الحياة بقي نبرة عالية لدى الكثير من كتّابنا، ذلك التمجيد الذي يعتبر جزءا أساسيا من التزام الكاتب بالحياة على أنها تستحق العيش، وعلى أنها هبة وتجربة وتحدي ولا بد أن تكون لها معنى ونتيجة.

إننا نعي تماما أننا لا نرى أنفسنا من الاحتلال وأن نخلص الآخر من الجشع ومن الاستبداد في عصر انتهت فيه أشكال الاستعمار القديمة، إننا ندافع عن مفهوم السلام الذي لا يبنى على العبودية.

هكذا، لم يكن غسان كنفاني في نهاية المطاف صاحب أسطورة قائمة من ثنايا العتمة. يموت فيصل الحسيني في الخزان الكبير في غرفة فندق لأن أحدا لم يسمع النداء البعيد. يخذله قلبه لأن المدينة التي وقف على أبوابها محصنة بما هو أقسى من «السفنكس».

وفي هذا الزمن أيضا، يموت شجر الزيتون مختنقا بالحريق. تموت إيمان حجو بصاروخ أكبر من جسدها، وتتفجر «أكشاك» الهاتف العمومي بلعبة أتاري يحركها جندي صغير.

لقد رأى من نافذته البعيدة أكثر مما رأينا نحن من أبوابنا الموصدة ■■

صديقنا غسان كنفاني

ناجي ظاهر - الناصرة

كان غسان كنفاني دائما موجودا بيننا نحن الفلسطينيون الذين بقوا في وطنهم، بعد عام النكبة او ولدوا في الوطن، بعد هذا العام، ولا أتذكر انه منذ استشهاده في يوم 8 تموز عام 1972م غاب من بيبنا، وإذا كان يغيب، إنما ليحضر من جديد وبقوة أكبر.

كان أول عهدي به يوم تناقلت الى يدي نسخة من كتابه «أدب المقاومة» الذي لفت به النظر الى ما ينتجه كتابنا، وشعراؤنا الفلسطينيون لينشره في جميع أنحاء الوطن العربي.

ولا أتذكر أن دار نشر وطنية أقدمت على نشر المؤلفات الجيدة التي تراها مناسبة لإطلاع القراء الفلسطينيين في إسرائيل عليها، إلا تسابقت في نشر كتبه ومؤلفاته، وأتذكر أن منشورات صلاح الدين (التي أسسها في القدس عدد من المثقفين الفلسطينيين، ومعظمهم من مدينة شفا عمرو)، قد نشرت رواية «عائد الى حيفا» ثم «رجال في الشمس»، وتم توزيع هذين الكتابين بأعداد كبيرة، كما أن مؤسسة الأسوار الثقافية «العكية» استهلت منشوراتها عام 1975م، بنشر كتاب «ما تبقى لكم» ثم عادت بعد ذلك لتنشر كتب ومؤلفات متفرقة كي يسهل على القارئ اقتنائها وقراءتها.

و ما زلت أتذكر تلك الفرحة التي أطلت من عيني أصدقائي وزملائي في «حركة أبناء البلد» يوم كنا نعمل معا في تحرير صحيفة «الراية» المحتجبة قسرا، حينما علموا أن مؤلفات كنفاني التي صدرت كاملة عن «مؤسسة الأبحاث العربية في بيروت» في ثلاثة مجلدات، وكانت فرحتهم أكبر حينما أعيدت طباعة هذه المجلدات الثلاثة في إسرائيل وتلقفتها الأيدي وكأنما تلقفت رائحة فلسطين.

وكان الاهتمام بغسان ونتاجه يتزايد يوما بعد يوم. ولم نترك في «الراية» خاصة، مناسبة، إلا و احتفلنا فيها بكاتبنا العظيم، ونوهنا الى هذه المناسبة وقد خصصنا خلال سنوات صدور «الراية» و بعدها «الميدان» في الذكرى السنوية لاستشهاد «غسان» صفحات وصفحات، لغرض التعريف به وبنتاجه الذي لامس جوهر المأساة الفلسطينية، ولم يتنازل، في الوقت ذاته، عن الأمل الذي لايمكن لأي من الشعوب أن تقرر مصيرها وتقيم دولتها إلا به. وكنا نكتب عن غسان بكثرة وكثافة، الأمر الذي لفت انظار الآخرين، خاصة أننا كنا دائما نجد ما نكتبه عنه، فراح الآخرون يتوجهون إلينا، كلما ارادوا كتابة، او مشاركة في كتابة عن أديبنا المحبوب، كي نكيف او نشارك في الكتابة، بل انهم أوكلوا إلينا اكثر من مرة الإشراف على صفحات.يريدون فيها إحياء ذكراه وكان هذا التوجه بالفخر والاعتزاز، وبان هذا المناضل الشهيد الكاتب، هو واحد منا.

وازدادت العلاقة بيننا وبين النتاج الأدبي لغسان كنفاني التحاما وتوطدا، كلما مرت السنوات، وكنا نشعر حين نتعامل مع هذا الإنتاج، أننا نتعامل مع إنتاج يخصنا، حتى أنني يوم أردت ان اكتب او أنشيء زاوية أدبية في صحيفة الراية أدعو فيها الى إبداع أدبي حقيقي وواع، اخترت



لها عنوان «قرعات على جدران الخزان» وقد استمديت هذا العنوان من رواية «رجال في الشمس».

وكان لا بد من آن نحيي ذكرى شهيدنا الراحل العظيم، فقمنا بمبادرة من رجا إغبارية الأمين العام لحركة ابناء البلد، بتنظيم مهرجان كبير في الناصرة لإحياء الذكرى الثامنة عشرة لاستشهاده، وما زلت اتذكر لحظة جاء اغبارية يتساءل عما إذا يمكنه ان يقول عن غسان كنفاني؟ ولم ينتظر الإجابة، وقال في المهرجان كلاما رائعا، ما زلت اتذكر منه ما مفاده أن غسان مزج بين الفعل والكلمة، ولم يجلس في برج عاجي بل بادر عام 1969، بتاسيس مجلة «الهدف» وكتب فيها المقالات السياسية والصحافية والأدبية والثقافية. وشددت يومها على يده وأنا أقول ارأيت أن الكلام عن غسان لا ينتهي؟!.

وتلقينا المؤلفات التي وضعها أصحابها عن غسان أيضا، وأعدنا طباعتها، في إسرائيل مثل «رعشة المأساة» ليوسف سامي يوسف، و«هكذا تبدأ القصص وهكذا تنتهي» لفضل النقيب، و«الطريق الى الخيمة الأخرى» لرضوى عاشور، ورحنا نقرأها برغبة وحب، الى أن اعيد نشر كتاب تضمن رسائل غسان الى غادة السمان؟ وقد أدى هذا الكتاب بعد اطلاعنا عليه، الى مناقشات فيما بيننا، وتساءل أحد الزملاء، هل كان لدى غسان الوقت كي يحب، ويرسل رسائل الحب الى غادة السمان، فاجبته وماذا كنت تتوقع منه أن يفعل أو تظن انه لم يكن إنسانا وبدون قلب او مشاعر؟! أكدت لمن طرح السؤال والآخرين كانوا في المكان أنني فرحت جدا بهذا الكتاب وانه أكد لي أن المناضل الوطني والسياسي هو إنسان أولا وقبل كل شئ ومازلت أتذكر كيف التمعت ومضة حب في وجوه الموجودين، وكأنما هم أرادوا أن يقولوا: ان غسان كنفاني كان ومازال وسيبقى موجودا بيننا وفي كل مكان ■■

زمن الناي

حسين جميل برغوثي

لم اكن ادرك، في ستينيات القرن الماضي، وأنا محض طفل يلعب على الدرج ـ الرخام في بيروت، أن الواقف امامي، غسان كنفاني، كان أهم وجه مؤسس لفن الرواية في فلسطين، للرواية الأشد صلة بهاجس المقاومة. في الليلة السابقة، كان قد اعتقل قائد الثورة الجزائرية، احمد بن بيلا، وكان غسان واقفا في الصمت المطبق، والحزن، بوجه اقرب إلى المنحوتة منه الى الانفعال البسيط. كنت أحضر إليه، كل صباح، جريدة «المحرر»، التي كان برأس تحريرها، واسم الجريدة يدل على «هاجس المقاومة»، والتحرير عنده، هاجس يقف في محور رواياته، وقصصه القصيرة، واغتياله ايضا.

كان بيته شقة في الطابق الخامس، ربما، في «كورنيش المزرعة»، وعلى جدار صالونه فتنتني «لوحة» ما، بدت مرسومة برصاص أسود، لرجل قاعد على صخرة، ورأسه على يده، ومطرق إطراقة غريبة، وكأنه شارد في عالم آخر، ويبدو والصخرة جسدا واحدا. اعتقدت انها لوحة لغسان نفسه، واكتشفت انها للنحات الفرنسي، «رودان». ويبدو لي الآن، أن هناك وجه شبه بين شخصية غسان وبين هذه «اللوحة»، نوع من الوحدة الخفية بين جسمه وبين الصخر، أو «الأرض»، او المكان، ونوع من الإطراق، والصمت، والتأمل.

لم اقرأ له، ايامها، أي شيء، وكانت كتبه «ممنوعة» في الضفة الغربية. ومن المفارقة انني قرأت أول عمل له، فيما بعد، بالهنغارية، وكان «رجال في الشمس». تبلورت فكرة الرواية عنده من تجارب شائعة في أواخر خمسينيات القرن الماضي، في الكويت. ايامها، وبسبب من ازمة اقتصادية خانقة، بدأت موجة هجرة جديدة إلى حقول النفط، من فلسطين. وكان «تهريب» الناس عبر الحدود العراقية ـ الكويتية شائعا. احد اعمامي، وكان يعرف غسان، ايضا، قال لي بأنه هو نفسه دخل الكويت تهريبا، مع مجموعة اخرى. هناك من لم يحتمل الرحلة، ومات، ومن رجع وضاع في الصحراء، او اكلته الوحوش، ومن مات عطشا. لم يكن التهريب يجري فقط في «خزانات»، بل مشيا على الأقدام، ايضا.

على كل، كتبوا على الترجمة الهنغارية لـ «رجال في الشمس»، انها افضل رواية فلسطينية. وعلق صديق هنغاري لي، بأن كونها «افضل رواية»، يدل على مشكلة، أي على ضعف الرواية عندنا، مقارنة بالرواية الغربية. (فكرت طويلا في تعليقه، وتوصلت الى فكرة أن أدب غسان كنفاني كله يشير الى عبقرية مبكرة، فقد اغتالوه في اواسط ثلاثينياته، تقريبا، ومات شابا. لم يعش نصف قرن آخر، كنجيب محفوظ الآن، ولم يجد زمنا كافيا. قياسا بعمره، كان إنجازه فذا، بأي معيار، وناقصا، ايضا. لو كان عاش حتى الآن، لرفع الرواية الفلسطينية إلى افق لم يصله احد، بعد. فاغتياله كان اغتيالا لمصير، وأفق روح، ومشروع عبقري فذ، وبالتالي ظل المشروع غير مكتمل).

مشروعه كان ممتدا، وكان مساحة واسعة متنوعة التضاريس، فمن الرواية إلى الدراما، إلى القصة القصيرة، إلى البحث التاريخي (عن ثورة 1936، مثلا)، إلى البحث الأدبي (في الأدب الصهيوني، وأدب المقاومة الفلسطيني)، الى المقالة الصحفية. وفي كل هذه المسارب كان إنجازه عميقا. وبرغم هذا القول، لم يكتمل المشروع، بل اغتيل.

تجاربه المبكرة على «الشكل الفني» للرواية، وعلى «لغة السرد»، في محاولة منه لكتابة مضمون جديد، لم يسبقه إليها أحد،عندنا، واسعة، ومتعددة الجذور والفروع. لو قارناها بتجارب إميل حبيبي، مثلا، لفهمنا شيئا عنها، وعنه. إميل حبيبي كتب رائعته، «المتشائل»، في سبعينيات القرن الماضي، ولكنها ترتكز على أصل أسبق، وتحديدا على لغة واسلوب ترجمة عادل زعيتر لرواية «كنديد» لفولتير. لغة إميل حبيبي كلها «تحوير» و «تطوير» للغة عادل زعيتر واسلوبه، ولم ينكر إميل حبيبي ذلك ابدا، وليس هذا تقليلا من شان إنجازه. قال،في جلسة في وزارة الثقافة، كان فيها غسان زقطان، وآخرون، عندما اشرت الى تاثره العميق بعادل زعيتر: «هذا كلام دقيق جدا»،عثر على «كنديد»، في شارع صلاح الدين في القدس، في حوالي سنة 1947، وظل يقراها حتى كتب المتشائل. الشكل الفني للمتشائل، مستمد من كنديد، والاسم نفسه «كنديد» يعني المتفائل، وهناك شخصية «المتشائم» في الرواية الأصلية، ومن هنا نحت شخصية «المتشائل» نفسها. نحت اميل حبيبي لغة خاصة به، وجميلة، ولها نكهة شديدة الخصوصية، يفوح منها عطر عادل زعيتر الشديد الخصوصية، ايضا، لغة غير مسبوقة. إميل نفسه قال مرة بانه اسند البطولة في ادبه إلى «اللغة العربية» نفسها. ولغته تفيض بشعرية خاصة، ومفردات منتقاة، ذات طعم قديم ـ جديد، عامي ـ فصيح، وبسبب من هذا النمط، رغم جماليته، ظلت تجربته في «السرد» محدودة. غسان كنفاني جرب في السرد مساحات اوسع، اكثر تلونا، وإن كانت اقل «شعرية»، ومن الصعب ردها، كالمتشائل، إلى «منشا» اصلي، فقد خلق لغة سردية متشابكة واكثر تعقيدا. كلاهما، غسان كنفاني وإميل حبيبي، كان يعي اهمية «الشرط الفني»، والشكل الأدبي، أي ليس فقط ماذا يريد أن يقول، ولكن كيف يقول ما يريده، أيضا.

ولعل التركيز على غسان كنفاني كـ«داعية سياسي»، أو على مضمون ادبه فقط، يقوم باغتيال جزء آخر من مشروعه، أي «فنيته»، وكذلك «تنزيهه» عن إنسانيته ـ كان يعتقد البعض أن رسائله لغادة السمان تنتقص منه.

أعتقد ان غسان كنفاني وإميل حبيبي وجبرا ابراهيم جبرا، هم الآباء المؤسسون للرواية الفلسطينية، ليس بمعنى الأسبقية الزمنية، فهناك من سبقهم، بل بالمعنى الأعمق للتاسيس، فهم مؤسسو «فنية الرواية»، ذاتها، روحيا، عندنا. ولكن غسان كنفاني هو الوحيد الذي لم يكمل مشروعه، وكان إنجازه مبكرا جدا، اي شابا، وربما ان هذا الثقل على كاهل من اتوا بعده: عليهم الوصول، برغم غيابه، إلى افق صعب. ولكل ناي زمنه ■■

لن تبصر الأرض إلاّ خلال شرايينك!

"عن الفلسطيني التائه الذي ما زال اسمه غسان كنفاني"

سميح القاسم

وصلت هذه القصيدة بالفاكس من الشاعر سميح القاسم أرادها وهي من قديمه الجديد أن تكون شهادته في ذكرى استشهاد غسان كنفاني.

«المحرر»

يطاردني في الليل أوجه اخوتي
وتسقط في وجهي، من الريح، جثتي
فأصرخ مرعوباً ويصلح قاتلي
وتحرق أشجار المقابر صرختي
هنا الموت، يا تفاحة الموت أمطري
ثمارك في ارض جحيم وجنة
يطاردني القتلى. فأية عيشة
أعيد إلى القتلى. بأية ميتة

وبين نساء اللوالي وبين كنوز الرمال وبين الهجير وريح الشمال
تعاطيت حبك وحدك أنت
وأذكر حتى أدق التفاصيل، رائحة المطبخ،
الساحة، النبعة، الكتب المدرسية
وأذكر (لا اتصور) صرخة رعبك والطعنة البربرية
ويا مشجباً لجلود القرابين والخوذ الأجنبية
سلاماً على وجهك الطيب الحلو،
لا تحرميني يديك وترياق ثدييك، لا تحرميني لأني اذكر
أذكر يوم صحوت على الانهيار
يندبني الموت، يندبني في جميع الأمم
جريحاً، يشردني في زوايا المحطات ثوبي المميز، ثوبي الكفن
وأبكي واقرع باب الشعوب وباب الزمن .
لأنك أمي حملت العذاب قرنفلة،
صادروا معطفي فغرزت قرنفلتي في مسامي،
بعد فصول بلا مطر، أبرقت، أرعدت أمطرت
(لم يكن فجأة)

وتنشق جسدي بأريج التراب المبلل، والدم،
صرت قرنفلة للعذاب!
لأم قتلت اكتشفت حدودي ومستقبلي وصراطي
لأم قتلت عرفت إلى اي حد احبك

لا بأس يا امرأة الدم والياسمين
سينبجس النبع رغم ركام الأكاذيب،
رغم هواة التواقيع،
رغم ازدحام الحكومات حول ضريحي لتوقيع أسمائها في وداعة،
(كما يقتضي الاتيكيت)
إذن، جثتي دفتر لهواة التواقيع؟!
هذا ضميرك يا عالم الموت، تعترف الآن أو تنكر الآن،
موتي سحابة صيف تقشع عما قريب
وتغشي الطحالب أسرار نبعي الذي ردمته
الأساطير والتكنولوجيا ...
ولا بأس يا امرأة الدم والياسمين
يميناً (وأنت اليمين)،

لأنك أمي التي هي من نسل صلبي
ساكرز باسمك، في كل بيت وفي كل مقهى، وفي كل ساحة
لأنك وجهي وتفاحتي وكتابي وشعبي
ساحفر جسمك في الشمس،
لن تبصر الأرض إلاّ خلال شرايينك النازفة
ووجهي عبادة الشمس. يا شمس عيني
ويا شمس روحي وعقلي وقلبي
وأمي التي هي من نسل صلبي
ووجهي. وتفاحتي. وكتابي. وشعبي!
ابشر قاتلي بالموت قتلاً
وأنقض جسمه ليلاً فليلاً
أنا الحكم الذي لا بد منه
أجوب رحاب وادي الموت عدلاً
اذا نهب اللصوص حليّ أمي
فقد نهبوا البريق المضمحلا
ساجدل جثتي حبل المنايا
لأملأ سلتي عنباً ودفلى ■■

بعد ٢٩ عاماً على الرحيل.. الأجيال الجديدة تكتشف كنفاني تنبأ بالانتفاضة وأجاب عن تساؤلاتهم

شهادات جمعها من القاهرة: هاني عياد

- **إبراهيم عبد المجيد: غسان كنفاني مجدد كبير في الرواية العربية على إطلاقها.**
- **سمية رمضان: غسان فضح استخدام الأدب للترويج للفكرة الصهيونية.**
- **هالة البدري: «رجال تحت الشمس» نقلت الصوت الضعيف والمقاومة الحافزة.**
- **منار فتح الباب: غسان كنفاني من أوائل الأدباء الذين تنبأوا بالانتفاضة.**
- **شعبان يوسف: اصطادته ذبابات التاريخ لكننا عثرنا على الكلمات والحكايات والقصص**

عندما جاءني ـ عبر الهاتف ـ صوت الزميل جواد عقل رئيس التحرير، يطلب مقالات عن غسان لهذا العدد الخاص من «الهدف» انتابني شعور من الشفقة على المناسبة وعلى الكُتاب في آن واحد فكتابة المناسبات تبدو غالباً رتيبة مملة ثقيلة على القلب، وغسان الغائب منذ تسع وعشرين عاماً لم يزل حضوره بيننا اكبر كثيراً من كل كتابة، لا يزال هو... هو ذلك «الصوت الصارخ في البرية» يحاول إيقاظنا من غفوة طالت اكثر مما يجب، تسع وعشرون عاماً نلوك ذات الكلمات ونعيد إنتاج نفس الصياغات في حالة نادرة من الكسل الفكري، تعكس بصدق الترهل النضالي الذي أصابنا جميعاً. تسع وعشرون عاماً وقامة غسان «الذي لم يمهله القدر طويلاً» تبدو أطول من قاماتنا جميعاً، ونحن لم نزل نحاول مجرد الكتابة.

وعندما تعذرت الكتابة لأسباب متباينة، كانت فكرة «الشهادات» هي البديل، الذي قبل الزميل رئيس التحرير على مضض وتحمل على عاتقه مسؤولية تأجيل موعد الطباعة.

وجاءت الشهادات تحمل لنا جديداً يتضمن بين ثناياه قدراً كبيراً من الأمل، كيف اكتشف إبراهيم عبد المجيد غسان كنفاني «اكبر مجدد في الرواية العربية على إطلاقها» وكيف أجاب كنفاني، بعد استشهاده باكثر من عشر سنوات، على تساؤل طالما الح على سمية رمضان، تماماً مثلما قدمت لنا (الشهادات) منار فتح الباب التي اختارت ادب غسان موضوعاً لرسالتها التي نالت عنها درجة الماجستير في الأدب العربي، بعدما اكتشفت أن أديبنا الراحل منذ تسع وعشرين عاماً كان أول من تنبأ بالانتفاضة الفلسطينية. وهالة البدري التي ربطت بين الأدب وبين القضية التي تحملة لنا لتقدمها إلينا. ولولا الخوف من نفاذ صبر الزميل جواد، لكانت دائرة الشهود اتسعت لتكشف لنا المزيد من فعل وتأثير الأديب الفنان الشاعر المناضل الغائب الحاضر غسان كنفاني في الأجيال الجديدة، جيل الشهود هذا تفتحت عيناه على الدنيا (ميلاداً او وعياً) في زمن ما بعد غسان، زمن الصلح والاعتراف والتفاوض، لكنه فهم واستوعب «الصوت الصارخ في البرية» باكثر مما فعلنا نحن، فكشف عوراتنا وفضح ترهلنا النضالي وكسلنا الفكري.

لكن اكثر ما استوقفني كان ذلك الصوت القوي في ضعفه والصلب رغم رقته صوت المبدع توفيق صالح صاحب فيلم «المخدوعون» عن رواية «رجال تحت الشمس» عندما صفعني ـ صفعنا (دون أن يقصد) عبر الهاتف متسائلاً: «ياه.. الهدف بتاعة غسان كنفاني؟.. هي لسه بتطلع؟». ثم عندما تعذرت مشاركته في هذا العدد، وعد بأن يكتب للهدف «بتاعة غسان» في عدد قادم عن صاحب الهدف وصاحب رجال تحت الشمس..

هـ . ع



إبراهيم عبد المجيد - روائي

كنت أول مرة أسمع فيها عن غسان كنفاني، يوم استشهاده عام ١٩٧٢، لم أكن أعرفه أو قرأت له شيئاً من قبل. في ذلك اليوم لم يستطع أحد أن يعبر عن استنكاره لحادث اغتيال غسان وزملائه، مما دفع الكاتب المرحوم يوسف إدريس لأن يأخذ عدداً لا يصل إلى عشرة من الكتاب الشباب ويمشون في القاهرة رافعين لافتة استنكار للحادث. كان ما فعله يوسف إدريس هو الذي لفت انتباهي إلى غسان الذي لم أكن قد قرأت له شيئاً بعد.. وحيث أنني كنت أعيش في الاسكندرية في ذلك الوقت وأدرس في كلية الآداب، فقد دعونا نحن أدباء الاسكندرية الشبان الكاتب المرحوم يوسف إدريس إلى ندوة في قصر ثقافة الحرية، وقد حضر معه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، وجلس مع الجمهور لكنه رأى وهاجم الرئيس السادات وسياسة تأجيل الحرب، في ذلك الوقت، راح يوسف إدريس ينطلق كعادته مثل قذيفة من نار ويهاجم السادات محمياً الفرس من هجوم حجازي، ويهاجم إسرائيل ويتحدث عن غسان كنفاني وزملائه الذين اغتالتهم إسرائيل، وتحولت الندوة إلى مظاهرة حب لغسان وزملائه واستنكار لإسرائيل وأفعالها الإجرامية، ولمهاجمة نظام الحكم في مصر لتباطؤه في الحرب، وانتهت الندوة بالقبض على يوسف إدريس.

منذ تلك اللحظة بدأت أبحث عن كتب غسان. لكن الاسكندرية الآن ميتة فقيرة في الثقافة رغم أنها كانت يوماً مركزاً للثقافة.

بعد عامين كنت قد انتهيت من دراستي وشددت الرحال إلى القاهرة أبحث عن حظي بين الأدباء كما يفعل عادة الذين لم يولدوا في القاهرة.

وهناك في العاصمة عثرت على الأعمال الكاملة لغسان كنفاني، وأتذكر الآن أنني خطفتها بروح ملهوفة، وانقطعت عن العالم لمدة أسبوع لأقرأ لهذا الكاتب الذي يقف على حافة الجحيم، صاحب الأسلوب السريع المتواتر الملتهب، الفنان الحقيقي الذي يكتب من قلب الإحساس بالثورة الدائمة، كانت قراءتي لغسان بداية تعرفي الحقيقي على الأدب الفلسطيني المعاصر، لكن ما تركه غسان في قلبي كان أعمق مما تركه أي كاتب آخر، ومن رواياته التي قلبت حالي إذا جاز التعبير وحملتني إلى قلب بركان، رواية «ما تبقى لكم» هذه الرواية القصيرة المتماسكة ذات الأسلوب القوي النفاذ، والتي استحدثت تيار الشعور كبنية فنية بشكل شديد السرعة كانت أشبه بحلزون يدور في القلب شديد الألم والتأثير. بالتأكيد أحببت كل روايات غسان سواء رجال تحت الشمس أو درته الفريدة عائد إلى حيفا، لكن ما تبقى لكم كان لها الأثر الأكبر في روحي، وهي في رأيي أول رواية حقيقية تجعل طريقة القص بتيار الشعور طريقة عربية تحمل الروح العربية ولا تشعر أنها بنية مستقدمة من الغرب.. وهكذا أصبح غسان كنفاني بالنسبة لي أحد كبار الذين أثروا فيّ سواء بأعماله أو بلغته وطريقته الثورية في التعامل مع شكل الرواية العربية.

غسان كنفاني مجدد كبير في الرواية العربية على إطلاقها

إنني الآن أتذكر ذلك الأسبوع من عام ١٩٧٤ (أو١٩٧٥ لا أذكر على وجه الدقة) الذي انقطعت خلاله عن الدنيا من أجل قراءة غسان، كنت أشبه بمجنون يجري في سرداب حار تلتهب فيه النار، ليس من السهل على فنان، أو حتى إنسان عادي أن يقرأ غسان وينسى حاله التي كان عليها ساعة القراءة، لقد غيرني غسان كثيراً.



سمية رمضان - كاتبة

لغسان كنفاني كتاباً قلما نذكره اليوم اسمه «في الأدب الصهيوني» يتتبع فيه كنفاني كيف استخدم التعصب اليهودي السياسي الأداة الأدبية لخدمة اهدافه العنصرية والمواقف التي اضطرت إلى اتخاذها ممثلو هذا التعصب، والكلام لكنفاني «بتنسيق يلفت النظر». يتتبع غسان في هذه الدراسة كيف نجحت جهود هذا «التنسيق» في استخدام الشخصية اليهودية في الأدب الذي كتبه اليهود وغير اليهود لإبراز امتياز الشخصية اليهودية من ناحية، ومن ناحية اخرى للتاكيد على مدى المعاناة التي عاناها اليهود من قبل العنصرية الغربية إلى الكيفية التي استُخدم بها الأدب للترويج للفكرة الصهيونية إعلامياً. وإن كان في الكتاب اكثر من ذلك بكثير إلا انني اردت التوقف مع هذه النقطة بالذات لأنها كانت بمثابة اللحظة التي ادركت فيها هول الجهود المفروضة على كُتاب العربية إزاء دعاوى الصهيونية، وكانت لحظة متزامنة تقريباً مع قراءتي «رجال تحت الشمس»، وقد رد لي كنفاني، وعلى نحو غير مباشر، على تساؤل طالما ارقني، وكان ذلك بعد استشهاده باكثر من عشر سنوات: في ظل كل تلك الظروف المجحفة محلياً ودولياً وفي غياب فرص «التنسيق» المضاد اللازم على ارض الواقع، ماذا يتسنى عمله؟ اظننا لسنا بحاجة إلى إجابة مستفيضة، الجهد وحده يقابل الجهد، الفكرة الصهيونية لم يبدأ تداولها عام ١٨٩٧، إنما بدا قبل ذلك بكثير، الجهد وحده يتراكم فيترك تراصاً لا يمكن سحقه، الرواية اداة مقاومة رهيبة لو اخلصنا سردها، وكل كتابة رواية تحرس الذاكرة وتتاكد من اننا نبدأ من حيث يجب، من اولاً في كلمات مريد البرغوتي عندما رأى رام الله. سوف تتقادم نماذج البحث والمعلومات وتتوارى الدراسات في دهاليز الجامعات يتداولها المتخصصون، ولكن ستظل القصص تستفز الخيال تحرس ذاكرة الوجدان وتقيم «شعائر جمهورية الضمير» كلما قرات، هذا ما يبقى لنا.. وهو كثير.

هالة البدري - روائية
نائب رئيس تحرير مجلة «الإذاعة والتلفزيون»

على الرغم من الانتاج القليل لغسان كنفاني، إلا ان اعماله قد اثرت تاثيراً مباشراً في الأدب العربي وهذه الصفة التي يتميز بهابعض الأدب الفلسطيني تعود إلى تاثيرها المباشر على الوجدان العربي واستعداد الوجدان العربي للتاثر بها بسبب القضية الفلسطينية وموقعها في حياة كل منا. ومن يستطلع «رجال تحت الشمس» الرواية التي صاغها الكاتب الكبير يتوضح له منذ وقت مبكر الصوت الضعيف والمقاومة الحائرة التي لم يسمعها احد خارج الخزان الذي اختنق فيه هؤلاء الرجال. ربما لو كان غسان قد عاش ليشاهد هذه المقاومة الفلسطينية بعنادها وصلابتها وصوتها الذي جاب آفاق الدنيا لكان انتج لنا عملاً آخر يفوق عمله الأول، لأن الكاتب بحسه المميز يرى ما لا يراه الآخرون. هذه البصيرة النافذة التي تميز ادب غسان من ناحية والتي وضعته ضمن اهم الكتاب العرب من ناحية اخرى. والحكم على الأدب الفلسطيني يبدو عملية شاقة حين يجرد من هدفه الأساسي وتاثيره على الوجدان بسبب القضية نفسها، وهو ما يجعلنا ننظر إليه بعيداً عن التاثر بالموضوع وهي عملية صعبة ويبقى منها عدد قليل من النصوص التي تصمد لتيارات النقد بموضوعية، ومنها اعمال جبرا إبراهيم جبرا واميل حبيبي وغسان كنفاني، ومن المعيرين الآن سحر خليفة وليانا بدر ونعمه خالد ويحيى يخلف وغيرهم. وفي الشعر محمود درويش وسميح القاسم واحمد دحبور ومريد البرغوتي وآخرين. وقد قرانا جميعاً اعمال في وقت كانت تلتهب افئدتنا بالحماس لكل ما هو فلسطيني لأنه من فلسطين، ومن الصعب عليّ ان ارى اعمال غسان كنفاني بمعزل عن ذلك.

منار فتح الباب ـ ماجستير في أدب غسان كنفاني

تكشف الدراسة الأسلوبية للخطاب الروائي والقصصي عند غسان كنفاني (وهي دراسة غير مسبوقة) عن بنية جديدة من التشكيل أو التركيب الثلاثي تتحقق في السياق الروائي والقصصي لدى غسان كان يكرر لفظ بعينه ثلاث مرات أو تتشكل عبارة أو فقرة من خلال ثلاثة تركيبات لغوية مميزة. كما يتكرر العدد ثلاثة بشكل لافت للنظر في قصص وروايات غسان، مثلاً نجد في رواية «الأعمى والأطرش» غير المكتملة عبارة التحريض على انتفاضة لاجئي المخيم تتكرر ثلاث مرات «الآن.. الآن.. الآن» والحقيقة ان غسان كنفاني يعد من أوائل الأدباء الفلسطينيين الذين تنبأوا بالانتفاضة وهو ما يظهر جلياً في رواياته المبكرة التي لم تكتمل «العاشق» و«برقوق نيسان» و«الأعمى والأطرش».

ثم هناك ظاهرة أسلوبية أخرى في خطاب غسان الروائي والقصصي، تلك هي نمط تبادل الظهور بين العددين ٢و٣، وهما يرمزان للحياة والبعث من جهة، وللموت من جهة أخرى. فالموت لدى غسان ليس هو العدم أو نهاية الحياة، وإنما بدايتها. الحياة لها وجهان وجه مؤقت ينتهي بالنوم أو الصمت أو الموت، ووجه دائم يبدأ من الموت وينتهي إلى الثورة والحياة الدائمة. وهذا هو النمط الذراعي الكنعاني القديم الكائن في فلسطين (حيث آمن الإنسان في تلك المنطقة بفكرة البعث).

إن البنية الأسلوبية لأدب غسان بنية داخلها الإيمان المطلق بالصمود والبعث أو التجدد والنهوض من جديد، في تكرر دائري ودون كلل أو سكون، وذلك يتأتى عن طريق الاستشهاد في ميدان الحرب.

لقد كان غسان كنفاني (حتى في لا وعيه) مدركاً ومؤمناً بحتمية المقاومة ضد القهر الصهيوني الذي يستهدف سحق التراث الفلسطيني قديمه وحديثه.

شعبان يوسف ـ كاتب

«الحرف يسري حيث القصد» هل تصلح هذه الجملة الصوفية على غسان كنفاني، هذا المنخرط ـ حتى الآن ـ فيما هو ليس كذلك، هذا المتنفس والمتورط بكل حروفه وكلماته في إنشاء عالم كامل مفقود، هذا العالم الذي تتوضح فيه الشخصيات والأحداث والأماكن، تتوسطه «أم سعد» هناك في ارض لم يَعِدْ الله بها، عالم ينعى فيه كنفاني عالماً، ويرجم فيه متنبين، ويجلد فيه افكاراً وانماطاً وثعابين وعناكب خيّمت واطبقت ناهشة هذا الجسد الضعيف الواهن، الجسد الذي أصابه السكري فلم يرجم صاحبه.. هذا الجسد رغم وهنه اصطادته ذبابات التاريخ، وغيّبته!! لكننا استطعنا ان نعثر على الكلمات، والحكايات، والقصص، ووجدنا الحرقة تتمدد في الأرواح، هم اصطادوه بالأسلحة الفاجرة، وهو حبسهم في الحرف والكلمات. اخذوه.. ولكن شبه لهم فما اخذوه وما قتلوه.. هو الذي يعود دائماً.. يتفقد ابناءه واصدقاءه



وناسه.. ويطمئن على الأحوال التي ليست على ما يرام، اكثر من مرة شاهدته وهو يبكي، ويغمغم، ويخفي عينيه بكفيه، اكثر من مرة منعناه من الصراخ وهو مرسل نداءه إلى العالم الذي شيّده واقامه، اكثر من مرة يطلع ملابسه تماماً، ويلتف بخرقة الصوفي، ويسير بين اطفاله، يسير حافياً ـ هناك ـ حيث القصد، ويسألهم: هل عادت فلسطين؟.. هل عدتم انتم؟.. وكيف حال السادة والقادة؟ هل هم بخير؟ هل يأكلون جيداً؟ و«يشربون» جيداً؟ هل مازالوا قادرين على إصدار البيانات؟.. كان يتهدج وهو يقول لهم: يا ابنائي.. يا أحبائي.. يا عدتي وعتادي.. يا رفقائي.. هل انتم واثقون ـ حقاً ـ أننا بخير؟ وبصحة جيدة؟!.. كان يخفض الكلمات.. ها الحافي القدمين، والذي قد أصبح عجوزاً.. ويقول: هذه التجاعيد ليست لي.. إنها تجاعيدهم، وهذياني ـ أيضاً ـ لا يخصني.. ولكنه هذيانهم.. أنا الحكاء، والقاص.. اريد زمناً آخر، ومكاناً أستطيع ان اتنفس فيه، وفضاء يتسع لصرختي.. فضاؤكم ضيق.. وانا صراخي واسع ومداه مفتوح على اللانهائي.. يا أحبائي.. تذكروني.. حاولوا.. أنا غسان كنفاني الصائغ المرتبك لأحلامكم.. والعاشق الحر تحت صيحات الغضب، انا الأب الذي سأظل حنوناً ودافئاً.. كما اعتدتم.. الأبدية ملتقانا.. سأغادركم.. الآن.. وسأعود لكم صباح كل عام كي أعد الشهداء الجدد.. والقديسين الجدد أيضاً.. سأتجاوز هؤلاء الحمقى.. يا أحبائي لا تنسوني.. أنا غسان كنفاني.. صاحبكم وابنكم ورفيقكم وعاشقكم إلى الأبد.. ■■

كأنني أعيش تفاصيل ذلك اليوم!

(أخي غسان.. جراحك المقيمة.. مازالت تنقلنا إلى صباحات عكا..)

عدنان كنفاني

الساعة الواحدة، ظهر يوم السبت ٨ تموز ١٩٧٢ خبر مقتضب بثته إذاعة لندن..

[انفجار سيارة يودي بحياة الأديب غسان كنفاني وسط ظروف غامضة..]

بعد دقائق كنت في سيارة أجرة، منطلقة، تطوي تحت عجلاتها الطريق إلى بيروت.

أتوسل لأول مرة في حياتي أن تقابلني هناك كذبة! أجمل كذبة يمكن أن يستقبلها إنسان، تقول: إن الخبر برمته ليس له أساس من الصحة..

ولأول مرة في حياتي أجتاز حدوداً بين دولتين، بلا جواز سفر، ولا تأشيرة، ولا تصريح..

فتحوا أمامي البوابات، وحملوني بنظراتهم الطيبة الحزينة، وتصرفاتهم الجادة الصغيرة المخلصة والمرتبكة، أنبل المشاعر طافحة بالأسف والعزاء..

مذياع السيارة يدندن لحناً شعبياً ليس له معنى، أجاهد كي لا أطلب من السائق تبديل المحطة، أدحرج في رأسي كرة ثلجية أريدها أن تكبر وتكبر..

توهمني - فأقيل - أن كل ما يحدث أضغاث أحلام، كذبة سخيفة كبيرة، ليس أكثر..

يهتز الدب القماشي الصغير المعلق على المرآة.. يتراقص وهو يفتح فمه عن ابتسامة طفولية بريئة.. لونه أسود أيضاً..

ذلك الدب الأسود القبيح الكبير الذي علقه والدي فوق سريري..

أيقظوني ليلاً..

أخبروني والبشر يطفح من وجوههم، أن أمي ولدت..

سألت.؟ قالوا طفلة جميلة.. أدرت ظهري ورفعت الغطاء فوق رأسي..

في اليوم التالي، أحضر والدي ذلك الدب الأسود القبيح.. علقه فوق سريري تماماً.. أردف بنزق:

- لن يترك مكانه إلا عندما يتأكد أنك تحب أختك.. الطفلة الجميلة التي جاءت بها أمك، هدية لنا من السماء..

كنت في السادسة من عمري.. بكيت كثيراً في تلك الليلة، وكلما أدرت وجهي أهرب من اهتزازه المرعب، تلاحقني نظراته القبيحة.. فابتلع صوت بكائي، أخاف أن ينقض علي ويأكلني.. يهتز يمنة ويسرة، أسمعه يسألني بين الفينة والفينة:

- هل تحبها.؟

أقول: - نعم.. نعم..

ولا أسمع صوتي من شدة الرعب..

يقترب غسان من سريري، يسألني بلهفة:

- خائف.؟

أهز رأسي. فيبتسم بسخرية..

كان عمره عشر سنوات.. همس في أذني..

- تقف على حافة السرير، وتقطع الخيط الذي يتعلق به، ثم تلقيه من النافذة..

تملكتني مشاعر بلهاء.. كأنني سألته.. وبعد؟

أجاب وهو يرسم على شفتيه ابتسامة انتصار:

- تنام الليلة مطمئناً.. وفي الصباح تقول إن الدب غادر مكانه بعد أن أيقن أنك تحبها..

كنت في السادسة من عمري..

أدركت فيما بعد أن الأخ الشقيق، بنتاً أو صبياً، أغلى وأجمل ما يمكن أن يحصل عليه إنسان..

نظرت ملياً إلى الدب الصغير المعلق على المرآة، يهتزّ بعنف ينظر إلي تارة، وإلى الطريق المتعرّج تارة أخرى..

تقابلني نظرات السائق الخاطفة، يطفو صوته الدافئ فوق صوت اللحن الرديء الذي يطلقه المذياع..

- أقل من ساعة ونصل..

تأخذنا المنعطفات الضيقة المتلاحقة، تنساب الطريق على حافة حادة بين جبل تزرّنه الخضرة حتى القمة، وواد سحيق بعيد مفروشة عتباته بألوان زاهية.. خضراء وبنيّة.. صفراء وحمراء.. تتخللها قطعان تتمرغ بكسل.. وبيوت متناثرة بينها، تلفظ سحابات دخان باهتة تحمل روائح فيّاضة..

هي الصورة ذاتها التي حملت خطواتنا منذ زمن بعيد.. بعد رحلة لجوء مرّ اقتلعتنا بقسوة من يافا إلى عكا إلى الغازية إلى حمص ثم إلى الزبداني ببهائها وجمالها، قابعة بأناقة على سفح الجانب الآخر من الجبل الأخضر..

نحمل بين أيدينا نحن الثلاثة حصصنا المتساوية.. نصف رغيف وقطعة صغيرة من الجبن، وجبة طعام خفيفة نتناولها بين الظهيرة والمساء يسموّنها «العصرونية»..

نخرج بها إلى الفضاء المفتوح، نتمشّى إلى جانب جدول ماء، ولأن أخي الأوسط لم يحسب الأمر بدقّة، فقد التهم قطعة الجبن ولم يجد بين يديه غير شريحة خبز جافة..

راقب بحسرة قطعة الجبن التي تخصّني، مازالت كبيرة.. فاضل بشتى الوسائل للحصول عليها أو على جزء منها.. لكنني رفضت بإصرار وعناد.

ألح أكثر، ورفضت أكثر.. تفاقم الأمر بيننا، ولم يجد بدّاً من التقدم صوبي، معتمداً على قوته البدنية فهو يكبرني بسنتين، لانتزاع قطعة الجبن عنوة.. فهربت..

ولحظة أحسست أنه سيدركني لا محالة، لم أدر كيف رميت قطعة الجبن برمتها في الجدول مما أثاره إلى الحد المسعور.. التقط حجراً ورماني.. أصابني على جانب وجهي الأيسر.. ارتطم وجهي على حجر مدبب في سور حجارة، لينفتح جرح عميق في فخذي الأيمن، لم تتوقف الدماء التي نزفت منه أن غطت وجهي وثيابي..

انقلب الموقف.. وضع غسان خرقة على الجرح النازف وضغط عليه بكل قوته، وانطلقنا ثلاثتنا إلى الصيدلية الوحيدة في القرية ليقوم الصيدلي بتنظيف الجرح وقطبه خمس غرزات دون تخدير بعد أن أجلسني على كرسي، وقام بعمله مستخدماً أدوات بدائية.

كان همّنا الأول أن لا يعلم والدي بالأمر، أو بأنه على الأقل [illegible]



الشهيد غسان كنفاني مع أم سعد.. تحمل ابنته ليلى

يحصل على الوجه الذي حصل.. نعلم أننا سننال العقاب الصارم..

تطوّع غسان لإنقاذ الموقف..

اتفقنا على أننا تعرّضنا فجأة للتواجد بين فريقين من الفتيان يتراشقون بالحجارة، وهو تقليد طبيعي يتكرر حدوثه بين فتيان الحارتين الشرقية والغربية بين الحين والحين..

ولأننا مؤدبون ومن أسرة كريمة لم ندرك حجم الخطر الداهم.. وعلى حين غرّة أصاب حجر طائش وجهي..

والدي رجل منصف..! يأخذ حقه ويعترف بحقوق الآخرين، تقدم بشكوى عاجلة إلى مخفر البلدة..

أثناء التحقيق، ولأن غسّان أكبرنا، فلم يكن تجاوز الثانية عشرة بعد ولأننا على اتفاق أننا فوجئنا ولم ندر كيف حدث ما حدث.. تطوّع للإجابة..

كان المحقق صارماً، أراد أن يتابع بذكاء أدق التفاصيل للوصول إلى الحقيقة.. مما فرض على غسان أن يقدم وصفاً مفصلاً ودقيقاً.. وصف المكان الذي يفترض أن يكون ميدان القتال بين الفريقين.. أشار باستفاضة إلى مجموعات الفتيان من كلا الجانبين.. الأشكال والملابس والعلامات الفارقة لكل واحد منهم، ما كان على الرؤوس وبين الأيدي، أشكال الحجارة وأنواع المقذوفات.. طريقة الهرب بعد وقوع الحادث.. الخ.. كل ذلك بوصف دقيق كأنه يقرأ من لوحة مرسومة أمامه..

وقد أصرّ المحقق على الوصول إلى الحقيقة.. طلب من غسان إعادة سرد القصة أكثر من مرة.. وكان يكرر في كل مرة القصة، حرفاً بحرف، دون زيادة ولا نقصان..

في الأيام القليلة التالية كنت أنا وغسّان نتقاسم قطعة الجبن حصّة شقيقي الأوسط، يتنازل عنها على سبيل الرشوة فيما بيننا، ونحسّ بشيء من التلذذ ونحن نراقبه يتناول الخبز وحده، يتبع وراء كل لقمة جرعة ماء..

بعد أيام لم نستطع مواصلة الصمود..

اعترفت لوالدي بالحقيقة.. نلنا ثلاثتنا كالعادة حظنا الوافر من العقاب، وحرمنا لأيام كثيرة من تناول «العصرونية».

مازال الدب الصغير يحدق في وجهي.. ويبتسم..

نعود مساءً حفاة عراة من شاطئ بحر يافا إلى بيتنا القريب الساكن في حي المنشية بعد ساعة السباحة اليومية المدرجة على جدول نظام صارم يضعه والدي بترتيب دقيق لحركتنا اليومية. ندخل الحمّام لنغتسل بالماء الحلو.. تغطس أجسادنا الصغيرة في الحوض الكبير، نسبح ونتدافع، ولحظة يرفع أحدنا رأسه فجأة يصطدم بالحنفية البارزة.. ينفلق جرح جديد.. وننال العقاب..

تزداد حركة السيارات كلما اقتربنا من بيروت..

فجأة يصافحنا البحر..

لأول مرة يسكت المذياع، وتتوقف حركة الدب الصغير المبتسم..

ولأول مرة أفقد لون البحر الأزرق، التفت السائق، قال بصوت خفيض وهو ينعطف إلى اليمين:

ـ «الحازمية».

في اللحظة نفسها رأيت غسّان..

في ساحة بيت يميس بين الورود والزهور، وعبق الكبّاد والنارنج، يحتل مكاناً أثيراً في حي القنوات بدمشق، تتحدث جدرانه المزخرفة والمعشّقة والملوّنة عن عظمة دمشق وتاريخها.

يجلس على كرسي مرتفع، يحرص «فخري بيك البارودي» أن يحمله إليه بنفسه..

فتى نحيل أشقر، شعره مجعّد، عيناه تشعّان ذكاءً، يمسك بين يديه سنوات عمره التي لم تتجاوز الرابعة عشرة، وكتاباً يقرأ منه.. بين جمهور من الأدباء والفنانين والسياسيين ينصتون باهتمام واستحسان إلى قراءته السليمة المؤثرة التي يضيف عليها صوته الصافي مسحات رائقة تزيدها بهاءً وجمالاً..

نراقبه من فرجة الباب بشغف، تنتهي الجلسة اليومية.. ليعلن «فخري البارودي» كما في كل ليلة:

ـ إن هذا الفتى سيصير إلى شأن عظيم..

تتوقف السيارة..

ترتجف أطرافي المتحفّزة، أتلهّف لاستقبال مفاجأة الكذبة.. أتوسل أن تتدحرج أمامي على مساحة الأفق..

يمسك السائق يدي..

يفرد أمام خطواتي المضطربة حزنه المسفوح على حصيرة من شفقة..

يقودني عبر الحطام والدمار..

يصل بي إلى حافّة واد عميق الغور.. فيه رجال يلتقطون عن الأغصان قطع لحم صغيرة، يجمعونها في كيس أبيض.

في الزاوية الأخرى رأيت وجه غسّان ونصف صدره..

ورأيت شيئاً متفحماً يشبه الصبيّة الجميلة «لميس»

كان يبتسم، صافحني وهو يبتسم..

وكأنه تحسّس بأصابعه النحيلة أثر الجرح الطافي على صفحة خدي الأيمن..

رأيت الدب الصغير، ثابتاً صامتاً حزيناً..

رأيته يبكي..

فبكيت.. ■■

الرائي!

فاروق وادي - الأردن

(١)

توقيعه، كان صليباً تطوّقه دائرة...

حلماً يحاصره المستحيل!.

فقد كان الصلب الاحتجاجي هاجساً ومشروعاً للفتى الذي تعلّم الرسم حين شرع في رسم سجّانه. وقد ظل فيما بعد يرسم... ويرى جسده معلقاً على الصليب!.

قال:

حلمت طويلاً في ان اذهب إلى الأمم المتحدة حاملاً صليبي على كتفي... وهناك، أمام المبنى الكبير، أزرع الصليب في الأرض وأعلق جسدي عليه احتجاجاً على الموقف الدولي من قضية فلسطين...

كان الفتى يحلم، ويؤوب من حلمه خائباً... فيرسم.

وأسأله بين الجد والهزل عمّا حال دون تحقيق الحلم؟!.

فيجيب دون ان الحظ على شفتيه طيف ابتسامة:

- الحقيقة أنني قد فكرت بمعضلة كبيرة سوف تواجهني، فبعد أن أدق المسمار في كفي اليسرى... كيف سأضع المسمار في اليد اليمنى؟!.

الآن، وأمام عشرات الآلاف من الصلبان المحاصرة بالدوائر التي باتت توقيعاً لرسوماته إلى جانب حنظلة الشقي، نقول:

شكراً لتلك المعضلة التي حمت لنا طويلا يد ناجي العلي من مسمار الصليب!.

(٢)

كانت بيروت تعصف بالسرقات اليومية للسيارات، وكان في تلك الليلة ممتلئاً بهاجس سرقة سيارته. استأذن مرتين ليطل على سيارته التي وضعها في شارع مدام كوري قريباً من بيتي، وكان في كل مرّة يعود مبتسماً وهو يردد:

- لم تسرق... لم تسرق بعد!.

في الصباح لم أجده. كان قد غادر فراشه مبكراً. لم يكن بيتي واسعاً ليضيع فيه، غير أنه لم يتركني طويلاً نهباً للأسئلة، إذ عاد بعد قليل منتشياً، فرؤيته خابت هذه المرّة أيضاً:

- لم تسرق كما حدّثني قلبي!.

ثم يقرر:

- سوف أسافر بها اليوم إلى دمشق.

ودعناه، فدمشق الآمنة سوف تريحه بضعة أيام من هواجس القصف العشوائي وسرقات السيارات!.

وهناك، في دمشق، ينتزع ناجي العلي الجائزة الأولى في معرض الكاريكاتير العربي الذي غادرنا للمشاركة فيه..

إلاّ انه عاد منها بعد أيام... بسيارة أجرة!.

وعندما التقيته، مصادفة، وكان يسير ببطء صاعداً في الطريق الواصل بين شارع الحمراء وجريدة (السفير)، قال: بلهجة المنتصر لصدقية رؤياه:

- ألم أقل لكم أنها سوف تسرق؟!.

غير ان ما كان يغيظه، هو ان رؤاه، لم تقل له انها سوف تسرق... في دمشق!!.

(٣)

لم يكن في صوت عدلي فخري في تلك الليلة ما يبعث على الضيق...

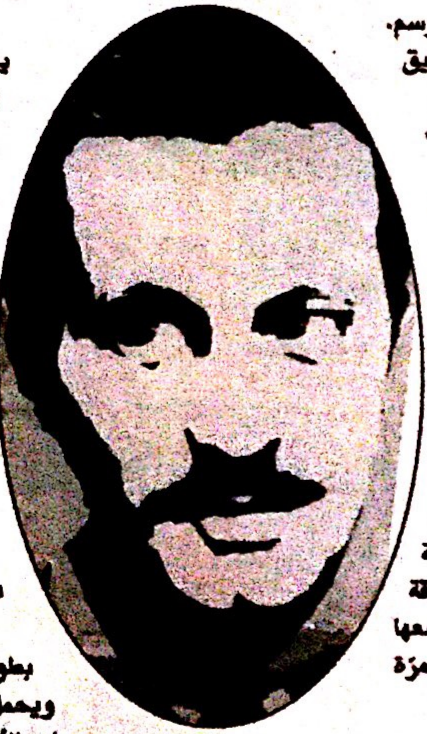
كان صوته دافئاً وحنوناً، وفي بحّته حنين أسيان يغني لمصر وفلسطين. فما الذي جعل ناجي العلي يتضايق، فيفسد علينا رنّة العود؟!.

انتفض ناجي فجاة... وهبّ واقفاً، فاقتحم الأغنية وبددها...

أخذ يشير نحو الجالس إلى جانبه ويصيح بغضب:

- انظروا... مثقف وكاتب قصّة ومحرر في مجلة وطنية... ويأتي ليستمع إلى عدلي فخري وهو يضع مسدساً على قفاه!.

لم يكن في المسألة ما يستدعي هذا القدر من غضب ناجي، في مدينة تدجج أهلها كلّهم بأسلحة بات فيها المسدّس هو الأكثر تواضعاً، وفي ترسانة هائلة من البارود والكحول التي ضجّت بها الشوارع. فما الذي يضايقك يا ناجي من أناس دعته النشوة الكاذبة ليحمل مسدساً على جانبه؟.



لم يكن البعث على الضيق مجرّد مسدس يدّعي بطولة واهمة... وإنما فضيحة المثقف الذي يكتب ويحمل السلاح ويستمع إلى الأغاني الثورية، فقط ليغطي عمله الأساسي... في المضاربات المالية، وهي واحدة من الظواهر التي كان ناجي عاجزاً عن السكوت عنها.

ها هو المثقف يضع يده ويتحسس مسدسه، لكنه يتراجع أمام صيحاتنا واحتجاجاتنا وانسحاب عدلي فخري.

مهما يكن، فشكراً لعقلانية اللحظة الأخيرة التي حطت على مثقف فجاة، وانصياعه للقبول بنهاية قصصية تفتقر إلى الدراماتيكية.

شكراً له، فقد أجّل رحيل ناجي سبع سنوات... منذ تلك الليلة، التي سكتت فيها رنّات العود، احتجاجاً على وجود خاطئ يخدش موسيقى الحياة، وأصابع تحسست مسدسها... في حضرة ناجي العلي... الرائي الذي أضاعته، فيما بعد، خطوطه الشاخصة... ورؤاه الشقية! ■■

ناجي العلي

الارث والأثر والثأر

خليل أبو عرفه - القدس

تلزمنا الذكرى الرابعة عشرة لاستشهاد ناجي العلي إلى محاولة النظر مرة أخرى إلى موروث الشهيد الغني، وإلى بحث تأثيره على فن الكاريكاتير الفلسطيني المعاصر، وإلى محاولة البحث مرة أخرى عن خيوط ما زالت غامضة في جريمة اغتياله النكراء.

الإرث:

لقد ترك ناجي ما يربو على أربعين ألف عمل من الأعمال المتنوعة في مجال الكاريكاتير السياسي، وهي أعمال تبعثرت هنا وهناك بسبب اضطرار ناجي إلى الرحيل أكثر من مرة ومن أكثر من عاصمة ما بين بيروت والكويت ولندن، وكذلك بسبب انتقاله للعمل في أكثر من جريدة أو مجلة.

هناك الأعمال الأصلية، وهي ليست مجموعة حتى الآن. وهناك ما نشر في عشرات الصحف العربية والعالمية، منذ بداية عمله في مجلة (الطليعة)، الكويتية منذ أوائل الستينات حتى يوم اغتياله حيث كان يعمل في جريدة (القبس)، الكويتية. وهناك المعارض الفنية التي أقامها أو شارك بها، وهناك ما لم ينشر من اعمال وظل في (درج التاريخ)، كما يسميّه الشاعر احمد دحبور، وهناك ما جمعه ناجي بنفسه في كتب خاصة به وعددها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة على اية حال.

إن اهمية جمع وتوثيق اعمال ناجي العلي تكمن في أنها تعكس رواية أخرى للتاريخ القضية للعاصر بريشة فنان متمرد معارض امتهن هذا النوع الشاكس من الفن، وحاول أن يكون صوت من صوت لهم، ولسان حال المعذّبين المسحوقين، كما حاول أن يطرح وجهة نظره الخاصة التي اختلفت عن الرواية الرسمية في كثير من الجوانب.

كانت رواية ناجي صادقة وعضوية ومؤشرة والأقرب إلى القلب، ذلك أن هذه الرواية إعتمدت سلاحا مجربا لدى الضعفاء منذ فجر التاريخ، الا وهو سلاح السخرية. إنها السخرية السوداء. الملتبسة مرة على شكل مأساة ومرة أخرى على شكل ملهاة (صراع الكوميديا والتراجيديا)، اللتان تتبادلان الأدوار في كل مرحلة من مراحل إعادة قراءة التاريخ الذي يكرر نفسه او هكذا يخيل لنا.

الأثـر:

تحول ناجي العلي حتى في سنين حياته إلى مدرسة واضحة الملامح في فن الكاريكاتير الفلسطيني، بل والعربي عموما. كانت هذه المدرسة جزء من مدرسة عربية اكثر شمولا، اخذت تصارع النظام السياسي الرسمي السائد مستخدمة سلاح السخرية إياه في مقابل مدرسة أخرى سارت (الحيط الحيط)، وابتعدت قدر الإمكان عن السياسة محاولة تجنب غضب المخابرات. كان من رواد المدرسة الأولى التي تركزت في مصر في الأغلب (حجازي)، و(بهجت)، و(جورج بهجوري)، وغيرهم.

استمر ناجي في تدعيم اسس مدرسته في الوقت الذي انكفات فيه المدرسة المصرية على نفسها إثر ما مارسته مخابرات النظام من أساليب قمع وتشديد على الصحافة وحرية الراي وبالتحديد في سنوات الثمانينيات.

كان من ملامح مدرسة ناجي اعتماد اسلوب الرسم الصامت في البداية. كان هذا كافيا للوصول إلى قطاع واسع من القراء البسطاء بما في ذلك الأميون. وكان من ملامحها كذلك اعتماد شخصيات محددة مستوحاة من واقع المخيم ومنحوتة من طينة اكثر الطبقات الشعبية انسحاقا. فنخلت إلى القلوب بدون استئذان. ثم كان ان اعتمد ناجي حنظلته في زاوية الرسم كايقونة وشاهد يذكر كما الناقوس بالهدف المرسوم وينذر لدى اقتراب الخطر.

كانت خطوط ناجي بسيطة ومقننة. اعتمد في الغالب على التناقض الصارخ بين الخط الرفيع الانسيابي والمساحة السوداء الثقيلة، كما اعتمد على الخطوط النحيلة المتعاكسة بزوايا قائمة كأسلوب للتظليل وبتركيز على البعد الثالث للرسم، فكانت الرسومات في النهاية لوحات مجسمة معبرة متوازنة من حيث التكوين.

هذا من حيث التشكيل، أما النص فقد لجا إليه ناجي بعد فترة طويلة من الرسم الصامت بعد ان خرج بنتيجة ان هناك طاقة كبيرة مختزنه لا بد من التعبير عنها بالصراع و(رفع الآذان)، كما قال. وحين خرجت رسومات ناجي عن صمتها كان حديثها مشحونا لاذعا معتمدا على تراث غني من الأمثال والمأثورات الأدبية والشعبية والدينية، حملت عدة أوجه للتاويل.

لاقت رسومات ناجي إعجابا شعبيا متزايدا، مما دفع الصحف العربية إلى التسابق في نشرها وفي اماكن بارزة.

حملت الرسومات الهم الفلسطيني بكل تجلّياته ووجدت لها حيزا واسعا نسبيا في الصحف العربية الواسعة الانتشار.

وعلى الرغم من الحصار الثقافي الخانق الذي وقعت تحته الأرض المحتله عام 67، ومناطق عام 1948، فإن رسومات ناجي وجدت طريقها إلى الصحف المحلية ضمن ما كان يرشح من الصحف الفلسطينية والعربية الصادرة في قبرص او اوروبا، عبر البريد المهرب أو عبر الفاكس الذي دخل حديثا. لقد فتح هذا المجال أمام رسومات ناجي أن ترى النور من على صفحات ثلاث صحف يومية (القدس)، و(الميثاق)، المقدسيتين و(الاتحاد)، الحيفاويه الأمر الذي ساعد على تعريف الشعب تحت الاحتلال على ناجي وإلى تاثر الرسامين المحليين بفن وأسلوب مدرسته.

الثـأر:

بعد مرور اربعة عشر عاما فإن أحدا لا يقر بانتفاء ضرورة محاسبة القتلة بفعل تقادم الجريمة. إن ما تسرب لنا من معلومات في حينه عن جريمة اغتيال ناجي أن الشرطة البريطانية قامت باعتقال اثنين من عملاء ما يعرف بـ (الموساد)، متورطين في الجريمة واكتشفت مخزنا للاسلحة تابعا لهما في مدينة (هاك)، القريبة من لندن لنعرف بعد ذلك انه تم نقل هذين العميلين إلى إسرائيل بحجة مخالفتهما قوانين الهجرة كي يطوى الملف، إلى هذا الحد تسلل العدو من خلال ثغرة مشؤومة نشات في تلك الفترة حين برز الانقسام واضحا في الساحة الفلسطينية بين المؤيدين للتسوية والمعارضين لها، بين المدافعين عن شرعية منظمة التحرير والمتحفظين عليها، حيث كان ناجي باسلوبه اللاذع من انصار الفريق الثاني.

في تلك الأيام لم يتسع صدر كثير من الكتّاب المدافعين عن الشرعية أمام انتقادات ناجي وغيره، حيث شنت حملة شرسة وجارحة بحق ناجي والجماعة الرافضة ولتصل الحملة مستويات من الهجوم لم تصل إليها من قبل.

في هذه الأثناء، كان هناك من يسترق السمع إلى هذا الحوار الانفعالي والمتوتر. وكان هناك من يضع الرصاص في المسدس كما لاحظ وبحق شاعرنا محمود درويش (كان يرسم، كنت اكتب)،... وكان ناجي هو الضحية.

ناجي العلي: في الذكرى الرابعة عشرة لغيابك... نجدد عهد الوفاء والمحبة لك وانت تقبع غريبا هناك في القبر رقم 230190، في مقبرة (بروك وود)، ليس ببعيد عن عاصمة الضباب...

الضباب الذي سينقشع يوماً عن ظروف قتلك غيلة، كي تاخذ (العدالة النسبية) مجراها...

(العدالة النسبية)، في ان يلاقي القتلة عقابهم... وفي أن يعود ابن (الشجرة) إلى شجرته الأولى ...■■

عندما بكى ناجي

سميح القاسم - الرامة

تسألني عن ناجي العلي، فيمثل جسداً وصوتاً، بيني وبينك أكاد أمد يدي من نافذة مكتبي في (كل العرب) النصراوية لألمس ما تبقى من ركام (الشجرة) وأشجار صبارها وزيتونها، وفجاة يتقافز بين الأنقاض ولد أسمر أجعد الشعر، محني القامة قليلاً، يناوش، ويشاكس أولاد الحارة بقدمين حافيتين وعينين كعيني الصقر ويكبر هذا الولد فجاة بين ازيز الرصاص ودوي القذائف ليصبح لاجئاً ورسام كاريكاتير، تأخذه الغربة إلى لندن ويأخذه الحزن على الشجرة وعليّ وعليك وعلى زوجته واولاده، يأخذه في طلقة حمقاء إلى موته غير المنطقي وغير المبرر إلاّ بكونه موتاً فلسطينياً، وكما تعلم فإن الموت الفلسطيني يحتفظ بفرادته ليحتفظ بفرادة قضيته وبحقه في البعث والحياة، وفي العودة، ناجي العلي، كان صديقاً لصيقاً بالقلب وبالوجدان، كان أخاً مشاكساً يخمش أحباءه لكنه يدمي خصومه واعداءه، وتعذبني دائماً تساؤلات لا أجد لها حلاً عن يوضاس (يهوذا الأسخريوطي)، الذي اندس ذات مساء على عشائنا المشترك الأخير الذي اقامه ناجي على شرف قصيدتي في منزله في لندن، أنكر تماماً الآن أنه جلس على الأرض معظم الوقت وكان يحضّ جميع الضيوف على الطعام ولم يتوقف لحظة عن التذمر من الوضع السياسي، في الليلة نفسها حين لمته على هجومه المكثف على محمود درويش بكى ناجي واتصلنا بمحمود في باريس، وانتهى الخلاف بين الشقيقين وبعد ذلك بشهور اغتيل ناجي العلي، لكن أحداً لا يستطيع اغتيال حنظلة وهذا هو انتقام الشنفرى (ناجي العلي) حنظلة يطارد جميع القتلة ويفتك بهم واحداً تلو الآخر وما فعلته جمجمة الشنفرى حين أجهز على خصمه المئة، ستفعله ريشة العلي المتجسدة في حنظلة.

اذا كان لي أن اتحدث عن ناجي الفنان، أعتقد أنني لا أظلم أحداً لو قلت انه "ظاهرة الأكثر سخونة وإرباكاً في فن الكاريكاتير العربي على امتداد العقود الخمسة الأخيرة. في رأيي خرج ناجي من دائرة الانتماء الوطني إلى دائرة الانتماء القومي، فالإنساني – الكوني. سيكون شرفاً عظيماً للامم المتحدة او لليونسكو أو حتى ما يسمى جامعة الدول العربية أن تطلق اسم ناجي على اكثر من معلم من معالم العرب والعالم. ناجي العلي ما يزال أخاً ورفيقاً وصديقاً لصيقاً بالقلب. عميقاً في الوجدان. لا يذكر اسمه إلاّ واحس بغصة في الروح ويتكرر التساؤل العفوي البسيط.

لماذا؟؟. ليش؟؟ ■■

أدرك... فمات... فماش...

دنيا الأمل إسماعيل - غزة

ما الذي يمكن كتابته عن ناجي العلي... بعد أربعة عشر عاما غياب يؤسس لحضور يتنامى بموت غامض، هذا العلي، الذي استفاق صبيحة يوم في خيمة، جرّنا وإياه، نحو استعادة أسئلتنا المنسية حول كينونة معباة بثقل الوطن، ومحاولات الإلغاء، وبراح التخيل نحو فلسطين أبهى من مجرد المكان.

اجزم بانني اعرفه، رغم فارق الموت والسنين، وأزمنة تتباعد لتختزل نفسها في أيقونة صغيرة وشقية.

هذا الحنظلة ابن العاشرة، شكّل لي في المنفى كل فلسطين بتمردها المر والجميل، وحرقتها على طفولة كبرت في المنافي، ولم تر من فلسطين سوى الشقاء بها... في حنظلة شيء مني، فأنا مثله تركت الوطن في سن العاشرة تقريبا، لأجد نفسي في مكان لأخر عليّ أن أشكل أحلامي - إن استطعت - على مقاسه، وحسب ما تمليه عليّ الأخوة العربية، وإلا فإن بوابة الرحيل أو الترحيل دائما مفتوحة أمام الفلسطيني.

كان ناجي - ولم يزل - يضعنا أمام صمتنا بأنفسنا، بكل مساوئ الصراحة ونزقها، وجراة الطرح وعنفوانه، في زمن اتفق فيه المتملقون على أن الصراحة والجراة عيبان كبيران يجب دائما سترهما، حرصا على وطن اكتشف في ما بعد انه يتشكل مما لايبنى ولا يؤسس لوطن حر من أضغاننا، ومصالحنا الصغيرة والكبيرة، وتاويلاتنا المتعددة وسيئة النية.

لأننا كنا نحلم بالصورة الأبهى لفلسطين، كان ناجي دليل عمل، ومعلم مبدئي، يدلنا على الجرح، ويكشف طويته.... فماذا نحن فاعلون؟....

في كل مكان ذهب إليه الفلسطينيون كان له سياجه وأسلاكه الشائكة، تلاحقه في الحضور والغياب، الموت والحياة... حتى وهو يمني نفسه بقيمة التخيل، كانت الأسلاك الشائكة له بالمرصاد، وفي كل هبطة روح كان ناجي رافعا قويا، ومطهراً الروح من أدناسها... لم يكن كاريكاتوريا فقط، كان ثوريا ونبيا، تكشفت له أوجاعنا، وتراءت له ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فكانت ريشته حفرا على الروح ألا تنسى أو تتهاون أو تتخاذل، لكن خوفنا مما تمثله تهمة التحريض من صون لنا - لا إهانة - أدى بنا في النهاية الى أن ننسى فتعاظم الجرح وتضاعف اللاجئون وضاعت فلسطين أكثر... تهاونا فأمتهنا، وتخاذلنا فخذلنا الجميع، ولم نع جيدا درس المكان والزمان، جرحنا يصنعونه لنا أما فرحنا فلن يخلقه غريبا.

ولأننا لم نملك وعي الرائي، لم نفهم وجعه كما يجب، ولم ندرك التصاقه بنا، كما يحق لأنفسنا على أنفسنا... كنا مزهوين بطلقات الفرح على أبواب أوطان هي ليست لنا ولن تكون.

بحرقة أكثر علينا أن نكتب، أن نبكي، وأن تعذب الروح حتى تتطهر، ونهين الجسد حتى يتسامى، علينا أن نرد الأشياء الى أصولها الأولى حتى يعود الوطن يتشكل بصورته الأبهى.

نقطة البدء ليست من هناك بل من هنا... من تحت أقدامنا، ولأن ناجي أدرك ذلك قبلنا فقد مات قبلنا ■■

لا بد من المصالحة مع التاريخ

عز الدين مناصرة - الأردن

آخر مرّة رأيت فيها ناجي العلي كانت خلال حصار بيروت عام 1982، حيث تناولنا الغداء معاً في منزل الفنان مصطفى الحلاّج. كان صديقي، وكان إنساناً بسيطاً نقيّاً لا يشترى بمال أو تهديد، هو ابن الشارع العام الفلسطيني، لهذا كان يلتقط رسوماته من الإجماع الشعبي على مسألة ما، حيث يحول الفطرة إلى تشكيل فني يحمل مواصفات فنية عالية. كنا نقرأ جريدة السفير اللبنانية من آخرها إلى أولها منذ الصباح الباكر. شخصية حنظلة شخصية مركزية انطبعت في ذاكرة جيل كامل لترمز لشقاء المواطن الفلسطيني العادي. وهذا هو سر نجاحها. الخطوط في لوحته قوية، لأنها تتمايز داخل اللوحة تبعاً للمعنى وما وراء المعنى. وأهم ما في رسومه هو (الجملة المركزية)، المكثفة او ما نسمّيه (التعليق المكثّف).

بساطة مدهشة لا أثر للصنعة فيها وإنما هو الإتقان للتناسب بين عناصر التشكيل في اللوحة الكاريكاتورية. كذلك التعبير عن (الحساسية الشعبية). كان يرسم ويرسم، لكن ما ينشر هو القليل، لأن الجريدة لها سياستها أيضاً. بدأت صداقتي معه منذ عام 1974، في بيروت، التقينا في الشارع وأصبحنا أصدقاء بعد ساعة واحدة في مقهى بيروتي في كورنيشن المزرعة. ويبدو أن مقولة (المثقف المستقل)، ضمن إطار منظمة التحرير الفلسطينية التي قاربت بينيْ وبينه. عندما اعتقله الإسرائيليون في صيدا، جاؤوا بأحد الملثمين، هل تعرف هذا، قال: بإشارة مسترخية غير مكترثة بأن حجم ناجي الجسدي الضئيل لا يوحي بأنه (مخرّب!!.). فاطلقوا سراحه. هذا ما رواه ناجي العلي لنا عندما استقبلناه أنا ورشاد ابو شاور وحنّا مقبل في نفس يوم إطلاق سراحه. طلبت منه أن يرسم مجاناً لجريدة (المعركة)، التي كنت سكرتير تحريرها وكان زياد عبد الفتاح مديراً إدارياً ومالياً لها ولم يكن لها رئيس تحرير طيلة صدورها، فوافق فوراً وفعل. كانت أولى رسوماته تلك اللوحة الرائعة (عين الحلوه).

في تكراه، أقول: لا بد من المصالحة مع التاريخ بممارسة الثقافية الخلاّقة والمكاشفة الوطنية. لقد وصلت رسوماته إلى العالم واصبح رسام كاريكاتير من الذين عرفوا عالمياً، فمتى نمارس التطبيع مع ناجي العلي - أهم فنان فلسطيني في النصف الثاني من القرن العشرين!!! ■■

أرجوحة فوق جسر من الموت!!

وليد الشرفا - رام الله

(قمر فلسطين أحلى)، لن يشفع لك الدم، أرى كفك الشاهدة، تغادر قسراً وتودّع قبرها الأخير، دون أن تتحسس رؤوس الأطفال الفقراء في قبورنا الضجيج، ليس هناك عرس لموتى القبائل، ولا يوجد منهم سوى الموت!!. ليس غيابك ما آلمك، أعرف ذلك، ولا الرصاصات التي فجّرت جمجمتك الساخنة، جيش عرمرم من الفقراء يتساقط دمعهم على الصفيح دون صدى، لأنك لم ترث الأرض، لكنك أورثتها، الحبل لم ينقطع، أرى خطوطك تتململ تحت التراب، هنا، هناك، فوق رأسي، وفي رؤوسهم أنت الأعلى ونحن متهمون حتى نثبت فلسطينيتنا أمامك، هز إليك بجذع فكرنا الناشف حتى تتساقط الرطب، فقد عدنا كالعرجون القديم.

على شاهد قبرك، كما كان دائما أصلا مع وقف التنفيذ، حتى كشف لنا الزمن القاسي موعد دفنك، عند ذلك الشاهد. وفوق رأسك الحنون، لا بد أن نفتح ثغر كهف أحزاننا ومكائدنا نحن الفلسطينيون، يا ناجي، لم تعد هناك منطقة وسطى تتسع للابيض من النفوس، السفينة وحدها، وسوداء الغيوم تتآمر مع وحوش الموج، وانت البوصلة انكسرت.

اصبحنا ايتاماً الآن، الصوت الطهور غاب، والغابة تملؤها الوحوش، والهواء غبار ساخن يشقق الروح، الحلق يغوص به الرمل كل حبة تلد صحراء. يا ناجي!. نحن مأسورون بالحب القاتم، الدمع معدن تلوكه جفوننا والقمر بعدك التحق بركب المتآمرين، لم تعد هناك أصوات عذرية في قبيلتنا والشبق يهوي على الجميع، فلا جسر الآن بين منافينا وأراضينا القديمة. مسك روحك يعطر ترابا غريباً، والبرتقال الحزين في يافا مجهول الهوية منذ الآن، والأرض تحمل رائحة الغريب، موت صعب أن تكون الشنفرى وأنت بيننا، لا نريدك تراثاً، نريد واقعاً واقعاً، لا تمنح الجبناء فرصة مديحك بديلا عن حمل السيف، كلهم أموات وأنت بينهم كعمود النار!.

قمر فلسطين أحلى، قلتها لفاطمة، وفاطمة الأرمله - تهذي تستحضر الذكريات، وحيدة، وحنظلة قطّب القذى عينيه ولا ملح في الدار!. آه لو تدري ما أعزك، اعرف أن البلاغة في الكلام وقاحة أمام هول الجنازة، ولكني أحد الجبناء الجميلين الذين يلهون بالزمن المرحلي، أمام حالتك.

لم ينته عصر الأنبياء لكن الله قال: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا، فحق علينا العذاب)، لأننا ربما نكون مثلهم، من قتله الانبياء!!. هم يغيبون الجسد ونحن نتجاهل امتداد الروح... لقد قتلوه، ونحن نسيناه، لكن لا، فالتذكار شكل من أشكال اللقاء!!.

لقد صدقت. قمر فلسطين أحلى ■■

بدمه رسم فلسطين*

ناجي العلي

في الثاني والعشرين من تموز عام 1987، اصيب ناجي العلي بطلقة في رأسه اطلقها مسلح مجهول بينما كان يغادر مكاتب جريدة القبس في ايفيس ستريت/نتشيلسي. وبعد خمسة اسابيع من الغيبوبة، توفي في تمام الخامسة من صباح السبت الواقع في الثلاثين من آب عن عمر يناهز 49 عاماً وكان ناجي العلي قد تلقى تحذيرا بواسطة هاتف من صديق (عضو سابق في منظمة التحرير الفلسطينية في تونس) يؤكد ان حياته في خطر وذلك قبل اسبوعين فقط من وفاته، اثر نشر كاريكاتير يهاجم فيه صديقة احد القادة السياسيين (الكاريكاتير معروف جدا في العالم العربي).

ولد ناجي العلي في قرية الشجرة الواقعة قرب طبريا في الجليل. غادر فلسطين مع عائلته عام 1948 لاجئاً ليقيم في المنفى، في مخيم عين الحلوة جنوب لبنان. في اواخر الخمسينات، اكتشف الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني موهبة ناجي العلي في الرسم اثناء زيارة له إلى المخيم. «بدأت باستخدام رسمي كشكل من اشكال التعبير السياسي حين تم اعتقالي من قبل افراد المكتب الثاني (المخابرات اللبنانية) في إطار الإجراءات التي اتخذها المكتب لاحتواء الفعاليات السياسية في المخيمات الفلسطينية في الستينات. رسمت على جدران السجن، وقد شاهد غسان كنفاني بعضاً من هذه الرسوم وشجعني على الاستمرار حيث قام بنشر بعض هذه الرسوم».

في اوائل الستينات، التحق ناجي العلي بمعهد الفنون في لبنان لكنه لم يتابع دراسته بسبب عمله في مجلة الطليعة في الكويت. «لاحقاً ذهبت إلى الكويت، حيث هامش الحرية والديمقراطية الموجود هناك مكنني من التقدم. لقد ركزت اعمالي هناك على الأخطار المحدقة بنا كشعب». في اوائل السبعينات، عاد إلى بيروت واصبح عضواً في هيئة تحرير جريدة السفير اللبنانية: «لقد شكل عملي في صحيفة السفير في بيروت عام 1971 الجزء الأهم والأكثر إنتاجا من مسيرتي. هناك واجهت بقلمي كل يوم ما يحيط بي من عنف من قبل عدة جهات وآخرها الغزو الاسرائيلي على لبنان. لم اشعر بالخوف، الفشل او اليأس، ولم استسلم. واجهت الجيوش برسومي الكاريكاتيرية ولوحات عن الأزهار والأمل والرصاص. أجل، إن الأمل ضروري دائماً. عملي في بيروت جعلني مرة اخرى قريباً من اللاجئين في المخيمات، والفقراء والمسحوقين».

خلال تلك الفترة شارك برسوماته في جريدة الخليج. وبعد غزو اسرائيل للبنان عام 1982، عاد ناجي العلي الى الكويت عام 1983 ـ خوفاً من تهديدات الكتائب ـ وعمل في صحيفة القبس (اهم صحيفة يومية مستقلة في الشرق الأوسط آنذاك). عام 1984، بدأ بنشر اعماله في الخليج. في اكتوبر 1985، طرد من الكويت بضغط من السعودية ولكنه استمر في العمل في صحيفة القبس/مكتب لندن واستمر بالمشاركة باعماله في الخليج. كانت اعماله تنشر يومياً في القاهرة، بيروت، الكويت، تونس، ابوظبي، لندن وباريس في إصدارات تتراوح في انتماءاتها بين اقصى اليمين واقصى اليسار. ويعتقد انه رسام الكاريكاتير الأعلى اجراً في العالم العربي.

لم يكن لناجي العلي اي انتماء سياسي، كما ان غياب الشعارات والعقيدة في اعماله جلب له النجاح والنقد في آن معاً. وفي معارضته لغياب الديمقراطية وعدم انتمائه لأي حزب سياسي، حاول ان يشكل نموذجاً حقيقياً للرأي العام العربي. «حالما ادركت ما يجري ـ كل الفوضى في منطقتنا ـ شعرت بأن علي ان افعل شيئاً، ان اشارك بأية طريقة. جربت السياسة اولاً، الانتساب إلى حزب، الاشتراك في المظاهرات، لكنني لم اكن لأجد نفسي. إن الصرخات الحادة المنبعثة من داخلي كانت بحاجة لوسائل مختلفة للتعبير عنها. بدأت الرسم في الخمسينات على جدران مخيمنا. خلال تلك الفترة، بدأ وعي اللاجئين يتطور باتجاه الفهم السياسي كردة فعل لما يحدث في المنطقة: الثورة في مصر، حرب الاستقلال في الجزائر، وكل ما يحدث في العالم العربي. شعرت انه من واجبي ان اتكلم بصوت عال لهؤلاء الناس، لشعبي في المخيمات، في مصر، في الجزائر، والناس البسطاء في كل انحاء المنطقة الذين لا يجدون متنفساً للتعبير عن وجهة نظرهم وتحريضهم. إن وظيفة رسام الكاريكاتير السياسي ـ كما ارى ـ هي إعطاء رؤية جديدة بشكل ما. إن مهمته تبشيرية لأنه من الصعب فرض رقابة على رسم الكاريكاتير». انظمة قبلية واحزاب سياسية نجت من رسوماته النقدية. لقد ادان غياب حقوق الانسان في المنطقة، حرب الخليج الأولى، التجاوزات الفلسطينية والتعصب الديني. فقد قيل عنه انه يعارض كل شخص في الوطن العربي، العرب، اليهود، المحافظين والمتطرفين بنفس الدرجة. لقد اعتقد ناجي العلي ان فترة عمله في بيروت كانت اهم جزء في مسيرته وان عمله في المنافي في كل من الكويت وبريطانيا قد حد من إبداعه بسبب عدم فهمه ومحاصرته، فقد افتقد حس واقع اللاجئين في المخيمات.

إن فلسفة ناجي العلي يمكن إيجازها في وصفه لحنظلة ـ الولد الصغير الذي يبدو كشاهد في كل رسم من رسوماته: «هذا الطفل ـ كما ترون ـ ليس جميلاً او ذو بنية جيدة. إنه حافي القدمين كما هو الحال بالنسبة للاجئين في المخيمات. في الواقع، هو قبيح ولا ترغب اي امرأة بأن تنجب طفلاً مثله. ومع ذلك، فإن كل من عرف حنظلة ▪ كما اكتشف لاحقاً ـ قد تبناه لأنه رقيق، صادق، صريح ومرح. إنه الأيقونة التي تحميني، كما ان وضعه ليديه خلف ظهره هو رمز لرفض للظاهر السلبية الحالية في المنطقة».

بين عامي 1958 و1963 اعتقل ناجي العلي من قبل الشرطة وكان مراقباً بشكل دائم. ويقال انه تلقى اكثر من 100 رسالة تهديد بالموت خلال حياته، كما انه كان اكثر الشخصيات المطلوبة في الشرق الأوسط ـ الأمر الذي دفعه لمغادرة لبنان والعمل في الكويت ولندن. لقد رفض التحدث عن اولئك اللذين قمعوه وفرضوا رقابة على اعماله، بل جسدهم في رسوماته عوضاً عن ذلك.

لقد قام ناجي العلي بتطوير اسلوب رمزي صارخ خلال مسيرته التي امتدت ثلاثين عاما وذلك لمصلحة الشعب الفلسطيني، غير منحاز إلى اي حزب سياسي، كافح من اجل التوجه إلى ولأجل البسطاء في كل انحاء العالم العربي. لقد امتزجت حياته مع اولئك اللذين عاشوا تجربة الفلسطيني في المنفى. عاش القسم الأكبر من حياته بين بيروت والكويت ـ بسبب الغزو والرقابة والتهديدات التي كان يتلقاها ـ غير انه امضى العامين الأخيرين من حياته في لندن حيث اقام مع زوجته واطفاله الخمسة. وكتخليد لذكرى الفنان ولأعماله، اقيم المعرض العالمي لرسم الكاريكاتير في غاليري كوفا في لندن عام 1992 ■■

(*) المصدر: موقع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على الانترنيت
http://www.pflp-pal.org

شوهد يبتسم على جبهة (الستي إن)

على ذمة امرأة مسنة من مخيم الجلزون، التقيتها على هامش مظاهرة من مظاهرات (الستي إن)، الحاشدة قالت: أنها شاهدت ناجي يقف على صخرة في الحرش الذي يحاذي الشارع المؤدي إلى موقع المواجهات. كان يبتسم، نحيلاً وطويلا وهادئاً. اضافت المرأة العجوز انها عرفته من صورته التي علقها ابناؤها وأحفادها على مدخل المخيم.

صاح شاب خلفي وأنا أتحدث مع المرأة. ناجي كان هنا، متنكراً بهيئة سائق سيارة إسعاف، انا رايته بعيني، لم اصدق نفسي، فسألته، هل انت ناجي العلي؟. لكنه لم يجب، فقط ابتسم وانحنى على جريح يئن بين يديه، لم اره بعد ذلك. انا اعرف ملامحه جيداً، فصورته معلقة فوق سريري، افتح عينيّ صباحاً وأغلقهما على ارهاق عينيه.

ليس إحياء لذكرى رجل رحل هذا الذي نقدمه في هذا الملف لأن هذا الإحياء يستدعي حديثاً مكروراً عن غياب الجسد وحضور المعنى، ما نطمح اليه هنا هو تكريس نهج ناجي وتعميم رؤيته الحادة والنهائية للصراع العربي/ الصهيوني، لا يكفي أن لا نصدق غياب ناجي بالشعر والذكريات والإنشاء. مع معرفتنا بالدور الأساسي للشعر والفن في إثراء الإحساس وإدراك ابعاد الحياة الأخرى.

كم هو جميل لو اغرقنا مدارسنا وابواب محلاتنا ومكاتبنا وجدران مدننا برسومات ناجي. وكم نحن بانتظار ذلك النحات الفلسطيني او العربي الذي سيصنع تمثالاً لناجي. نزرعه في احد ميادين مدننا، نحلم بذلك مع علمنا بان كل منّا زرع تمثالاً لناجي في ذهنه او قلبه تمثالاً من وعود وانهار وبنفسج.

هذا الملف نقدمه احتفاء وليس إحياء، احتفاءً برسول الحقيقة وسيد العارفين المتعبين. والاحتفاء بناجي له اشتراطاته وطقوسه، اول هذه الشروط، أن نتخلص من تشوش الرؤى والتباس المواقف، وانكسار الحلم. أسوا انواع الاحتفاءات بناجي هو ذلك الذي يتغنى به كرمز لحقبة تاريخية قديمة لها معاييرها ومحدداتها. هؤلاء هم مبعوثو الخراب الذين خلق ناجي للاشتباك معهم. لم يمت إذن ناجي، انظروا خلفكم وامامكم تجدوه في كل مواجهة مع المحتلين على هيئات متعددة يتنقل بين مواقع البطولة والفداء: (وادي عاره، وطريق الشهداء، والمنطار، وسخنين، والناصرة، والستي إن)، مرة على هيئة صحفي هندي واخرى كسائق سيارة إسعاف ومرة على صورة طفل يقذف روايته الحاسمة للصراع ■■

ذاكرة سينمائية...

خالد عليان

مع بداية عام 1987 تم إغلاق دور السينما في مدينة رام الله... كان الفيلم المصري (البرئ) للمخرج عاطف الطيب آخر فيلم يتم عرضه في سينما الجميل.. شاهدت هذا الفيلم مع أصدقائي وجلسنا في "اللوج" مع أننا كنا متعودين على الجلوس في الصالة لان سعر التذكرة اقل ولكي نستطيع شراء (Top Cola).. غادرنا السينما وكان الوداع الأخير لسينما الجميل، وكأننا نستعد لاستقبال مرحلة جديدة في حياتنا ستقلب حاضرنا ومستقبلنا بشكل جذري.. وكانت الانتفاضة.

انخرط الشباب في الانتفاضة.. كان لقاؤهم اليومي في شارع ركب من التاسعة صباحا حتى الواحدة ظهراً، وينتقلون بعدها إلى أحيائهم لمتابعة نشاطات أخرى.

في عام 1989 اعتقلوا جميعاً وانتقلوا لحياة أخرى.. منهم من أمضى ستة اشهر ومنهم من أمضى أربع سنوات.. وكان الذي يخرج من المعتقل ينتظر الآخرين ويعيش حياتهم.

في عام 1993 وبعد فتح الجامعات.. تم تشكيل مجلس طلبة في جامعة بيرزيت.. وأشرفت جبهة العمل الطلابي على اللجنة الثقافية في مجلس الطلبة، وكانت الخطوة الأولى لإعادة حياة سينمائية بدأت في الجامعة وانتقلت لاحقاً للخارج.

فيلم (شمس الضباع) لرضا الباهي يثير ضجة في أروقة الجامعة..

كان الفيلم التونسي شمس الضباع الفيلم الأول الذي يتم عرضه ضمن نادي السينما في الجامعة.. شاهده عدد كبير من الطلبه، كانت السعادة في ممارسة طقوس العرض، بيع التذاكر، استلام التذكرة على بوابة الدخول، جمهور ينتظر إطفاء الإنارة، القاعة المعتمة تهيئ جوا خاصا وتنقل المشاهد إلى عالم آخر.

بعد عرض الفيلم فوجئنا بلافتات وعرائض توقيع تطالب بوقف نادي السينما، كون الفيلم الذي تم عرضه يخدش الحياء، أثيرت ضجة كبيرة في الجامعة، واكتشفنا حقيقة مهمة وهي أن للسينما دورا كبيرا، لم نيأس وقررنا الاستمرار.

فيلم (الليل) لمحمد ملص أداة لجذب جمهور واسع..

الفيلم الثاني الذي قمنا بعرضه كان الفيلم السوري «الليل» لمحمد ملص، وبالرغم من أهمية هذا الفيلم إلا انه كان من الصعب جذب عدد كبير من الطلبة لحضوره، ولكن ومن خلال مراجعتنا لمجموعة من أعداد مجلة «الهدف» التي كانت تصل إلى الجامعة سراً.. وجدنا داخل العدد صورة للدكتور جورج حبش وهو يهدي سيف الجبهة للمخرج محمد ملص عن فيلمه (الليل)، فرحنا جدا لان هناك قائدا فلسطينيا يهتم بالفنون إلى هذه الدرجة، ووجدنا في هذه الصورة اداة لجذب الجمهور، قمنا بتوزيع الصورة في ساحات الجامعة وأعلنا عن الفيلم، وفي يوم العرض كانت القاعة المخصصة لعرض الأفلام في مبنى كلية الهندسة مكتظة بالجمهور، منهم من جاء ليشاهد الفيلم، ومنهم من جاء لمشاهدة جورج حبش، ومنهم من جاء ليسجل ملاحظات وانتقادات على فيلم يخدم إطارا طلابيا معينا. المهم بالنسبة لنا أن يشاهد الطلبة هذا الفيلم، وبالفعل جلسوا على المقاعد حتى النهاية، ولم يظهر جورج حبش فيه، ولم يكن له أي علاقة بتيار سياسي معين، بل كان فيلماً حول الموت المشتهى وكان فيلما رائعا تبعه نقاش.

نادي السينما في جامعة بيرزيت الذي بادرت بتأسيسه جبهة العمل الطلابي التقدمية، لم يكن صداه على مستوى الجامعة فقط، بل تحول الى إثارة ضرورة إعادة الحياة السينمائية في فلسطين، وذلك ما قام به نفس الجيل الذي أسس نادي السينما في جامعة بيرزيت، وان كنا نرى حياة سينمائية نشطة نوعا ما في مدينة رام الله على الأقل حالياً، فلا ننسى أن شباباً قاموا بوضع جهد كبير وراء ذلك ■■

السينما الفلسطينية بين الأمس واليوم

قاسم حول

السينما الفلسطينية مفهوم طرحناه عندما كانت الكاميرا في صفوف شعبنا الفلسطيني، سينما عن مقاتلين ـ عن أبناء مخيمات، عن طلبة مدارس عن باعة الخضار في مخيمي صبرا وشاتيلا، عن صحفيين في صحف الثورة.. عن شعبنا أينما وجد، بمعنى عندما تكون الكاميرا مع شعبنا تكون السينما الفلسطينية. وثمة أفلام أنتجت في بلدان عربية وأخرى من قبل مبدعين غير عرب أدركوا الحقيقة الفلسطينية وطبيعة الصراع وعبروا عنها بصدق وحميمية نادرتين. مثل هذه الأعمال رأينا أنها لا تدخل في تعريف مفهوم السينما الفلسطينية وهي في تقييمنا لها سينما متقدمة وهادفة ومناصرة، وهي بالضرورة لا تدرج في إطار السينما الفلسطينية فالسينما الفلسطينية مثلها مثل أي سينما وطنية لابد وأن تكون وطنية إنتاجا وموقعا وهوية.

من هذا المنطلق كتبنا تاريخ السينما الفلسطينية وجدولنا النتاج السينمائي الفلسطيني. ولقد كانت إنتاجاتنا إنعكاسا بالضرورة لواقع الثورة الفلسطينية المسلحة بكل ما كان الواقع الفلسطيني يعيشه من مصاعب على كافة الصعد، وحقيقة لم يكن عملا سهلا، وكان فرحنا أننا حركنا الكاميرا في المخيمات وفي القواعد وواجهنا الطائرات بكاميراتنا، وكانت كاميرا شجاعة حقا، ولكن حزننا أن مستوى الطموح كان أقل بكثير من مستوى المنتج لأن السينما والكاميرا السينمائية لا تحملها سوى أيدٍ من ذهب وهذا أمر مؤسف حقا. فلكي تحقق سينما، تحقق إبداعا كاملا فانك تحتاج إلى مال وإلى تقنية، وأنى لك بهذه التقنية وانت تعمل في موقع، في بلد اسمه لبنان اشتعلت فيه حرب أهلية وتداهمك طائرات العدو الصهيوني كل يوم وعليك أن تقوم بتظهير أفلامك وطبعها وتسجيل الصوت في ستوديوهات هي أصلا مهجورة ومهدمة؟

كان صراع المبدع هو أن تعمل سينما الجانب، التقني فيها ضعيف ويخدش قيمة التلقي الجمالية وبالتالي الحسية والفكرية أو أن لا تعمل سينما ولا تتنازل عن حقك في الإبداع وبالتالي تخسر توثيق أهلك على الشريط السينمائي وتصبح تلك الفترة غائبة من تاريخ الصورة؟

لقد إخترنا الطريق الأول أن نتنازل عن حقنا في الإبداع مقابل حق أهلنا في فلسطين، واعتقد أن ذلك كان شرفا، لقد ضحينا بجانب من الحلم الذاتي وصرنا موضع نقد بعض النقاد الذين لا يفصلون المنتج عن ظروف الإنتاج، ولكن كان لنا شرف التوثيق في الأقل كما يقال، وعندما كان الواحد منا يفكر بأنه يضحي بحلمه الذاتي وبإبداعه بأدوات تعبير فقيرة، كان يأتينا الجواب من الضمير.. ما قيمة هذه التضحية مقابل الدم الفلسطيني الذي يرسم كل يوم بل كل لحظة صورة الوطن الفلسطيني، بل صورة الوطن العربي الذي يتدهور بفعل المؤامرة التي تستهدف محو الهوية وإلغائها، بل عليك أن تكون الضمير المعبر عن ذلك الدم وأن تكون وفيا له، وفيا لأهلك.

كانت مرحلة سينمائية نضالية نشعر إزاءها بالفخر الحقيقي وإلمام كل إطار واحد من ملايين الصور التي مرت على شباك الكاميرا السينمائية الفلسطينية.

اليوم تنهض سينما فلسطينية ثانية، سينما تأتي من داخل فلسطين ينفذها سينمائيون موهوبون يعيشون ظروفا ثانية، ظروفا صعبة أيضا ولكن قدرة أدوات التعبير أفضل بكثير من أدواتنا.. الكاميرا والصوت، سيما بعد الإستعاضات التقنية التي وفرتها النهضة التقنية الجديدة في العالم ممثلة بالتصوير الرقمي الديجيتال الذي يقود أو يعوض عن النتاج السينمائي بالفلم السينمائي وتعقيدات إظهاره وطباعته وتسجيل الصوت وطباعته.

هذه النهضة السينمائية تحتاج اليوم إلى وقفة فكرية، ذلك لحساسية المرحلة، بمعنى أن تلعب السينما الفلسطينية دورا أكثر وعيا بعد أن توفرت لها ظروف الإنتاج، أن تكون سينما معبرة حقا عن عمق الصراع، سينما عليها أن لا تسقط في المساومة، ولا أقصد بذلك أن تكون سينما سياسية، فالسينما ليست بديلا عن المفاوض السياسي وليست تلك مهمتها على الإطلاق، بل مهمتها جمالية بالمعنى الكامل لمفهوم الجمال وهو المفهوم الذي لا يفصل الشكل عن المضمون في القيمة الجمالية والذي نعبر عنه (الشروط الموضوعية لقيم الجمال) سينما مهمتها كشف الواقع الموضوعي بعين واعية

من خلال متابعتي لما ينتج من أفلام في فلسطين أشعر بالفخر أن ثمة توجه نظيف حقا في كشف الحقيقة الموضوعية في بدايات ناضجة فكريا وفنيا وجماليا، اتيحت لي فرصة مشاهدة أعمال رشيد مشهراوي وصبحي الزبيدي وعبد السلام شحادة شيء يدعو إلى الفرح العقلي وبالتأكيد هناك أسماء وأعمال لم تتح لي فرصة مشاهدتها.

هذه الأعمال السينمائية وغيرها تحتاج إلى دعم غير مشروط من قبل المؤسسات الفلسطينية ذات الشأن وأقول دعما غير مشروط، حتى لايخدش عامل الحرية في الإبداع ويتيح بالتالي للإبداع الفلسطيني أن ينهض بمستوى الحلم الفكري والفني الجمالي.

هذه المسؤولية بقدر ما هي مسؤولية المؤسسات الفلسطينية فهي أيضا مسؤولية السينمائيين الفلسطينيين الذين أحببت فيهم صفاء الإبداع، حيث شعرت أن كل فلم فلسطيني كان ينتمي لكل واحد منهم، شعرت بأن كل إبداع سينمائي يضيف للآخر إبداعا ولا ينتقص منه. رأيت في أفلامهم فلسطين ورأيت في كل واحد منهم سينما فلسطينية آتية.

بقي السؤال ماهي صورة المستقبل، كيف يمكن للسينما الفلسطينية الراهنة أن لا تكون مجرد نشاط، بل أن تعمل وفق منهج يقود إلى منهج، بمعنى أن لا تكون الصدفة هي الفعل وبالتأكيد فإن الذين قدموا لنا الأفلام الفلسطينية الحديثة وبالمستوى الذي شاهدناه يملكون قدرة التفوق في تحويل هذا الأساس، هذه البداية الواعية، تحويلها إلى صرح سينمائي شامخ.

إن الظروف التي تحيط بالواقع الفلسطيني وبالصراع العربي الصهيوني هي ظروف معقدة وتنعكس بالضرورة على مجمل الحياة الفلسطينية ومنها الحياة الثقافية والحياة السينمائية. ولأن السينما عمل متشعب في بعديه الروائي والوثائقي، بمعنى الإنتاج والتوزيع والأرشفة فإنه يحتاج إلى عملية منظمة.. أن لا تكون التجربة في إطار التجربة الفردية، بل أن يكون لها إطارها الذي يؤمن لها المواصلة والرص



لتنشر وظروف الحفظ، وأن يخرج ذلك من إطار المبادرة الذاتية مع أهميتها، أتذكر أن حساباتنا في سينما المقاومة الفلسطينية كانت واعية في هذا الجانب عندما حركنا الكاميرا الفلسطينية في إطار الثورة، لكن الإستجابة المؤسساتية الفلسطينية كانت اقل إهتماما من وعينا، ربما بسبب الرؤية لأهمية السينما كونها هامشية قياسا للعمل السياسي المتفاعل يوميا. هذه الرؤية القاصرة أثرت على واقع هذه السينما لاحقا بعد أن غادرت منظمة التحرير الفلسطينية لبنان. نحن الآن وبعد أكثر من عشرين عاما نبحث عن لقطة وليس عن فلم مما صورناه نشعر اليوم بحاجة إليها، نبحث أحيانا وبعد أكثر من عشرين عاما عن صورة فوتوغرافية أضعناها وسط ركام الهدم.

بالتأكيد ان الواقع الفلسطيني اليوم هو غير ذلك الواقع، ومهما إسودت الصورة الآنية التي نراها فإن الأفق الأبيض مرئي بالضرورة، ولكن ضمن هذا الواقع أرى أن تتشكل رابطة للسينمائيين الفلسطينيين، رابطة تكون لها إمتدادات خارج فلسطين حيث تنهض حركة سينما جديدة في العالم، سينما تواكب القفزة التقنية المعاصرة التي يمكن الإستفادة منها لصالح السينما الفلسطينية وبالتالي لصالح فلسطين. بعد إتسعت منافذ العمل السينمائي ذي الأبعاد الجمالية ولم تعد كل المنافذ مغلقة لم تعد مفاتيحها في أيدي قوى غير سينمائية. لقد إتسعت المنافذ وعلينا أن نفتح مزيدا من الأبواب في سينما الحقيقة، سينما ذات قيم فكرية وجمالية تضفي المحبة والجمال في ذات المتلقي.

لقد باشرنا نحن في كتابة تجربتنا السينمائية الأولى في زخم الثورة الفلسطينية، سنكتبها بكل تفاصيلها وتحليلها موضوعيا لتكون مرجعا تاريخيا ومادة للنقد والتقييم حتى لا تضيع وحتى لا تسرق وحتى ينصف السينمائي الذي وقف نقيا وفيا لفلسطين وللدم الفلسطيني الطاهر، وعسى أن تكون ذكرى إنطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القادمة موعدا لنشر هذه التجربة في كتاب يكون مفردة من مفردات الملحمة الفلسطينية الخالدة في التاريخ الإنساني ■■

"سيمفونية اللون" فلم جديد للمخرج قاسم حول

خاص بالهدف

انتهى المخرج قاسم حول من إخراج فلمه الجديد (سيمفونية اللون) الذي يكشف من خلال اللون الواقع العربي مثلما يكشف القيمة الجمالية للوحة

فلم هو رحلة جمالية وبموسيقى سيمفونية كتبت خصيصا للفلم يكشف رحلة الفن التشكيلي العربي وعلاقته بالواقع وتطوره الجمالي والأكاديمي. كما يكشف الفلم هوية اللوحة ويعرض لنا بنية جمالية حديثة محطات هامة من الحياة العربية والإسلامية وعلاقة هذا الواقع باللون الذي يرسمه الفنان العربي على لوحته.

هذا الفلم سيعرض في العديد من مهرجانات السينما العربية والعالمية، وسيكون مرجعا أكاديميا وفنيا لفن الرسم وللواقع العربي.. تجربة جديدة في بعديها الفكري والجمالي

جدير بالذكر أن المحطة الفلسطينية في الفلم تشكل محورا هاما في الفلم في مشهد الشهيد محمد الدرة والإنتفاضة الفلسطينية والحياة الإنسانية في فلسطين.

المخرج الفلسطيني جبريل عوض شارك في هذا الإنتاج مخرجا مساعدا، وتم إنتاج الفلم بتقنية أوربية عالية.

يقع الفلم في 45 دقيقة

جدير بالذكر أن المخرج قاسم حول يواصل العمل في التحضير لفلمه الروائي الملحمي الكبير عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام والذي يحمل إسم (الحسين) والذي إستغرقت عملية البحث والكتابة فيه أكثر من ست سنوات. والذي ينحو فيه المخرج منحى تحليليا وكشفا للواقع الموضوعي بعيدا عن كل ما يجرح وحدة الصف الإسلامي في محاولة لرؤية معاصرة للواقع العربي والإسلامي من خلال مضامين تلك الملحمة التاريخية في واقعة الطف في كربلاء في العراق ■■

قطع وصل
على مسرح سامه بدمشق



على مسرح تجمع «سامه» بدمشق، عرض المسرحي اللبناني رفيق علي أحمد المونودراما المسرحية «قطع وصل» وهي من تأليفه وتمثيله، والمسرحية فيها ما يشبه سرد السيرة الذاتية لهذا الفنان الذي يقول: «قدري أن أحكي الحكايات.. قدري أن أكون الحكاية.. وأنا الراوي».

تحكي المسرحية قصة رجل يعيش في مصح عقلي، في مكان مغلق يشبه الزنزانة، حيث يستعيد عبر مونولوجات طويلة شظايا ذاكرته التي يندغم فيها الهم العام مع الهم الخاص في مسيرة تشكّل وعي الشخصية، وإدراكه لهويته في محيط تتلاطم فيه أهواء الطوائف والجماعات المتقاتلة، حيث تتعدد المرجعيات الطائفية فيما تغيب مرجعية الوطن والمواطنة وخاصة في ظل التهديد الخارجي والاحتلال الإسرائيلي الذي يستبيح الوطن والشجر والإنسان.

خالد وعُمَر
بحث في التأريخ الإسلامي المبكر

ضمن سلسلة الكتب التاريخية الرصينة، التي تحفر معرفياً، والصادرة عن دار «قَدْمُس» بدمشق، صدر حديثاً كتاب: «خالد وعُمَر/ بحث نقدي في مصادر التأريخ الإسلامي المبكر» للكاتب الألماني كلاوس كْلير، ترجمة: محمد جديد.

يطرح المؤلف في هذا الكتاب، العديد من الأسئلة حول شخصية خالد بن الوليد وعلاقته بالخليفة عمر بن الخطاب، من خلال دراسة خلفيات التاريخ الإسلامي متسائلاً: هل كان ثمة صراع في الواقع بين خالد وعمر؟ يعيد المؤلف قراءة التاريخ ذو العلاقة، وينفي تلك التهم التي رددها بعض الإخباريين بشكل مباشر، أو ضمني حول خالد بن الوليد، وذلك من خلال دراسة تحليلية رائدة لمصادر التاريخ العربي القديم والحديث عن اثنين من عظماء صدر الإسلام، ويرى المؤلف أن كثير من المؤرخين قد ظلموا كلا الرجلين بطريقة فظة، إذ لم يتحدثوا تقريباً إلا عن كراهية مزعومة متبادلة بينهما، واتخذوا منهما معاً، وسيلة للجدل الحربي، مقدمين بذلك أرضية لمحاولات تشويه صورتهما في التاريخ!

دوائر وجداول ابن عربي

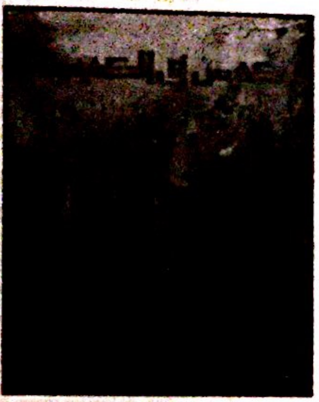


كتاب الشيخ محي الدين ابن عربي: «إنشاء الدوائر والجداول» صدر عن دار حوران للطباعة والنشر بدمشق، تحقيق وتقديم: يوسف سفر فطوم، وجاء في التقديم أن الشيخ محي الدين ابن عربي (١١٦٥-١٢٤٣م) وُلد بمرسية، وانتقل إلى اشبيلية. كانت ميوله أدبية، لكن نفسه حدثته بالزهد والانقطاع عن الدنيا. عاش مدة في كوخ زاهدة تدعى فاطمة. في سن الثلاثين، ارتحل إلى المشرق حاجاً، ثم سافر إلى مصر وسورية، ومكث فيهما في عهد العباسيين. زار مكة وحلب وبغداد، ثم عاد إلى دمشق، واستقر فيها حتى وفاته، ودفن في مدفن بني زنكي في جبل قاسيون.

في هذا الكتاب شرح ابن عربي بالأشكال الهندسية مذهبه في الكون ورؤيته له. وينقسم نظريته في الكون إلى حسيّة محضية وفكرية تستعين بالحس، وعقلية تعتمد على الفكر.

من أهم مؤلفات ابن عربي: (الفتوحات المكية، نصوص الحكم، رسالة النفس، ترجمان الأشواق، الشجرة الكونية).

«كنيس في الكنيسة» العلاقات المسيحية - اليهودية عبر التاريخ



صدر مؤخراً عن دار جفرا للدراسات والنشر في دمشق كتاب «كنيس في الكنيسة، العلاقات المسيحية - اليهودية عبر التاريخ» للباحث ميشيل منيّر، ويعالج هذا الكتاب في قسمه الأول التأثيرات اليهودية عبر التاريخ على حياة الشعوب اللاتينية المسيحية على خلفية تعريفه بجذور العداء اليهودي للمسيحية عموماً والمسيحية الكاثوليكية بصفة خاصة، والمستمدة من الكتب الدينية اليهودية. ويتضمن هذا الكتاب عرضاً لمواقف اليهودية من المسيحية، وتحولات العلاقة بين المسيحية واليهودية، وتطور مكانة اليهودية، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية في المجتمعات الغربية في مراحل مختلفة من التاريخ.

كما يرصد المؤلف محاولة الكاثوليكية درء تأثير اليهودية عليها من جهة ومحاولة الأوساط اليهودية كبح عملية إدماج اليهود في مجتمعاتهم أو تجيير هذه العملية لصالح تهويد المسيحية.

ويعرض المؤلف في القسم الثاني لدور اليهود في تدمير المجتمعات الأوروبية وخاصة في بولونيا وروسيا من خلال عملية تهويد النخب الحاكمة فيهما أو قيادة النخب اليهودية في تلك البلدان لعملية تقويض المجتمعات. ويبرز المؤلف بصفة خاصة دور الفاتيكان والحبر الأعظم الحالي في عملية خطيرة تتجاوز التقريب بين الكاثوليكية واليهودية إلى تهويد الكنيسة الكاثوليكية ويدحض المؤلف الدوافع البابوية لتهويد المسيح استناداً إلى المصادر الرئيسية للمسيحية ممثلة بما تضمنته رزمة من الأناجيل التي تكشف صراحة عن عداء اليهودية للمسيحية، وبالتالي فهذا الكتاب الذي يقع في ٢٤٨ صفحة يقدم مشهداً واضحاً لجدال ديني ساخن حول جدوى إرغام الكنيسة الكاثوليكية على الرضوخ لهرطقات وتجديفات يهودية.

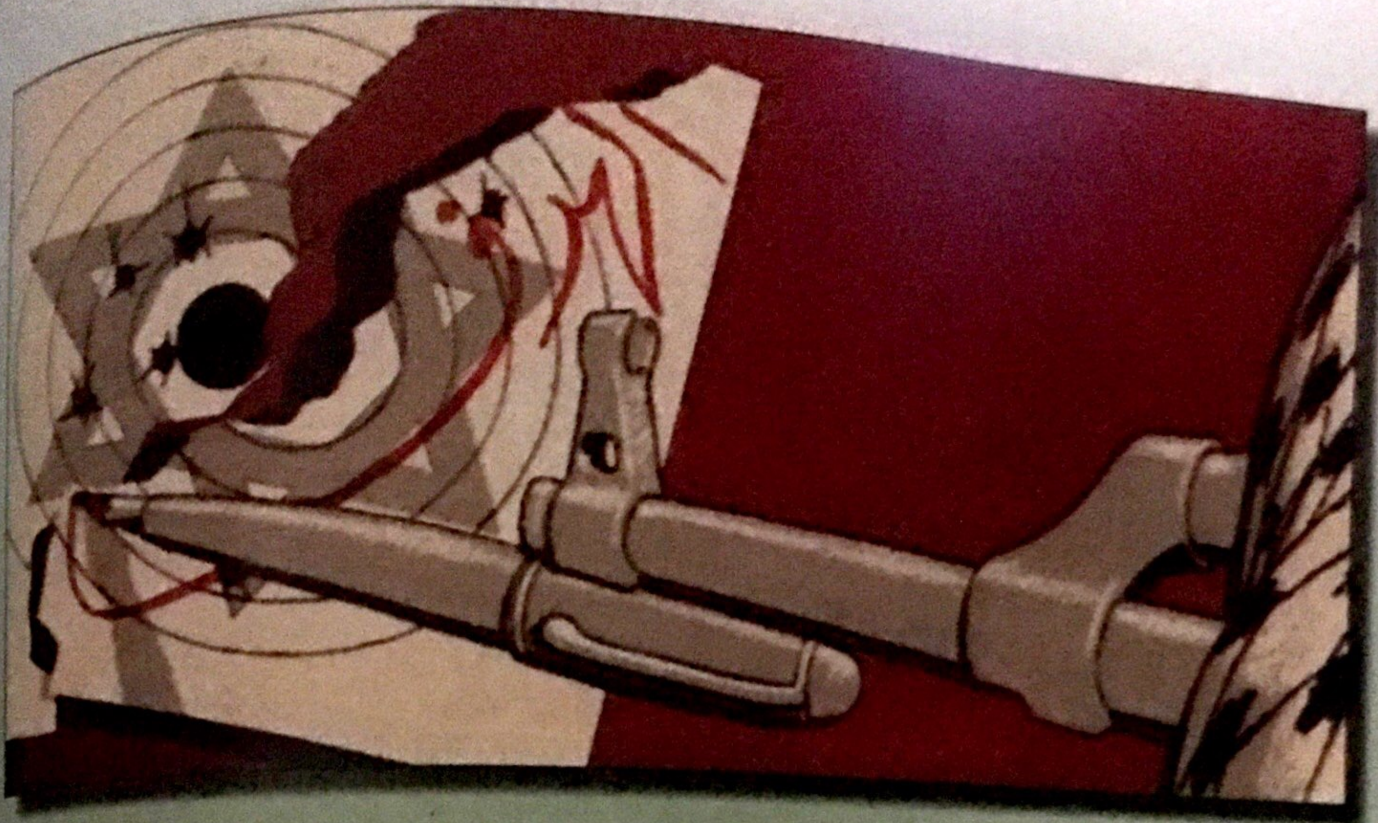
أفق التحولات في القصة القصيرة

صدر مؤخراً في عمان عن دار الفنون/ مؤسسة عبد الحميد شومان كتاب: «أفق التحولات في القصة القصيرة»، وهو عبارة عن شهادات ونصوص لأبرز كتّاب القصة القصيرة في سورية، فلسطين، الأردن، العراق، مصر.

وقدم للكتاب الشاعر والروائي إبراهيم نصر الله الذي قال: لم تكن التحولات التي شهدتها القصة القصيرة في العالم العربي إلا جذرية وعمقاً من التحولات التي شهدها الشعر والرواية خلال الأعوام الخمسين الماضية، والتي يمكن اعتبارها العمر الحقيقي لأدبنا الحديث.

وأضاف جاء محور (أفق التحولات في القصة القصيرة) انطلاقاً من إيماننا العميق بالمنجز القصصي العربي وأثره الجمالي والإنساني للتحقق بعيداً عن أي قول متعسف يروّج لتقدم نوع أدبي على حساب نوع آخر


ناجي العلي
... بدمه
رسم لفلسطين
With his Blood
Naji Al Ali Drew
for Palestine.
22
JULY 1987
٢٢
تموز ١٩٨٧



في ذكراها الثانية والثلاثين

"الهدف" تواصل مسيرتها

ما الذي يمكن قوله في عيد ميلاد الهدف، وهي تطوي عامها الثاني والثلاثين مقتحمة بصبر وصمود وبسالة عامها الثالث والثلاثين، ممسكة على جمر شعارها الحارق «كل الحقيقة للجماهير».

منذ اليوم الأول لتأسيسها كانت الهدف مشروعاً مغايراً للسائد، مشروعاً متحدياً يطمح لتأسيس رؤية جديدة للقضية الفلسطينية، رؤية ناقدة، معارضة معظم الأحيان، ولكنها صادقة دائماً في تلمسها لوجع الناس وآمال الجماهير.

هكذا ترى الهدف نفسها.. عبر مسيرة طويلة، منذ جاء غسان كنفاني ليستلم مفاتيح البيت، واعياً لمدى المخاطرة، هو الذي رفض أن تعمل معه إميلي نصر الله في المجلة لأنه «عندك أولاد وإحنا مابدنا نعرضك للخطر» كما جاء في مذكرات الأديبة اللبنانية الكبيرة.

وهكذا واصلت الهدف لتقدم رئيس تحريرها شهيداً على مذبح الكلمة، ولتستمر فالروح التي زرعها غسان لايمكن ان تنطفئ.. فكانت الهدف الشاهد الدائم في جوع المخيمات وخنادق المقاتلين وفي قلب التظاهرات..

كان للهدف مآثرها.. نعم! في قلب تل الزعتر، وفي ليالي الحصار الطويل في بيروت وفي الانتفاضتين.. كان لها صوتها..

قالت الهدف (لا) عندما كان يجب ذلك..ولم تخجل من قول نعم في مكانها الصحيح.. وستبقى (الهدف) في ذكرى إطلاقها..شرارة الحرية وصوت الحقيقة.

تحية لها.. تحية إلى كل من ساهم في بقائها. رغم الصعوبات والتضحيات. فالهدف أولاً وأخيراً بناسها.. بكوادرها.. الباقون معها.

لتبقى مجلة غسان كنفاني تعطي خبز الحقيقة للجماهير التواقة إلى الحرية.

أحمد جابر